بسم الله الرحمن الرحیم

الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة١)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: محرم ۱۴۴۱
المكان: طهران، جامعة الإمام الصادق(ع)
الموضوع: الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة١)
التاريخ: ٢٩/ ذي الحجة /١٤٤٠، ٣١/ ٨ /٢٠١٩

علينا أن ندرك مفهوم الإدارة كي لا يخدعنا أي مدير/ ثمة أصول لإدارة المجتمع وهي نفسها أصول "إدارة الأسرة" و"إدارة الذات"/ هل يمكن للمستضعفين أن يرثوا الأرض ويصبحوا أئمتها دون أن يتأهلوا لذلك؟ شرطان لخروج المستضعفين من حالة الاستضعاف

ما هو سبب الإبتلاءات قبل الظهور؟ هو لنكتسب الجدارة والأهلية. لماذا يتبيَّن اليوم أن بعض مسؤولي بلادنا فاسدون؟ لا بد أن نكتسب في النهاية أهلية، كأن نعرف قدر مسؤول جدير، أو نميّز بين مسؤول صالح وآخر فاسد، وأن ننظر إلى المسؤولين في المجتمع بحساسية!

إليكم أهم المقاطع من المجلس الأول من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة الإمام الصادق(ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيرا من العلم والإيمان»:

إدراك صاحب الزمان(عج) وولايته ودولته هو المحور الرئيس للدين في عصرنا

مثلما كان الدين في بداياته متمحوراً حول شخص الرسول(ص)، وكان المحور الرئيس في الدين هو قبول الرسول(ص) شخصيّاً والإيمان به ونصرته والتضحية في سبيله، فلقد أصبح المحور الرئيس للدين اليوم هو إدراك صاحب الزمان(عج) ودولته، والتسليم لولايته والتضحية في سبيله. لكن تعاليمنا الدينية عموماً رسّخت وما زالت ترسّخ هذا المفهوم الخاطئ وهو أنّ «الدين ليس إلا منظومة لضبط علاقة الإنسان بالله، وبالطبع كان لرسول الله(ص) أيضاً دور في إبلاغ الدين وهو(ص) أيضاً محترم!» هذا وقد كانت بداية الدين هي قبول شخص رسول الله(ص) وإجابته، وكان تاريخ صدر الإسلام يدور حول محور الدفاع عنه(ص) وفدائه بالنفس. حين تكون تعاليمنا الدينية على هذا المنوال فمن الطبيعي أن لا يُهضم مفهومٌ مثل «الولاية» جيّداً، ويشيع التنكُّر للولاية، ولا يتسنّى إدراك معنى قبول الولاية وسيبدو هذا القبول أمرا شعاريّاً وليس شعوريّاً! أضف إلى ذلك الأضرار الجسيمة الأخرى والتي يُعد التأخير في ظهور صاحب العصر(عج) إحدى تبعاتها، على الرغم من وجود هذا العدد الهائل من المسلمين الصالحين المصلّين.

لم يدُر النزاع في صدر الإسلام حول الاعتقاد بالله، بل حول الرسول(ص) نفسه!

كان معيار إسلامك في عهد صدر الإسلام هو «أن تؤمن بهذا النبي وتُقرّ بأنه رسول الله»، وإلا فقد كان الجميع تقريبا يؤمن بالله في ذلك الزمن، وإن كان هذا الإيمان تشوبه الزوائد والشوائب. ولم يكن النزاع يدور حول العبادة أيضاً، بل كان حول شخص الرسول(ص) نفسه،

أي حـول أن نؤمـن بـه أو لا نؤمـن. لكـن الطريقـة التـي درسّـونا بهـا في المـدارس صـوّرتْ لنـا أن الجميـع كانـوا ملحديـن في صـدر الإسـلام، وحـين كان أحـد يتحـدث عـن «اللـه» كانـوا يقولـون باسـتغراب: «مـا معنـى اللـه؟!» وكان النبـي(ص) يبـدأ بإثبـات وجـود اللـه لهـم! تماماً كـما نقـوم نحـن أوّلاً بإثبـات وجـود اللـه لأطفالنـا. كان رسـول اللـه(ص) هـو المحـور في صـدر الإسـلام وبقـي كذلـك حتـى النهايـة، ولذلـك قـال(ص) في يـوم الغديـر: «مَـن كُنـتُ مَـولاهُ فَهـذا عـليٌّ مـولاه». فـلا يلمنـي أحـد بأنـك «قـد رفعـت شـأن رسـول اللـه(ص) إلى مرتبـة أعـلى مـن اللـه!» كلا! فقـد كان الإيمـان باللـه موجـوداً آنـذاك أيضـاً، ولم يكـن النـزاع حولـه، بـل كان حـول رسـول اللـه(ص) شـخصيا.

اليوم أيضا يدور النزاع في الدين حول ظهور إنسان غائب

اليـوم أيضـا يـدور النـزاع في الديـن حـول ظهـور ذلـك الشـخص الغائـب، وليـس حـول التديّـن بـدون حضـوره! واليـوم أيضـا ينبغـي أن يبلـغ التديـن مرحلـة يتكلّـل فيهـا بقدومـه! فمجيئـه مـؤشر عـلى نجاحنـا في التديـن. وإن السـبب في قتلهـم المتدينـين اليـوم هـو الحيلولـة دون مجيئـه! فمـن كان تدينـه لا يهيـئ الأرضيـة للظهـور لا يكـترث بـه المسـتكبرون أبـداً فـما بالـك بـأن يقتلـوه! بنـاء عـلى ذلـك فـإنّ كل موضـوع يُطـرح اليـوم للنقـاش يجـب أن يحـدد موقفَـه مـن قضيـة ظهـور ولي اللـه الأعظم(عـج). والموضـوع الـذي لا يحـدد موقفـه تجـاه هـذه القضيـة وتهيئـة الأرضيـة والإمكانيـات للظهـور هـو موضـوع أبـتر معلـق في الفضـاء. فعـلى حـد مـا نُقـل عـن الإمـام الصـادق(ع) إن هـدف الإسـلام لم يكـن الطـواف حـول الكعبـة الشريفـة، فقـد كان هـذا الطـواف قائمـاً قبـل بعثـة الرسـول(ص) أيضـاً: «هَكَـذَا كَانَ يَطُوفُـونَ فِي الْجَاهِلِيَّـةِ» (الـكافي/ ج٨/ ص٢٨٨) فالطـواف بالبيـت العتيـق دون الإيمـان برسـول اللـه(ع) ليـس هـو إلا طـواف الجاهليـة، ودروس الأخـلاق والعبـادة والأمـور المعنويـة دونمـا اتصـالٍ بظهـور صاحـب العصر(عـج) ليسـت إلا دروس عهـد الجاهليـة في الأخـلاق والعبـادة والأمـور المعنويـة!

وجود العلاقة بالظهور هي إحدى مؤشرات سلامة موضوع البحث وأن له الأسبقية

وكذلـك الحـال بالنسـبة لمجالـس عـزاء أبي عبـد اللـه الحسـين(ع) والمواكـب الحسـينية، فعليهـا أن تحـدّد موقفهـا مـن قضيـة ظهـور صاحـب العصر(عـج) وإلا لا تكـون مقبولـة! والشـاهد والحُجّـة عـلى كلامنـا والمعيـار لـه هـو زيـارة عاشـوراء التـي يتكـرر في مقاطـع عديـدة منهـا «السـلام عـلى الحسـين(ع)، واللعـن لأعدائـه، والإشـارة إلى ظهـور صاحـب الزمان(عـج)». وزيـارة عاشـوراء مـن أكـثر زياراتنـا المأثـورة محوريـة والتـي تحـدد موقفهـا دائمـاً مـن قضيـة ظهـور مولانـا صاحـب الأمـر أرواحنـا لـه الفـداء.

إنّ من مؤشرات سلامة كل موضوع ديني ومعنوي يتم طرحه وأن له الأسبقية مقارنة بغيره هو أن يحدد علاقته بقضية الظهور وموقفه بالنسبة لتوفير الأرضية للفرج. إذ ربما نخوض في الأخلاق ونتناقش معاً حولها دون أن تكون ثمة صلة لذلك بالظهور، وهذا كالطواف المجرَّد من رسول الله(ص) الذي كان يمارَس زمن الجاهلية. نعم، قد يُبحث موضوعٌ ما دون أن تُحدَّد علاقته بالظهور، لكن بإمكانك أنت أن ترى ما إذا كانت له صلة حقيقية بالظهور أو لا. فإن كانت الصلة موجودة فهو موضوع سليم وله الأسبقية.

تعالوا، هذا العام، نربط الأربعينية بصاحب الزمان(عج) أقوى من كل عام

ينبغي أن يكون مجلس رثاء أبي عبد الله الحسين(ع) وزيارة الأربعين أيضا على هذا المنوال، أي أن تكون مرتبطة بصاحب الزمان(عج) وبقضية الظهور. وقد تحدثتُ هذا العام لبعض الرفاق الذين كانوا يخططون لزيارة الأربعين أنه: «هلمّوا، هذه السنة، نربط بين زيارة الأربعين وهذه المسيرة الرائعة العظيمة وبين صاحب الزمان أروحنا له الفداء أقوى من كل سنة». وهذا الاتصال موجود أساساً، لأنك تقرأ في زيارة الأربعين: «ونُصرَتي لَكُم مُعدَّة»، أي إني جئت لنصرتكم! جئت لنصرة نجل الإمام الحسين(ع)، فلستُ حزينا على الإمام الحسين فحسب دون أن أكترث لنجله (أي صاحب الزمان(عج))! ولستُ غير مُهتَمّ بمستقبل الحسين(ع) وأحزن فقط على ما جرى عليه من المصائب في الماضي! فهل يُتقبَّل مثل هذا البكاء برأيكم؟ اجتمع عدد من الرفاق قائلين: هذا العام سننطلق بالمشي في مسيرة الأربعين من «مسجد السهلة»، أي من بيت صاحب الزمان(عج)! وهذا اقتراح جميل وعمل حسَن لأرباب الذوق وأهل التوفيقات.

كل شيء فينا يجب أن يكون مهدويّاً، بل هذا هو معنى "المنتظِر" أساساً

كل شيء فينا يجب أن يكون مهدويّاً، بل هذا هو معنى المنتظر أساساً! حياتنا، مجتمعنا، سياستنا، جمهوريتنا الإسلامية، أخلاقنا، أسرتنا كلها يجب أن تكون مهدوية. علينا أن نرى ما الذي يرتضيه صاحب الزمان أرواحنا فداه في الوقت الحاضر؟ قد لا تصدقون ذلك، لكن ثمة أشخاص يهتمون بضبط علاقتهم بالله سبحانه وتعالى وتشغلهم آخرتُهم أيضاً، لكن تمُرّ عليهم السنة تلو الأخرى من دون أن يذكروا صاحب الزمان(عج)، بل لا يريدون أساساً إقامة علاقة بين دينهم وبين ولي الأمر(عج). وقد يكون بعضهم على مستوى رفيع من الأخلاق وطيبة النفس ويحسنون أداء الصلاة وتلاوة القرآن أيضا!

ما هي علاقة موضوع بحثنا بصاحب الزمان(عج) والظهور؟

والآن نريد أن نوضح علاقة موضوع بحثنا بصاحب الزمان(عج) من خلال هذه الآية القرآنية الكريمة: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ» (القصص/٥). هذه الآية معروفة وجميعكم يعلم أنها حول الظهور وآخر الزمان، وهي في الحقيقة تختص بمولانا صاحب العصر والزمان أرواحنا له الفداء. يقول تعالى عبر هذه الآية إننا نريد أن نمن على المستضعفين ونجعلهم أئمة الأرض وقادتها وحكّامها ونريد أن نورثهم ثروات الأرض والسلطة فيها.

الله جلّ وعلا يريد أن يجعل المستضعفين "أئمة وورثة السلطة والثروة"

لا تعني هذه الآية أننا نريد إنقاذ مستضعفي الأرض فحسب، أي أن نرسل إليهم إماماً لإنقاذهم فقط! أو أنهم كانوا سابقاً مستضعَفين من قِبل الطاغوت والآن باتوا مستضعَفين بيد صاحب الزمان(عج) ولا يظلمهم أحد أيضاً! القرآن الكريم يعبّر عن شيء آخر فيقول: إننا نريد أن نمّن على المستضعَفين ونزوّدهم بصفتين: الإولى هي أن نجعلهم أئمة، أي نولّيهم إدارةَ الأرض وحكمَها، لا أن ننقذهم فحسب. وبعد قوله: «نَجعَلَهُم ائمّة»، يقول تعالى: «ونَجعَلَهُم الوارثين»، فيكرر كلمة «نَجعَلَهُم» مرة أخرى وهذا التكرار يفيد التأكيد. وقد كان بامكانه أن يقول: «نجعلهم أئمة والوارثين»، فماذا أراد سبحانه بتكرار «نَجعَلَهُم» مرتين؟ أراد القول: إني أريد أن أنجز لكم أنتم المستضعفين أمرين: أحدهما هو أن أجعلكم أئمة الأرض والآخر هو أن أجعلكم ورثتها! وبالطبع هناك أمر ثالث أيضاً يتحقق تلقائياً وهو نجاة المستضعفين وهو ما لم يتطرق إليه الله تعالى في هذه الآية الكريمة أبداً، لأنه من الواضح أن النجاة تتحقق وبعد ذلك سيتحقق الأمران. ما معنى الوارثين؟ يعني ورثة السلطة والثروة! يعني أننا نريد أن نجعل المستضعفين ورثة السلطة في الأرض وورثة ثرواتها! أنا أعلم أنه حين أتكلم عن الثروة يُصاب البعض بصعقة كهربائية من العيار الثقيل! فلم تنته بعد النزاعات حول موضوع بحث السنة الماضية، وما زال المتحجّرون ومعهم المتغربون ينالون مني بالإهانة والاستهزاء قائلين: «لماذا تحدث فلان عن الثروة!»

هل يتسنى للمستضعفين أن يصبحوا أئمة الأرض وورثتها دون أن يكتسبوا الجدارة؟! كان بنو إسرائيل مستضعفين يفتقرون إلى الجدارة!

يريد الله تعالى أن يجعل المستضعفين ورثة الأرض وأئمة العالم في عملية الظهور! وهنا تُطرح عدة أسئلة: أولا، هل من المعقول أن يصبح المستضعفون أئمة الأرض وورثتها دون أن يتهيؤا لذلك ويكتسبوا الجدارة الكافية؟ وهل من الصحيح أن يصبح مَن لا جدارة له إماماً في الأرض ووارثا لها؟! أيُعقل ذلك؟! وفي هذا المجال أكتفي بذكر مثال واحد: كان «بنو اسرائيل» مستضعفين يفتقرون إلى الأهلية والجدارة! أنقذهم النبي موسى(ع)، وباتت النعم تهطل عليهم من السماء، وهلك أعداؤهم دفعة واحدة، لكن ماذا حدث بعد ذلك؟ ما إن غادرهم النبي موسى بن عمران(ع) أياماً قليلة ليعود بعد ذلك، حتى تحوّلوا إلى عبدة عجل! إلى هذا المستوى كانوا عديمي الأهلية. أين تأثير تلك المعاجز الإلهية الكثيرة إذًا؟ لقد أهلك الله سبحانه وتعالى أعداء بني اسرائيل بين ليلة وضحاها دون أي قتال، وأمام أعينهم! وكان الطعام يتنزل عليهم من السماء «على طريقة الخدمة الذاتية»! وكان ينبوع الماء يتفجر لهم في الصحراء! فقد انبثقتْ لهم اثنتا عشرة عيناً من الماء بإعجاز! هذه قصص القرآن وليست أساطير؛ يقول تعالى: «فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنا عَلَيْهِمُ الْغَمامَ وَأَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوى» (الأعراف/١٦٠) الهي لماذا تسرد علينا هذه القصص في القرآن؟ وكأنّ الله سبحانه يقول لنا: أترون صنيعي لهؤلاء القوم! فهل تظنون أنهم اهتدوا؟ انظروا ما أقَلَّ جدارتهم! فقد كنت أريد أن أجعلهم أئمة الأرض وورثيها لكنهم هلكوا جميعاً!

ما هو سبب الابتلاءات قبل الظهور؟ لنكتسب الجدارة والقابلية!

ماذا علينا أن نفعل في آخر الزمان حيث يريد الله أن يبعث آخر إمام؟ علينا أن نزيح الأعداء عن الطريق واحداً واحداً ليظهر مولانا! جاء في رواية عن الإمام الباقر(ع): «إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ الْمَهْدِيَّ لَوْ قَامَ لَاسْتَقَامَتْ لَهُ الْأُمُورُ عَفْواً وَلَا يُهَرِيقُ مِحْجَمَةَ دَمٍ. فَقَالَ: كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوِ اسْتَقَامَتْ لِأَحَدٍ عَفْواً لَاسْتَقَامَتْ لِرَسُولِ اللهِ(ص) حِينَ أُدْمِيَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ. كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى نَمْسَحَ نَحْنُ وَأَنْتُمُ الْعَرَقَ وَالْعَلَقَ ثُمَّ مَسَحَ جَبْهَتَهُ» (الغيبة للنعماني/ ص٢٨٣و٢٨٤). (وهو كناية عن الظروف الحربية الصعبة، حيث لا يكون لديكم الوقت الكافي لغسل الوجه في معمعة القتال..)، ولن يتحقق الظهور إلا بعد تعدّي هذه الصعاب والمشقات. ما هي الحكمة من هذه الإبتلاءات قبل الظهور؟ لكي نكتسب الجدارة والقابلية. اليوم لماذا يتبيّن أن بعض مسؤولي البلاد فاسدون؟ على كل حال ينبغي أن نكتسب نوعاً من الأهلية، كأن نعرف قيمة المسؤول الصالح، ونميّزه عن الفاسد، وننظر إلى المسؤولين في المجتمع بحساسية!

لا بـد أن نتهيـأ، فـإن أراد المسـتضعفون أن يصبحـوا أئمـة العـالم وورثـة الأرض فـلا بـد أن يبلغـوا مـن الأهليـة والقابليـة مـا يردعهـم عـن حـزّ رؤوس بعضهـم البعـض إن امتـدّتْ لهـم مائـدة الغنائـم! ينبغـي أن يتعاملـوا بشـكل صحيـح مـع الغنائـم والـثروات الموجـودة في الأرض والتـي يريـد اللـه أن يهبهـا للمسـتضعفين. إن أثـرَى أحدُهـم لا يشـتموه دونمـا سـبب، وإن أصبـح بعضهـم أثريـاء لا يسـمحوا ببقـاء فقـير في المجتمـع! وبالطبـع لا ينبغـي أن يـثرى أحـد عـبر الأسـاليب غـير المشروعـة.

لا بد للمستضعفين أن يُوجِدوا في أنفسهم الأرضية والجدارة ليصبحوا أئمة الأرض وورثتها

يعـبّر تعـالى في هـذه الآيـة الكريمـة عـن إرادتـه لجَعْـل المسـتضعفين أئمـة الأرض وورثتهـا: «نَجْعَلَهُـمْ أَئِمَّـةً وَنَجْعَلَهُـمُ الْوارِثيـنَ» (القصـص/٥). ولا بـد للمسـتضعفين الذيـن يريـدون بلـوغ درجـة إمامـة الأرض ووراثتهـا أن يكتسـبوا القابليـة والجـدارة، فقـد قـال تعـالى في الذكـر الحكيـم: «إِنَّ اللـهَ لا يُغَيِّـرُ مـا بِقَـوْمٍ حَتَّـى يُغَيِّـرُوا مـا بِأَنْفُسِـهِمْ» (الرعـد/١١)، فـلا يغـيّر اللـه مصـير قـوم حتـى يغـيّروا هـم مصيرهـم أوّلاً ويبـادروا لخلـق هـذا التغيـير. إن جَمَعنـا بـين الآيتـين فسـنخرج بهـذه النتيجـة: أيهـا المسـتضعفون، يـا مَـن يريـد اللـه أن يجعلكـم أئمـة ويجعلكـم وارثـين، عليكـم أنتـم أيضـاً أن تثـوروا للخـروج مـن ثقافـة الاسـتضعاف! هـذه هـي فلسـفة الجمهوريـة الإسـلامية أساسـاً! سـماحة الإمـام الخمينـي(ره) اقتبـس مفـردة المسـتضعفين مـن القـرآن الكريـم وأقحمهـا في أدبيـات المجتمـع السياسـية. هـذه هـي ثـورة المسـتضعفين ضـد المسـتكبرين. فـلا بـد للمسـتضعفين، في هـذه المـدة المتبقيـة للظهـور - والتـي سـتكون قصـيرة إن شـاء اللـه نظـراً لاكتسـاب هـذه الأمـة الجـدارة والقابليـة - لا بـد لهـم أن يهيئـوا في أنفسـهم الأرضيـة المناسـبة ويكتسـبوا الجـدارة اللازمـة لإمامـة العـالم ووراثـة الأرض.

شرطان لخروج المستضعفين من حالة الاستضعاف

هنـاك شرطـان لخروج المسـتضعفين من حالة الاسـتضعاف: الشرط الأول هو أن يكون نمـط حياتهم مطابقاً لنمـط الحيـاة الإسـلامية الصحيحـة. والـشرط الثاني هـو أن يكـون حُـكّام مجتمـع المسـتضعفين أصحـاب جـدارة وكفـاءة. وقـد تحدثنـا حول الشرط الأول في السـنة الماضية في هـذا المجلس بالـذات، والشرط الثاني هـو موضـوع حديثنـا في هـذه السـنة. في المجتمـع الدينـي ينبغـي أن يكـون وجهـا هـذه العملـة في قمـة السـلامة والصـواب: الأول كيـف تعيـش الرعيّـة؟ فـلا بد أن لا يسـمح نمطُ حيـاة الناس لأحد باسـتعبادهم بسـهولة. والأمـر الثـاني هـو أن لا يحـذو رُعـاة المجتمـع وحُكّامـه حـذو الطواغيـت في نمـط حياتهـم.

محـور الحديـث في السـنة الماضيـة كان يـدور حـول ضرورة تغييرنـا لنمـط الحيـاة ولا سـيما بالنسـبة لموضـوع «المعيشـة»، فـلا يـزول هـذا الاسـتضعاف إلا إذا كَـدَّ المسـتضعفون متكاتفين لكسـب معيشـتهم، فالإيمـان الـذي يحملـون يجعلهـم يتبادلـون الثقـة، وتديّنهـم يصونهـم مـن خيانـة أحدهـم للآخـر. فـإن أصبـح المسـتضعفون أثريـاء كل عـلى حـدة، فهـذا هـو النظـام الرأسـمالي بعينـه! فكيـف يخـرج المسـتضعفون مـن الاسـتضعاف دون أن يتحولـوا إلى مسـتكبرين؟ حـين يجتمع المؤمنون ومرتادو المسـاجد وأصحـاب المجالـس الدينيـة وينقـذون معيشـتهم متعاونـين! فـإنّ مـن ضعـف إيماننـا أن لا نثـق ببعضنـا البعـض ولا نعمـل سـوياً، كـما أنّ من عدم تديّننا أن لا نعمل! هذا هو ملخّص محاضراتنـا في العام الماضي.

اليوم هو أوان التمرّن على إمامة الأرض ووراثتها

بمـا أنـه مـن المفـترض أن يصبـح المسـتضعفون وارثي الأرض وأئمتهـا فـلا بـد أن يكتسـبوا القابليـة اللازمـة لذلـك قبـل الظهـور. واليـوم هـو أوان تمرّنهـم عـلى أن يكونـوا مـن أئمـة الأرض ووارثيهـا. ومـن خـلال هذا التمريـن، ينبغـي لأفـراد الشـعب أولاً أن يلتزمـوا بنمـط صحيـح للحيـاة حتـى لا يصنعـوا الطواغيـت. فـإن بدأنـا باسـتثمار أموالنـا بأنفسـنا بشـكل جماعـي وتعـاونيّ فسـنحُول دون ازدهـار اقتصـاد الريـع، وهـذه الطريقـة هـي أفضـل الطـرق لمنـع الريـع، وهـي التـي يعـبّر عنهـا السـيد القائد(حفظـه اللـه) بهـذه العبـارة: «الاقتصـاد ينبغـي أن يكـون شـعبياً»، أو كـما قـال سـماحته في الآونـة الأخـيرة مـن أن رائـد الأعـمال كالمجاهـد في سـبيل اللـه. يقـول تعـالى في القـرآن الكريـم: «إنَّ اللـه لايُغَيِّـرُ مـا بقـومٍ حتـى يُغَيِّـروا مـا بأنفُسـهم»، حسـناً، مـاذا علينـا أن نغـيره الآن؟ علينـا أن ننتفـض ونخـرج مـن حالـة الاسـتضعاف. فـلا يُستحسـن أن يكـون مجتمعنـا مسـتضعَفا، وبالطبـع لا ينبغـي أن يكـون مسـتكبِراً أيضـاً. لقـد شـاهدتم كيـف انحنـى العـالم لكـم إجـلالاً بمجـرد اسـتيلائكم عـلى إحـدى زوارقهـم وضَرب طائـرة مـن طائراتهـم! نعـم، يجـب عـلى المسـتضعفين أن يكتسـبوا هـذه القـوة والجـدارة ويتمكنـوا مـن الدفـاع عـن أنفسـهم.

القاعدتان الضروريتان لخروج المجتمع من حالة الاستضعاف:

إن قيـادة مجتمعنـا قيـادة دينيـة وقائدنـا هـو رجـل ديـن وفقيـه. فلـماذا طلـب سـماحته مـن الشـباب صانعـي الصواريـخ أن يصنعـوا صواريـخ نقطيـة؟ لتتحقـق هـذه الآيـة الشريفـة: «ونُرِيـدُ أَن نَّمُـنَّ عَـلَى الَّذِيـنَ اسْـتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ونَجْعَلَهُـمْ أَئِمَّـةً وَنَجْعَلَهُـمُ الْوَارِثِيـن». فالقائـد الدينـي، بطبيعـة الحـال، لا بـد وأن يبـذل قصـارى جهـده لتحقُّـق هـذه الآيـات. أَفَيقتـصر دور القائـد الدينـي عـلى تعليـم الصـلاة؟!

ما الذي يجعل قائداً دينياً، وعلى مدى عشر سنوات تقريباً، يُطلق على السنوات عناوين اقتصادية؟ لماذا يؤكد على الاقتصاد المقاوِم؟ لأنه ينبغي على القائد الديني أن يقود المجتمع ليخرج من حالة الاستضعاف، لأن الدين يريد لنا ذلك. ثمة قاعدتان ضروريتان لخروجنا من حالة الاستضعاف: الأولى أن يصلُح وضع الناس من ناحية المعيشة، والثانية أن يتم إصلاح الأساليب الإدارية التي يعتمدها المسؤولون في المجتمع. ولقد تحدثنا السنة الماضية عن القاعدة الأولى ونريد أن نتحدث هذا العام عن الإصلاح الإداري.

ثمة أصول لإدارة المجتمع لا تختلف عن أصول "إدارة الأسرة" و"إدارة الذات"

نريد أن نتحدث عن أصل الإدارة دون أن نخوض في السياسة بشكل مباشر. وسنبدأ من «إدارة الذات» لنفهم ما معنى هذا المصطلح أساساً؟ ثم نتحدث عن إدارة الأسرة، وهي أصغر مجتمع يعيش فيه كل إنسان، لنشاهد كيف تتجلى الإدارة في الأسرة؟ ثم نصل إلى إدارة المجتمع. هدفنا في هذه الأيام العشرة من محرم الحرام هو دراسة قواعد النجاح المشتَرَكة بين الإدارات الثلاث، إدارة الذات والأسرة والمجتمع، حتى يتبين أن المواضيع التربوية غير منفصلة عن المواضيع السياسية ويغدو واضحاً أن «تديّنَنا هو سياستنا ذاتها». هناك مبادئ أو أصول لإدارة المجتمع لا تختلف عن أصول إدارة الأسرة وإدارة الذات!

ينبغي أن نكون جميعاً على إلمام بأساليب الإدارة حتى لا يخدعنا أي مدير

حسنا لماذا نريد أن نتكلم الآن عن الإدارة؟ هذه الآية الكريمة هي إحدى الأسباب: «وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً». إنّ من المفترض أن تصبح إماماً، وأن تصبح مديراً، وأن تكتسب الكفاءة اللازمة للإدارة. بالطبع ليس المقصود من هذا الكلام أن يتولّى الجميع مناصب إدارية، فلا يمكن أن يصبح الجميع مديرين وحُكّاماً، لأنه لا يحكم أكثر من حاكم واحد في كل مدينة. لكن إن كان الجميع مؤهلين للحكم فلا يستطيع الحاكم المماطلة في شؤونهم واللعب عليهم في تلك المدينة! لأن قاطبة الناس خبيرة بأصول الإدارة ولا يمكن خداعها. لا بد أن نكون جميعاً مؤهَّلين للإدارة ومُلمّين بها حتى لا يحتال علينا أي مدير. فإن أراد المستضعفون الخروج من حالة الاستضعاف توجَّب عليهم أن يكونوا على إلمام بالسياقات الإدارية، حتى إذا تولّى مديرٌ أمرَهم يدرك أنه لا يمكن خداعهم! أو إذا حدّثته نفسُه باتخاذ قرار خاطئ يخشاهم، لا أن يتّخذهم هُزُواً ويسوسهم بمنطق المشاهير وإطلاق التُرّهات!

لماذا يحكمون الناس في الغرب من خلال تضليل الرأي العام؟ لأن الناس لا يعرفون أساليب الإدارة فينخدعون

لماذا يحكمون الناس في الغرب من خلال تضليل الرأي العام؟ لأن عامة الناس لا تعرف أساليب الإدارة فبات الرأي العام كدمية في أيدي الحكام. بل إن الكثير من الناس لا يحلمون حتى أن يحلّوا محل مدير أو مسؤول غربي، فترى لسان حالهم يقول: أعطونا رغيف العيش فقط ولا تهمنا باقي الأمور! هذا هو الحال في المجتمع الغربي، لكن في مجتمع صاحب الزمان(عج) يصبح المستضعفون «أئمة»! يصبح المستضعفون «وارثين». هذا ما جاء في آيات القرآن، فلماذا لا نسير في هذا الاتجاه؟! لا بد أن يحيط الجميع بأصول الإدارة، ينبغي أن تُعلَّم هذه الأصول وتُدرَّس في رياض الأطفال والمدارس الإبتدائية حتى يتعلّمها الجميع. فليصبح جميع الناس مسئولين وليتحوّلوا إلى أشخاص يعيشون الحالة الإدارية.

لكي يصبح المستضعفون أئمة لا بد أن يكون الجميع على إلمام بالإدارة

لكي يصبح المستضعفون أئمة لا بد أن يمتلك الجميع موهبة الإدارة، والعقلية الإدارية، والخطاب الإداري، والقابلية الإدارية، فأيّاً أراد الإمام(ع) تعيينه في الصدارة كان كل واحد أكثر استحقاقاً من الآخر! هكذا تنجو الأمّة، فلن يتحقق الفرج بعدد قليل من الجديرين إن كانت الغالبية تعاني من السذاجة وعدم الكفاءة والجدارة! ما خلقَنا اللهُ سبحانه وتعالى لنكون نعاجاً، لا أن نكون نعاجاً نجَتْ من مخالب الذئب لتقع تحت رحمة إنسان! كلا، إن الله تعالى يريد أن يجعل منا جميعاً أناساً راقين. وعندها يقول كلٌّ من هؤلاء الراقين: «على الرغم من جدارتي الكافية للقيام بمائة عمل آخر إلا أن دوري الآن هو إنجاز هذه المهمة لأني كُلّفت بذلك، لأن إمام زماني يطلب ذلك...». تصوّروا ما ألذَّ هذا النمط من الحياة! كان أبو الفضل العباس(ع) يتمتع بجدارة تُؤَهّله لزعامة العالم بأسره، وليس قيادة عسكر أبي عبد الله الحسين(ع) فحسب. لكن الإمام الحسين(ع) كلّفه بجلب الماء، فتصوّروا كم كان رائعاً شعور العباس(ع) في تلك اللحظة..

انزع عن قلبك حب الرئاسة حتى تتأهل للإدارة ولفهمها

نسأل الله أن يجعلنا من أئمة الأرض إن شاء تعالى، دونما حبٍّ للرئاسة أو طمع في التسيُّد على الآخرين. نسأل الله أن يهبنا هذه القابلية مع حُبّ خدمة الآخرين وحُبّ أن نكون التراب الذي تحت أقدام مُحِبّي الإمام(عج) ومديري دولته! أن نُسْلِم الروحَ إلى بارئها مغمورين، فيأتي مولانا الحجة بن الحسن العسكري(عج) إلى مصرعنا ويقول: إن هذا الغريب الذي ترونه كان بإمكانه إدارة العالم بأسره لو أُعطيه! إننا نريد إحياء هذا الحب في نفوسنا كما نريد تنمية جميع تلك المواهب والقابليات بموازاة ذلك. فلا تطلب الرئاسة حتى تحيط بها علماً وتكتسب قابلياتها وقدراتها ومؤهّلاتها!

بسم الله الرحمن الرحيم

آخر استعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٢)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: محرم ۱۴۴۱

المكان: طهران، جامعة الإمام الصادق(ع)

الموضوع: الاستعداد للظهور،

إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٢)

التاريخ: ١/ محرم الحرام /١٤٤١، ١/ ٩ /٢٠١٩

لماذا يُعد إصلاح الإدارة في المجتمع آخر استعداد للظهور؟ / نماذج خمسة من استعدادات الظهور التي تحققت في عصرنا الحاضر / على الناس أن يكونوا على إلمام بأساليب الإدارة حتى يميّزوا المدير الصالح من الفاسد

حينما نقول "إن آخر استعداداتنا للظهور هو إصلاح الوضع الإداري" فهذا يعني أن النقص الكبير الذي نعاني منه يكمن في هذه النقطة بالذات وأن استعداداً نسبيّاً للظهور في المجالات الأخرى قد تحقق. هذا هو أهم نقص نعاني منه وإن أزلناه سيتحقق آخر استعداد للظهور.

إن آخر استعداداتنا للظهور هو "إصلاح الإدارة" وهنا تكمن نقطة ضعفنا الكبرى!

يدور موضوع حديثنا حول «آخر استعداد للظهور»، فلماذا نقول «إن آخر استعداد للظهور هو الاهتمام بموضوع الإدارة» وقد كان بإمكاننا القول إن هذا الأمر هو أحد هذه الاستعدادات؟ حين نقول «آخر استعداد» يعني لا يوجد بعد ذلك عامل آخر وقد تحققت قبله جميع العوامل الأخرى الضرورية للاستعداد للظهور.حين نقول «إن آخر استعداداتنا للظهور هو إصلاح الإدارة» فهذا يعني أن النقص الكبير الذي نعاني منه يكمن في هذه النقطة بالذات وأن النهضة الحقة يجب أن تتحقق في هذا المجال، فقد تحقق الاستعداد النسبي وبالمقدار اللازم في باقي المجالات.

ما هي العوامل التي تهيئُنا للظهور؟ / التمهيد الأول للظهور هو أن يضيق الناس ذرعاً بالظلم

حين نتحدث عن «العامل الأخير» لا بد أن نأخذ بنظر الاعتبار ما هي العوامل الأخرى التي تهيئنا للظهور؟ سنحصي هنا بعضاً منها: من العوامل التي تهيّئ عصرَنا الحاضر للظهور هي أن يزيد الظلم (وبالطبع هذا العامل لا يتعلق باستعدادنا نحن، بل يهيّئ عصرنا فقط)، واليوم تشاهدون إلى أي مدى بلغ الظلم في العالم. إنّ من الخِسّة بمكان أن يدّعي المرء بأن الظلم لم يزدَد في العالم! فالقنابل التي تُلقى على الشعب اليمني نموذج صغير من هذه المظالم، والمجازر في كشمير، وعمليات السلب والنهب التي يمارسها مستكبرو العالم ضد الشعوب الإسلامية، وجرائم الدواعش والتكفيريين، بل والحصار المفروض علينا من قبل الأعداء والذي يحول دون نيلنا حقوقنا كلها نماذج صغيرة من هذه المظالم. هناك نماذج كثيرة من هذه المظالم وقد ضاقت البشرية بها ذرعاً في عصرنا الحاضر، كالشعب الفرنسي على سبيل المثال الذي ما زال مستمراً باحتجاجه ولم يترك مظاهراته الأسبوعية. إن أول تمهيد للظهور هو بلوغ مرحلة الجزع من الظلم. وبالطبع لو زاد الظلم دون أن يشعر به أحد أو يتألم منه فلا يُعد هذا تمهيداً للظهور. لكننا نلاحظ اليوم في العالم أنه بالفعل قد ضاق الناس ذرعاً بالظلم والتعسف.

التمهيد الثاني للظهور هو وصول البشرية إلى "فراغ نظري"

من التمهيدات الأخرى للظهور - والتي تُعد ضمن أهم العوامل - هو أن يعجز الجميع عن تقديم حل لإدارة المجتمعات الإنسانية. واليوم نلاحظ أنه لم يعد يوجد في العالم من يقدم حلولا لذلك! حتى تلك الفئة من المفكرين الغربيين التي كانت تدعي: «أن الديمقراطية هي نهاية العالم»، سحبت كلامها قائلة: «إن الديمقراطية ليست نهاية العالم!» وهذا يعني أن مُنظِّري نظام الهيمنة قد تراجعوا عن مواقفهم وبات صمت مميت يسيطر على العالم بأسره! كان «الجزع من الظلم» هو أول تمهيد للظهور. أما التمهيد الثاني فهو أن يكون الظلم موجوداً اليوم دون أن تكتشف البشرية حلاً لردعه! لقد أدركت البشرية اليوم أن الديمقراطية ليست هي الحل وأن الرأسمالية والليبرالية والنيوليبرالية لا تجدي نفعاً ولم يعد لشعاراتها بريق ورونق. البشرية اليوم تواجه هذا الفراغ النظري وتنتظر مجرد شرارة وليس انفجاراً! إنها تنتظر بصيص أمل. الجميع يبحث عن نموذج، ونحن لا نعرف أن نقدم لهم نموذجنا ونوضحه بلغة عالمية!

كانت حوزاتنا العلمية وجامعاتنا تعاني من الضعف في "إيصال رسالة الدين إلى أهل العالم عبر لغة عالمية"

إن عجزجامعاتنا وحوزاتنا، و«الحوزات العلمية» بالدرجة الأولى، عن إيصال رسالة الدين إلى أهل العالم بلغة عالمية هو مؤشر على ضعفها للأسف. نحن عاجزون عن تبليغ ديننا إلى أهل العالم! فلا يجوز أن نبلّغ ديننا بأسلوب يتصور المستمع من خلاله أننا نريد إجباره على «أن يُسلِم أولا!» فبالطبع لا يتقبل الأشخاص تغيير دينهم بهذه السهولة! لقد كان لي حوارات مع مفكرين روس وبعض النخب الفرنسية - كان معظمهم مسيحيين – وكانت كلا الفئتين تُعرب في بداية الحوار عن قلقها من أن نكون بصدد تعريفهم بديننا ودعوتهم إلى الإسلام! ولذلك فقد شرحت لهم «بأننا لا نريد منكم أن تُسلموا أبداً!» وقدّمت لهم أدلة على ذلك. ومن الأدلة التي قدمتها لهم هي: أننا إن تكلمنا عن الحجاب فأسلمتم وتكلمتم عن الحجاب أيضاً، فستتضاءل قدرتنا على ترسيخ ثقافة الحجاب في العالم، لأن الجميع سيقول: «إن المسلمين هم من يريدون الحجاب!» لكنكم إن بقيتم على المسيحية وطالبتم بالحجاب باعتباركم مسيحيين فستزداد قدرتنا، لأن ما سيرسخ في الأذهان هو أن «قاطبة الأديان تبغي الحجاب المناسب وليس المسلمون فحسب!» وسنقول آنذاك لمخالفي الحجاب: «انظروا! إن جميع الأديان تريد الحجاب فلماذا تستهزئون به؟!» فالكثير من الحلول التي يطرحها ديننا لنمط الحياة يمكن تبيينها من منطلقات عقلية، ويتسنى لكل شخص، بغض النظر عن دينه، أن يقوم بدراسة هذه الحلول بعقله وأن يفهمها ويتبنّاها، وليس بالضرورة أن يعتنق الإسلام لتبنّيها.

نحن لم نستطع بعد أن نقدم أروع جوهرة في الدين أي "الولاية" كحل عالمي لحياة البشرية

الحـوزة العلميـة التـي تمتلـك أروع جوهـرة في الديـن وهـي «الولايـة»، لم تسـتطع تقديمهـا كحـل عالمـي لحيـاة البشريـة ولا الـكلام في مكامـن جمالهـا. فعجـزت، عـلى سـبيل المثـال، عـن توضيـح أنّ «هـذا النمـط مـن الحكـم (الـولائي) قـد حـلّ معضلـةَ مفارقـةِ الديمقراطيـة!» حتـى جامعاتنـا عجـزت عـن تسـليط الضـوء عـلى هـذا الموضـوع مـن خـلال الأدبيـات التجريبيـة الجامعيـة، وهـذه نقـاط ضعـف نعـاني منهـا! حتـى هـذا الحـدث الجلـل الـذي حققـه الإسـلام في بلادنـا (وهـو ولايـة الفقيـه وسـيادة الشـعب الدينيـة) نحـن لم نشرحـه للآخريـن بلغـة عالميـة وبخطـاب فـوق دينـي، بـل حتـى في جامعاتنـا نحـن لم نوضـح، عـبر خطـاب تجريبـي فـوق دينـي، ماهيـة هـذا الحـدث وهـذه التجربـة التاريخيـة التـي توصلنـا إليهـا. هـذا وقـد صرنـا منـذ مـدة قريبـة نسـمع كلامـاً لافتـاً للنظـر مـن بعـض المفكريـن الأجانـب، حيـث إنهـم أخـذوا ينظـرون إلى بلادنـا ونظـام حكمنـا مـن الخـارج وبـات متخصّصوهـم يتحدثـون أحيانـاً عـن أمـور مـن المفـروض أن تُـدَّرس في جامعاتنـا أولاً، بيـد أنـه لم يتطـرق إليهـا أحـد لحـد الآن! عـلى سـبيل المثـال، أخـذ بعـض المفكريـن والمحللين الأجانـب يتكلـم حـول أنـه كيـف تمكنـت الجمهوريـة الإسـلامية مـن التوفيـق بـين الديـن والديمقراطيـة، وهـم يقدمـون تحاليـل لطيفـة في هـذا المجـال، وعـبر رؤيـة مـن خـارج الديـن والنظـام الحاكـم! بعبـارة أخـرى، بـات مفكّروهـم يدافعـون عـن أوضاعنـا قائلـين «هـذا هـو سر قـوة إيـران...» يعـاني العـالم مـن فـراغ نظـري ويبحـث عـن حلـول، والحـل عندنـا نحـن، وهـو الحـل الـذي سـيتوصل إليـه العـالم في نهايـة المطـاف. لكننـا لم نسـلط الأضـواء عـلى هـذا الحـل ولم نشرحـه بشـكل كامـل، لا لأنفسـنا ولا للآخريـن!

التمهيد الثالث للظهور هو أن لا يشعر الناس بـ"الحسد تجاه ولي الله"

مـن الممهّـدات والاسـتعدادات الأخـرى لتحقـق الظهـور هـي ترفُّع الناس عن حسـد وليّ اللـه الأعظم(عج) وتأهّبهـم روحيّـاً لقبـول ولايتـه. فـلا بـد أن يتوفّـروا عـلى اسـتعداد روحـي لاجتثـاث هـذا الحسـد مـن نفوسـهم؛ أي أن تُحَـلّ قصـة الحسـد التاريخـي في حيـاة البشريـة الـذي كان قابيـل يحملـه تجـاه هابيـل. إن قصـة هابيـل وقابيـل التـي جـرت عنـد بـزوغ فجـر البشريـة تـروي لنـا في الحقيقـة «الحسـد تجـاه وليّ اللـه». وقـد أشـار أمـير المؤمنـين(ع) في كتـاب لـه إلى معاويـة إلى أنـه كان ثمـة منـذ البدايـة تيـار مـن الحسـد لأوليـاء اللـه. ثـم أخـذ(ع) يعـدّد الأنبيـاء واحـداً تلـو الآخـر ضاربـاً مـن حسـد إخوة يوسـف مثلاً إلى أن يصـل إلى حسـد معاويـة لـه(ع) فيخاطبـه قائـلاً: إنـك تضمـر لي نفس الحسـد يـا معاويـة! «قَابِيلُ قَتَـلَ هَابِيـلَ حَسَـداً فَـكَانَ مِـنَ الْخَاسِرِينَ...فَقَـدْ أَبْدَيْـتَ عَدَاوَتَـكَ لَنَـا وَحَسَـدَكَ» (الغـارات/ج١/ص١٢٠)

الناس عبر التاريخ عَلِقوا خلف بوابة الحسد لولي الله!/ تجاوز الناس هذه العقبة في عصرنا الحاضر

استناداً إلى كلام أمير المؤمنين(ع)، قامت الأقوام الماضية بتهميش أنبيائها إثر هذا الحسد تجاه ولي الله. لا بد من حل لهذه المشكلة التاريخية ليظهر صاحب الزمان(عج)، وهو لن يظهر(ع) ما لم تنحل مشكلة الحسد هذه، لأن المفتاح الأخير (لحل جميع المشاكل) هو بيد ولي الله وعليك أن تبلغ ذاتيّاً من الرُقِيّ ما يؤهّلك لتقبّل أفضلية وليّ الله وتفوّقه! وللأسف كان الناس عبر التاريخ عالقين خلف بوابة الحسد لولي الله، بيد أنه نستطيع أن نزفّ إليكم هذه البشرى وهي أن الناس في عصرنا الحاضر قد تجاوزوا هذه العقبة! لقد نضجوا فكرياً. انظروا إليهم في الأربعين كيف يتجمّعون حول مرقد أبي عبد الله الحسين(ع) إجلالاً واحتراماً لولي الله! مجالس عزائكم الحسينية هذه هي أيضاً مؤشّر على أن البشرية قد تخطّتْ على نحو تاريخي حقبةَ التوقف خلف بوابة الحسد الذميمة! وزيارتكم الأربعينية دليل آخر على ذلك؛ انظروا كيف يتفانى الناس في الأربعين لخدمة عُشاق الحسين(ع) ومُعَزّي مأتمه! وتلاحظون اليوم كيف أن هذا الحسد قد تضاءل إلى حد كبير على مستوى جماهير الشعوب المليونية وعلى مستوى النخبة أيضاً. وقد تجاوزت البشرية اليوم هذه العقبة وهي مستعدة لقبول النظام التسخيري، ولا يمكن بأية حال من الأحوال أن تعود شعوب العالم إلى حقبة الحسد لأن ما حدث هو نضج تاريخي لحياة البشرية. وهذا هو استعداد وتمهيد آخر للظهور.

التمهيد الرابع للظهور هو أن يبلغ تديّن الناس وروحانيّاتهم المستوى المطلوب

الاستعداد الآخر المطلوب للظهور هو نضج الناس على مستوى الروحانيات والتدين والأخلاق وابتعادهم عن الذنوب. فهل بلغ تدين الناس ذلك المستوى الذي يمهّد لظهور صاحب الزمان(عج)؟ نعم، يكفي هذا القدر من التدين والروحانيات السائدة بين الناس. فماذا تتوقعون؟ أخشى أن تتوقعوا أن يصبح الناس جميعهم في مستوى آية الله العظمى البهجت(ره)؟! «الروحانيات» تعني الشعور المعنوي الحسن، والحب لأولياء الله، والمعتقدات الدينية والإيمان بالله و..الخ. و«التدين» يعني التزام الإنسان بهذه الأمور عملياً. برأيي إن هذا القدر من التدين والروحانيات - رغم جميع الآفات التي نعاني منها - كافٍ لاعتبار المجتمع مستعداً للظهور! فصاحب الزمان(عج) لا يتوقع مِنّا أكثر من ذلك! لو بادرَ رجالُ دولتنا، ولو بِدءاً من هذا اليوم، لتحسين أدائهم فسيتضاعف تديّن الناس ويتحسّن بوتيرة متصاعدة. فاليوم يعود عدم الالتزام بالدين عند الكثير من الناس إلى المشاكل الاقتصادية الناجمة عن سوء تدبير مسؤولينا الحكوميين.

إن شعبنا على مستوى التدين الفردي مستعد للظهور. بالطبع من الجيّد أن نقول واعظين: «هلموا لنترك المعاصي ليتلطف بنا صاحب الزمان(عج) ويقترب أوان ظهوره. فذنوبنا هي التي تؤجّل فرج مولانا و...» لكن يبدو أن هذا المستوى من التدين في مجتمعنا، مع كل هذه المشاكل والعوائق، ...الخ، الموجودة في سبيله، يكفي للظهور. وأرجو أن لا يستغل البعض هذا الكلام كذريعة لإشاعة التحلّل الأخلاقي وعدم الالتزام بالدين، زاعمين بأن «فلاناً» قال: «حتى هذا المقدار من التديّن كثير علينا!»

الاستعداد الخامس للظهور هو أن "نتمنى الظهور ونضج بالتضرّع لأجله"

ما هو الاستعداد الآخر الضروري للظهور؟ هو أن نتمنّى الظهور. انظروا إلى معدّل زائري مسجد جمكران فقد يقارب عدد زوّار الإمام الرضا(ع)! وأحياناً يأتي بعضهم من مسافات بعيدة جداً. سيدي يا بن الحسن! هؤلاء يتمنونك حقاً! إلى أي مدى يجب أن نضجّ ونبكي؟! بالطبع كلما زاد تضرّعنا كان أفضل، ولكن إن كان ضجيجنا وعويلنا قليلاً، فانظروا إلى الشام والعراق، انظروا إلى لبنان والبحرين وسجونها، انظروا إلى الشعب اليمني الرازح تحت وطأة القنابل، انظروا إلى صرخات أهالي كشمير، إلى عويلهم والمجازر التي تُرتكب في حقهم! أنا شخصياً أرى أننا قد بلغنا الأُهبة اللازمة للظهور في جميع المجالات التي سبق أن قلنا إننا يجب أن نكون فيها مستعدين للظهور، وبالطبع أعتقد أيضاً أن هذه الأُهبة لا بد وأن تزداد في جميع هذه المجالات، وكلما ارتفع نضجنا الفكري وزادت جهوزيتنا كان أفضل. لكن الخلل الرئيس الذي نعاني منه ليس أيّاً من هذه الأمور. إذاً فما هو؟ هناك قضيتان ينبغي أن نكتسب فيهما أيضاً الاستعداد وقد تحدثت عن إحداهما في مجلس السنة الماضية، أما الثانية والأهم فسنشرحها هذا العام في هذه المحاضرات.

إحدى الاستعدادات المهمة للظهور هي بلوغ المؤمنين مرحلة النضج في الحياة الجماعية إن لدينا نقصاً في هذا المجال!

تُعد علاقة المؤمنين مع بعضهم البعض من الاستعدادات البالغة الأهمية للظهور، وقد تحدثنا عنها في السنة الماضية، وما زلنا، في هذا المجال، نعاني من نقص ولم نبلغ النضج الكافي. لا بد لإنتاج الثروة وريادة الأعمال من أن نمارس نشاطات اقتصادية جماعية ولا نكتفي بالمشاريع الخيرية! ولا يكفي أن نقوم بأعمال جهادية من تلك التي نذهب فيها إلى بعض القرى ونعمّرها ثم نعود أدراجنا، بل ينبغي أن نتشارك معاً في جَنْيِنا للأموال. علينا أن نقوّي أنفسنا على صعيد الحياة الجماعية من حيث كل من إصلاح المعيشة، والاقتصاد المقاوم، ومحاربة الفقر في المجتمع.

أيها الطالب الحوزوي وأيها الطالب الجامعي! فليضع كل منكم يده في يد الآخر في بيئاتكم الدينية ولتطلقوا مشروعاً اقتصادياً! إن هذا لجزء مهم من الدين! أظهِروا تدينكم في هذا المجال! اجتمعوا وأسسوا شركة تعاونية وباشروا مشروعاً إنتاجياً.

نحن نقيم مواكب العزاء معاً، لكننا لا نتشارك في انشاء مشروع إنتاجي!

على الكوادر المتدينة والثورية أن تباشر نشاطات اقتصادية وتكسب المال. أمَا كان الإمام الصادق(ع) يفعل ذلك؟ إذاً فمن أين كان يحصل على المال وينفقه؟! نحن نعاني من هذا النقص! فترانا نقيم مواكب العزاء معا لكننا لا نؤسس موكبا للإنتاج أو مجموعة إنتاجية! نحن ذهبنا للجهاد بشكل جماعي في أوان الدفاع المقدس، لكننا لم نمض للجهاد الاقتصادي بشكل جماعي. وكما قال سماحة القائد حفظه الله، فإن رائد الأعمال هو مجاهد! وهذا الجهاد متاح لنا اليوم وينبغي أن يتجه الناس صوب ريادة الأعمال، وريادة الأعمال بطبيعة الحال تنتج الثروة. ونحن في غنى عن القول إنه لا ينبغي أن يكون إنتاج الثروة عبر الأساليب الخاطئة كالريع والسرقة وأمثالها، فهذا أمر واضح!

أتمنى أن يحاكَم المسؤولون الذين يعرقلون أمور الناس!

أما النقص الثاني الذي نعاني منه، وهو أهم من الموضوع الأول، هو موضوع الإدارة على مستوى المجتمع. فحين يتكلم أحد عن ريادة الأعمال، يقول الكثيرون: «نحن نريد إطلاق مشاريع ريادة الأعمال ولا نستطيع، لأن المسؤولين يضعون شتى العراقيل في طريقنا بحيث نعجز عن اجتيازها!» لماذا تحتل بلادنا صدارة العالم تقريبا في صعوبة إطلاق المشاريع التجارية؟ هذا وقد نبّه سماحة السيد القائد مراراً إلى ضرورة رفع الموانع عن سبيل الإنتاج وريادة الأعمال والمشاريع التجارية. مثل ما أن السرقة والريع يُعدّان من الجرائم ويتم القبض على المتورطين فيهما ومحاكمتهم، أرجو أن يأتي اليوم الذي يتم فيه القبض على كل مسؤول يعرقل تسيير أعمال الشعب، ومحاكمته.

لا بد أن يكون جميع أفراد الشعب على إلمام كاف بـ "الإدارة الصالحة في المجتمع"

إن آخر استعداد للظهور هو أن يصلُح مديرو المجتمع ويتحسن أسلوب الإدارة فيه. هذا هو الاستعداد الأخير لأن قضية الظهور ودولة صاحب الزمان(عج) تعتمد على إدارة المجتمع، فلا يظهر الإمام(ع) للابتهال والدعاء فحسب!

هـل تتصـورون أنـه لـو كان النـاس غـير مؤهلـين فسـيأتي الإمـام(ع) بـ ٣١٣ مديـراً من السـماء قائـلاً: «أيها النـاس! ليـس مـن الـضروري أبـدا أن تدركـوا أنتـم مفهـوم الإدارة ولا أن تفهمـوا الفـرق بـين المسـؤول الصالـح والفاسـد! فأنـا سـأعيّن لكـم مسـؤولاً صالحـاً وسـأصلح جميـع الأمـور!» حسـنا، لـو كانـت الأمـور تسـتقيم بهـذه الطريقـة لـكان مـن الأولى لرسـول اللـه(ص) والإمـام عـلي(ع) أن يُصلحـا جميـع الأمـور منـذ صـدر الإسـلام! أيُعقـل أن يحكمنـا ٣١٣ مسـؤولاً صالحاً ونكـون أهلاً لسـيادتهم علينـا دون أن نفقه، أنـا وأنـت، شـيئاً مـن أسـلوب الإدارة الصالحـة؟ فبمجـرد معرفتـك بمـا ورد في الروايـات مـن أنـه سـيحكم الأرض ٣١٣ حاكـماً، عليـك أن تقـول: «لا بـد أن أدرس الإدارة لأميّـز المديـر الصالـح عـن غـيره.» نعـم، لا بـد أن يكـون كل فـرد في مجتمعنـا عـلى إلمـام كاف بموضـوع الإدارة الصالحـة في المجتمـع، مثـل مـا ينبغي أن نجتهـد لـكي يعـرف أفـراد المجتمـع جميعـاً اللـه عـزّ وجـل ويعبـدوه ويتقنـوا أداء الصـلاة و..الـخ.

إن آخر استعداد للظهور هو أن نتمكن من إصلاح وضع الإدارة في المجتمع / لا يكفي أن لا يكون المدير لصّاً!

إن آخـر اسـتعداد للظهـور هـو أن نتمكـن مـن إصـلاح وضـع الإدارة في المجتمـع. فـأن نلقـي القبـض عـلى المسـؤول السـارق عـبر بضعـة مناشـدات ومطالبـات بالعدالـة لا يشـكل أكـثر مـن خمسـة بالمائـة مـن القضيـة! لا يكفـي أن يكـون المديـر نزيهـاً فحسـب. فـما الـذي سـيصنع هـذا المديـر النزيـه غـير السـارق؟ ألا ينبغـي أن يُتقـن التخطيـط والبرمجـة؟ ألا يجـب أن يُحسـن التدبـير؟ أَوَيكفـي أن يزعـم بأنـه يتمتـع بهـذه الكفـاءات ويكتفـي بالـكلام عنها فقـط! فهـل يكفـي أن يكـون مـدرّب كـرة القـدم نزيهـاً لا يـسرق؟! كلا، هـذا غـير كاف، فـلا بـد أن يعـرف كيـف يديـر الملعـب ويتقـن إعـداد خطـة اللعـب، ..الـخ.

لا بد أن يعرف الناس أسلوب الإدارة لتمييز المدير الصالح عن الفاسد

لا بـد أن يعلـم النـاس مواصفـات المديـر الصالـح الكفـوء وأن يميـزوه عـن المديـر الفاسـد. وينبغـي أن يعـرف أهـل العـالم أن هـؤلاء الـ ٣١٣ قائـداً، هـم أكـثر النـاس كفـاءة، دون أن يخبرهـم صاحـب الزمان(عـج) بذلـك، وأن يدركـوا السـبب في كونهـم أكـثر النـاس كفـاءة وجـدارة ومـا هـو سـبب حُسـن سـلوكهم. ولمـاذا يُعـد الآخـرون غـير كفوئـين، وأن كل أسـلوب أو عمـل غـير مـا يقـوم بـه هـؤلاء هـو غـير صائـب؟ لا بـد أن يعلـم النـاس هـذه الأمـور حتـى يتحقـق الظهـور. هـذا هـو الاسـتعداد للظهـور!

علينـا أن نـدرك مفهـوم الإدارة حتـى إن كنـا لا نريـد تولّيهـا، وإلا فسـيتولّى الإدارة مديـرون يتلاعبـون بنـا عـبر الأسـاليب الشـعبوية والتهريـج. هـل تعلمـون متـى سـتتأهل البشريـة ليحكمهـا الحـكام الــ٣١٣ عـلى الأرض؟ حـين تكـون قـادرة عـلى تمييـز الحاكـم العـادل والجديـر عـن الحاكـم غـير الجديـر. فـإن نطـق شـخص بحـرف واحـد في مجـال السياسـة، سـيدرك النـاس مغـزى كلامـه كلـه دون أن يتفـوّه بـه. في مثـل هـذه الظـروف سـيكون النـاس مؤهلـين للظهـور.

لماذا نعاني من النقص في إصلاح أوضاع الإدارة في المجتمع؟

لا بـد أن نعـرف أسـلوب الإدارة الصحيحـة والخاطئـة ونميّـز الفـرق بـين المسـؤول الصالـح والفاسـد. فـإن عرفنـا ذلـك سـتصلح الإدارة في المجتمـع. هـذا هـو النقـص الأهـم الـذي نعـاني منـه في عصرنـا الحـاضر والـذي إن أزلنـاه سـيتحقق آخـر اسـتعداد للظهـور. فالنقـص الـذي نعـاني منـه اليـوم في حقـل الإدارة يفـوق النقائـص في جميـع المجـالات الأخـرى. لكـن مـا هـو السـبب يا تـرى؟ لمـاذا لم تتحقق بعـد توقعات إمـام زماننا(عـج) مِنـا في هـذا المجـال؟ السـبب يعـود إلى حـال عمليـة اقتراعنـا الانتخـابي هـذه ووضـع مسـؤولي بلادنـا الـذي نـراه! روي عـن أمـير المؤمنـين(ع) أنـه قـال: «فَلَيْسَـتْ تَصْلُـحُ الرَّعِيَّـةُ إِلَّا بِصَـلَاحِ الْـوُلَاةِ» (الـكافي/ ج٨/ ص٣٥٣) فـلا يصلـح الشـعب إلا بصـلاح المسـؤولين. ثم يقـول(ع): «وَلَا تَصْلُـحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْـتِقَامَةِ الرَّعِيَّـةِ»، أي إن المسـؤولين لا يصلحـون إلا إذا أصلحهـم الشـعب! (فالمقصـود مـن اسـتقامة الرعيـة باختصـار هـو أن الشـعب نفسـه ينبغـي أن يُصلـح مسـؤوليه)، بناء على ذلـك فإن علينـا أن نعرف مميّـزات المسـؤول الصالـح معرفـة دقيقـة وأن نـولّي مثـل هـؤلاء المسـؤولين إدارةَ المجتمـع. ثم يقـول(ع): «فَـإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّـةُ إِلَى الْـوَالِي حَقَّـهُ وَأَدَّى الْـوَالِي إِلَيْهَـا حَقَّهَـا عَـزَّ الْحَـقُّ بَيْنَهُـمْ» فـإن أدّى الشـعب حـق الحاكـم وكان الحاكـم صالحـاً أيضـاً وأدّى حـق الشـعب، سـيغدو الحـق عزيـزاً بـين الشـعب والمسـؤولين. فـأن يكـون الحـق عزيـزاً بـين الشـعب والمسـؤولين يعنـي سـوف لا يتجـاوز أيٌّ منهـما الحـق لأنـه بـات جـزءاً مـن ثقافتـه. فالحـق عزيـز ولا يتجـرأ أحـد أن يتعـدى عليـه. في مثـل هـذه الظـروف، سـيكون الحـق عزيـزاً وسـيلتزم كل مـن الشـعب والمسـؤولين بحقـوق بعضهـما البعـض دون أن تكـون هنـاك ضرورة للرقابـة أو اسـتخدام القـوة أو سـنّ القوانـين الإضافيـة. ويسـتمر الإمـام(ع) بقولـه: «فَصَلَـحَ بِذَلِـكَ الزَّمَـانُ»، أو، عـلى حـد قولنـا، سـيظهر صاحـب الزمان(عـج) آنـذاك. «وَطَـابَ بِـهِ الْعَيْـش» وتصبـح الحياة رغـدة هانئـة. «وَطُمِـعَ فِـى بَقَـاءِ الدَّوْلَة»، أي سـتظهر دولة مسـتقرة صالحـة. «وَيَئِسَـتْ مَطَامِـعُ الْأَعْدَاءِ» وسـوف لا يطمـع فيهـا الأعـداء. هـذه جميعـاً مواصفـات دولـة مولانـا صاحـب العـصر والزمان(عـج).

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٣)

عليرضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: محرم ١۴۴١

المكان: طهران، جامعة الإمام الصادق(ع)

الموضوع: الاستعداد للظهور،

إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٣)

التاريخ: ٢/ محرم / ١٤٤١ – ٢/ ٩/ ٢٠١٩

ما هو سبب أهمية الأسرة إلى هذه الدرجة في آخر الزمان؟/إذا أراد المجتمع المستضعف أن يستقوي فلا بد أن تستقوي الأُسرة / ينشأ ضعف المجتمع مقابل الطواغيت من ضعف الأسرة / هل كانت أوضاع الأسرة جيدة سابقاً حين كانت ذات طابع تقليدي؟

تحدث في آخر الزمان كارثتان ضخمتان: الأولى ظلم الطواغيت والأخرى انهيار الأُسرة والتي ينجم عنها تفشّي الفساد بين الرجال والنساء بشكل واسع. فلماذا يتفشى الفساد من هذا النوع على هذا المقياس الوسيع؟ لأن الطاغوت الصهيوني عمل بشكل ضخم على تدمير الأسرة وتضعيفها، ولم يتوان عن ذلك في بلادنا أيضاً!

أحياناً "الانحراف" هو أن نؤكد على كلام صائب تأكيداً في غير محله

«الانحراف» كما تعلمون أسوأ كثيراً من «الخطأ» وأشد خطرا منه. وقد لا يكون مصداق الانحراف بأن يتكلم شخص بكلام باطل، بل يكون بالتأكيد على كلام صحيح تأكيداً في غير محله، وفي الوقت الذي لا ينبغي التأكيد عليه. هذا هو دأب إبليس أصلاً ولا سيما في آخر الزمان! إن كان حديثنا في المحاضرة السابقة يدور حول «أي موضوع يحظى بالأسبقية والأولوية اليوم؟» فذلك لأن الاهتمام بأولويات اليوم أمر في غاية الأهمية والحساسية. فهل يُعد آخر استعداد للظهور هو حقّاً هذا الموضوع الذي نعالجه، أي إصلاح وضع إدارة المجتمع أو لا؟ بإمكانكم دراسة هذا الأمر.

ما زال "أمثال الأشعث" و"أمثال أبي موسى الأشعري" قادرين على خداع الناس، لماذا؟

أين تكمن معضلة مجتمعنا اليوم في مجال الاستعداد للظهور؟ لقد تطرقنا في المحاضرة السابقة إلى موضوعين كنقصين نعاني منهما في هذا المجال. الموضوع الأول هو أننا نعاني من ضعف في قضية الإدارة واختيار المسؤولين وتمييز الصالح منهم وكذلك التوصّل إلى تعريف صحيح للإدارة في المجتمع الإسلامي والإنساني. نحن لم نكتسب بعدُ هذا الاستعداد، ولهذا ما زال أمثال الأشعث وأبي موسى الأشعري قادرين على خداع الناس. ونحن ما زلنا متورّطين بالمشكلة نفسها التي كانت في زمن أمير المؤمنين(ع)؛ فما زالت التيارات الخوارجيّة النهج قادرة على النيل من الإدارة العلوية الخالصة. اليوم نحن لا نعاني من بعض المشاكل التي كانت في زمن الإمام علي(ع)، أما البعض الآخر فما زال موجوداً. بالطبع بعض هذه المشاكل ليس على قدر عال من الأهمية، لكنّ طائفة منها لها أهمية بالغة.

كلما تقدّمنا خطوة تتجلى الانحرافات أكثر ما تتجلّى في "تغيير الأولويات"

أن يقوم شخص بتضخيم أمر غير مهم وتهميش أمر مهم فهذا هو الانحراف في الحقيقة، ولا يمكن أن نسميه «خطأ»، وعلينا أن ننتبه كي لا نتورط بمثل هذه الانحرافات. في مرحلة ما قبل الثورة أو بدايات انتصارها كان الانحراف عادةً في أن يصبح الشخص شيوعياً ويتخلّى عن بعض العقائد الدينية، لكن كلما تقدّم بنا الزمن بات الانحراف يتجلى في تغيير الأولويات. حين تقوى الروحانية ويغدو الحق أكثر وضوحاً لا يعود باستطاعة أحد تبنّي الباطل بسهولة، وإنّ الانحراف، من الآن فصاعداً وكلما تقدم بنا الزمان أكثر، إنما يأخذ بالتجلي في تغيير الأولويات المتعلقة بالحق. وحتى بعد ظهور صاحب العصر(عج) فإن التغيير في الأولويات المرتبطة بالحق وحقائق العالم هو الذي سيؤدي إلى أن تقف فئة في مواجهة صاحب الزمان(ع) وأن تدمي قلبه الشريف، وباستخدام القرآن بالذات! «إِنَّ قَائِمَنَا إِذَا قَامَ اسْتَقْبَلَ مِنْ جَهْلِ النَّاسِ أَشَدَّ مِمَّا اسْتَقْبَلَهُ رَسُولُ اللهِ(ص) مِنْ جُهَّالِ الْجَاهِلِيَّةِ... أَتَى النَّاسَ وَكُلُّهُمْ يَتَأَوَّلُ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ يَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِهِ» (الغيبة للنعماني/ ص٢٩٧) إن تحديد الأولويات يُعد من المواضيع التي ينبغي طرحها في المجالس الدينية، فمن غير المُجدي أن نكتفي في هذه المجالس بتقديم قائمة للفضائل والرذائل والتأكيد عليها من دون أن نتطرق إلى موضوع الأولويات.

يؤكد القرآن على موضوع "تحديد الأولويات" من خلال تعابير كـ"الحكمة" و"البصيرة" و"الفرقان"

تمّ التعبير عن موضوع الأولويات وتحديدها في القرآن الكريم باستخدام مفردات متعددة سنذكر ثلاثاً منها: الأولى هي «الحكمة» وهو قوله تعالى: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» (الجمعة/٢)؛ أي إن النبي(ص) يعلّم الناس الكتاب والحكمة. والحكمة هي التي تدلّ المرء على أنه: «أي جزء من كتاب الله ينبغي أن أنفّذه الآن؟ وبأي جزء منه يجب أن أعمل اليوم؟ وأي موضوع يحظى بأهمية أكبر نظراً للظرف الذي أنا فيه؟» من المفاهيم الأخرى المذكورة في القرآن الكريم والتي وصف بها القرآن نفسه أيضاً هي «البصائر»: «هذا بَصائِرُ لِلنَّاسِ» (الجاثية/٢٠). والبصيرة ليست إلا موهبة تحديد الأولويات. والمفهوم الآخر المذكور في القرآن الكريم والذي يشير إلى موضوع «تحديد الأولويات» هو «الفرقان». قال تعالى: «إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً» (الأنفال/٢٩). فالتزموا بالتقوى بناء على معرفتكم الدينية وسيهبكم الله فرقاناً. الفرقان يعني «تمييز الحَسَن من القبيح». ألا وقد ورد التمييز بين الحسَن والقبيح في القرآن الكريم أيضاً، لكن المقصود من الفرقان هو أن تكون قادراً على التمييز عبر تحديد المصاديق على أرض الواقع وأن تدرك أيّاً من الأعمال يحظى بالأولوية والأسبقية، اجتماعياً أو فردياً.

ما هو الموضوع الذي يتصدر أولوياتنا في العصر الحاضر؟ "إصلاح الإدارة على مستوى المجتمع" هو أحد أولوياتنا

موضوع الأولويات هو من المواضيع التي يجب أن تحتل حيّزاً مهمّاً من تفكيرنا، ولهذا أطلقنا عنوان «آخر استعداد للظهور» على موضوع بحثنا هذا. فما هو الموضوع الذي يتصدر اليوم أولوياتنا وهناك حساسية بالغة تجاهه؟ أحد المواضيع هو إصلاح الإدارة على مستوى المجتمع (والذي تحدثنا عنه في المجلس السابق)، وقد جاءت أصول البحث المتعلق بإصلاح الإدارة في المجتمع واختيار المديرين الصالحين في القرآن الكريم من خلال هذه الآية الكريمة: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ» (القصص/٥) يقول تعالى نحن نريد أن نجعل المستضعفين «أئمة». فلا يُعقل أن يفتقر المستضعفون إلى قوة تمييز الجيّد من الرديء فيما يتصل بالإمامة والإدارة والسياسة في المجتمع ثم يرسل الله إليهم - هكذا - ملائكةً من السماء لإنقاذهم! على البشرية أن تدرك أنه بمَن تليق الإمامة؟ ليس الإمامة بمعنى إمامة المعصوم فحسب، بل بمعناها العام أي «الإدارة الصالحة للمجتمع». فإن لم نعرف الإدارة الصالحة فسوف لا نعرف الإمام المعصوم أيضاً! كيف تريدون أن تعرفوا إن كان عمل هذا الإمام المعصوم صائباً؟ ليس من المقرر أن لا تعرفوا ذلك وأن تطأطئوا رؤوسكم هكذا وتنفذوا الأوامر فحسب! لأن الله سيمتحنكم في النهاية فتفشلون. لا يظن أحد أنه ليس من الضروري أن نعرف شيئاً وحسبنا أن ننفّذ أوامر الإمام جميعها مطرقين برؤوسنا! إذ ذاك سيأمرك الإمام أمراً فتُخفق في امتثاله! كالرجل الذي ذهب إلى الإمام الصادق(ع) وادّعى نصرته وطلب منه القيام لأن أصحابه ومريديه(ع) كثيرون! فطلب إليه الإمام(ع) أن يدخل في التنور! فأخذ ذلك الرجل يلتمس الأعذار حتى قال له الإمام لا حاجة لذلك! «...ثُمَّ قَالَ قُمْ يَا خُرَاسَانِيّ وَانْظُرْ مَا فِي التَّنُّورِ. قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَرَأَيْتُهُ مُتَرَبِّعاً فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَسَلَّمَ عَلَيْنَا. فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ(ع): كَمْ تَجِدُ بِخُرَاسَانَ مِثْلَ هَذَا؟ فَقُلْتُ: وَاللهِ وَلَا وَاحِداً» (مناقب آل ابي طالب(ع)/ج٤/ص٢٣٧). فعندما شدّد معه الإمام(ع) بعض التشديد في الأوامر فإنه أخفق إذ شكّ – في واقع الأمر – في أصل الإمامة.

الحديث حول "الإدارة الصحيحة للمجتمع" يعتبر جزءاً من موضوع معرفة الإمام

إن الحديث حول «الإدارة وأسلوب الإدارة السليم» يُعَد جزءاً من موضوع معرفة الإمام. وللأسف فإن تعاليمنا الدينية الخاصة بمعرفة الإمام سابقة لمعرفة الإمامة لا لاحقة لها. فهناك كتب عديدة حول معرفة الإمام وإثبات الإمامة والولاية، لكن دُلّوني على كتاب واحد يشرح بوضوح: «كيف يؤُمّ الإمام الأُمّة؟ وكيف تكون الإمامة؟ وكيف كانت إمامة أمير المؤمنين(ع)؟ وبناء على أية أسس يسكت الإمام(ع) في موقف، ويصرخ في موقف آخر، ويصبر في ثالث، ولا يصبر في رابع؟» بتعبير آخر، نحن نريد كتاباً يبيّن معارفَ ما بعد نهوض الإمام بأعباء الإمامة، وليس ما قبل ذلك! لو أننا عرفنا «كيف ينهض الإمام بمهام الإمامة، وكيف يُمهل النُخبة الخائنة والغادرة لتنمو في المجتمع حتى يزيحها الشعب بنفسه من خلال رؤيته الثاقبة والفَطِنة» لَما تورطنا بالكثير من المعضلات التي نعاني منها اليوم.

جهلنا بـ"أسلوب إمامة صاحب الزمان" سيجعلنا نخفق في امتثال أوامره

إذا أردنا معرفة الإمام فينبغي أن نعرف ما هو أسلوبه في إمامته؟ فإن عرفنا النهج الذي ينتهجه الإمام في الإمامة، فسنكون قادرين على اتّباعه وإلا فسنخفق في امتثال أوامره. وإن عرفنا «كيف تكون الإمامة» فسنعرف قدْرَ أصحاب الإمام(ع) وسنخضع لسادة الأرض الـ٣١٣ ونطيعهم، بل وننصرهم. علينا أن لا نكتفي بمعرفة صاحب الزمان(عج)، بل يجب أن نعرف أسلوب إمامته أيضاً، «وكيف يُطبِّق المديرون الأدنى هذا الأسلوب ويكرّرونه في إدارتهم، ...الخ؟» لا بد أن نحيط بهذه الأمور جميعاً. علينا أن نطّور علومنا في حقل الإدارة! هذه إحدى أولويات عصرنا الحاضر، فإن فعلنا ذلك فسوف لا يرشح أي شخص لشَغْل المناصب في المجتمع الإسلامي! لأنه يعلم أن الناس يتبيّنون «أنه غير مؤهل لهذا المنصب!» وبالنتيجة سوف لا يتعامل مجلس صيانة الدستور تعاملاً حقوقياً محضاً. فأحياناً يتعامل أعضاء مجلس صيانة الدستور بتساهل ومسامحة عند دراسة أهليّة المرشحين لترشيحهم، بحيث لو أن خاطِباً تقدّم لخطبة ابنتهم لما تعاملوا معه بهذه الدرجة من التسامح والتساهل، ولقالوا: «في النهاية هي مسألة شرف وعِرْض ولا بد أن نتوخّى الدقّة وننظر أيّ شخص هو هذا الخاطب.» في حين أن البلد أهم من عرض امرئٍ واحد وشرفه (ويتطلب اهتماماً أكبر بالطبع).

"موضوع الأسرة" هو من الأولويات الأخرى في آخر الزمان/ لماذا يحظى موضوع الأسرة في آخر الزمان بالأولوية؟

لا بـد مـن معرفـة أسـلوب الإدارة السـليمة وهـذا الأمـر يُعـد مـن أولوياتنـا. أمـا الأولويـة الأخـرى المطروحـة في آخـر الزمـان فهـي «قضيـة الأسرة». لكـن لمـاذا تحظـى هـذه القضيـة في آخـر الزمـن بالأولويـة؟ الصهاينـة اليـوم هـم طواغيـت العـالم. وقـد ورد في القـرآن الكريـم أن دأب اليهـود منـذ القِـدَم كان التفريـق بـين المـرء وزوجـه، مـن خـلال أسـاليب كانـوا يتقنونهـا: «فَيَتَعَلَّمُـونَ مِنْهُـما مـا يُفَرِّقُـونَ بِـهِ بَيْـنَ الْمَـرْءِ وَزَوْجِـهِ» (البقـرة/١٠٢) كانـت سُـنّة اليهـود عـبر التاريـخ تدمـير كيـان الأسرة بغيـة التسـلط عـلى الآخريـن. وهـم متفنّنـون في هـذا المجـال، ويسـتخدمون شـتى الأسـاليب التـي يتقنونهـا لتحقيـق مآربهـم، كالسـحر والفنـون الأخـرى. وقـد كتبـوا هـذا الموضوع في بروتوكـولات علـماء الصهاينـة أيضـا قبـل ١٢٠ عامـاً، حيـث اجتمعـوا آنـذاك لمناقشـة أسـاليب إدارة العـالم. خُصِّـص عـدد مـن البنـود المهمـة المدوَّنـة في بروتوكـولات العلـماء الصهاينـة بتدمـير كيـان الأسرة! فلقـد كان التفريـق بـين الـزوج وزوجتـه دأبهـم منـذ القِـدم والقـرآن الكريـم ذكـر ذلـك أيضـاً، واليـوم مـا زالـوا يمارسـون ذلـك مـن خـلال أسـاليب وحيـل حديثـة. الصهاينـة اليـوم هـم طواغيـت العـالم. وإن كان ثمـة مـن يشـك في هـذا الأمـر فليراجـع الأرقـام والإحصائيـات ويـرى مـن هـم أصحـاب رؤوس الأمـوال مـن مصاصي الدمـاء الذيـن يديـرون العـالم ويتزعّمـون الكثـير مـن الأحـزاب السياسـية في البلـدان المتظاهـرة بالديمقراطيـة؟ مـن هـم الذيـن يديـرون بريطانيـا؟ مـن الواضـح جـدا أن الصهاينـة هـم مـن يديـر هـذه البلـدان.

لماذا يحاول الطواغيت تدمير كيان الأسرة؟

إن طواغيـت اليهـود والصهاينـة هـم فئـة قليلـة تريـد الهيمنـة عـلى عـدد كبـير مـن النـاس. فانظـروا مـا هـي الأسـاليب والأدوات التـي يسـتخدمونها لتحقيـق هـذه الغايـة؟ إنهـم، عـلى الصعيـد الاجتماعـي والسـياسي، ينتهجـون سياسـة «فـرّق تسُـد». كل مـا في الأمـر، وبنـاءً عـلى ما جـاء في الآيـة القرآنيـة الكريمـة، فقـد كانـوا «يُفَرِّقُـونَ بِـهِ بَيْـنَ الْمَـرْءِ وَزَوْجِـهِ»، أي أنهـم كانـوا ينطلقـون بهذه السياسـة مـن الأسرة. وليس هـذا بجديـد فهـذه القصـة تعـود إلى عهـد أبنـاء النبـي سـليمان(ع). مـاذا يفعـل «الطواغيـت» عمومـاً ولا سـيما طاغـوت اليهـود للهيمنـة عـلى المجتمعـات البشريـة؟ تمتـاز التجمّعـات الإنسـانية بخصيصتـين لا بـد للطواغيـت مـن إزالتهـما حتـى يتسـنى لهـم السـيطرة والهيمنـة عـلى المجتمعـات البشريـة.

السبب الأول: عدد النسمات الضخم للمجتمع يحبط مؤامرات الطواغيت

من وجهة نظر الطواغيت، يجب أن لا يتكاثر النسل البشري وإلا سيفشل الطواغيت في تحقيق أهدافهم، إذ أنه في وسع مجتمعٍ ما، عبر عدد نسماته الضخم، أن يُظهر الحق ويُزهِق الباطل ويحسّن أوضاعه. وبالطبع لا تُعد الكثافة السكانية العالية عاملاً مطلقاً لسعادة المجتمع، لكنها تعتبر من أسباب السعادة، ومن العوامل الطبيعية لحركة المجتمع نحو تنميته وسعادته. الكثافة السكانية العالية تؤدي إلى إحباط دسائس الطواغيت، فأن يكون عدد السكان قليلاً أفضل للطواغيت اقتصادياً، ولذلك تراهم يبذلون قصارى جهدهم للحيلولة دون ازدياد النسل، ليس هنا فحسب، بل في أوروبا أيضاً. وما الذي يجب أن يفعلوه لتقليل الكثافة السكانية؟ لا بد أن يجعلوا الأسرة مكاناً ملؤه المرارة ومثاراً للاشمئزاز ومشحوناً بالتحديات والصعاب حتى لا تكون محلاً آمناً للولادة ورعاية عدد كبير من الأولاد. (وسنشير لاحقاً في موضوع الأسرة إلى أن تربية الطفل في أسرة صغيرة أصعب بكثير من تربيته في أسرة كبيرة).

السبب الثاني: ينشأ ضعف المجتمع أمام الطواغيت من ضعف الأسرة

ما هو السبب الثاني لاهتمام الطواغيت بموضوع الأسرة؟ المجتمع الذي ينهار فيه كيان الأسرة سيكون مجتمعاً ضعيفاً ذليلاً حتى لو بلغ عدد نفوسه مئتي مليون نسمة. ومن أين ينشأ ضعف المجتمع أمام الطواغيت؟ ينشأ من ضعف الأسرة! يفضّل الطواغيت أن تزداد النفوس في المجتمع من دون أن تكون لهم أُسر تُؤويهم، وأن يكونوا أولاد زناً، ويعيشوا منفصلين، ويكثر الطلاق وتتشتت العوائل، ...الخ. فيمكن السيطرة على مثل هذا المجتمع كشربة الماء! ويتسنى تنفيذ جميع المؤامرات فيه بكل يسر وسهولة لأن أفراده كالحمقى عاجزون عن مقاومة الطواغيت. فلتطالعوا ما يقوله بعض المفكرين الفرنسيين أو الأمريكيين حول بلدانهم ومجتمعاتهم. يقولون عن شعوبهم: إننا شعوب حمقى ولن نستيقظ من سباتنا أبداً. لماذا؟ لأنهم يفتقرون إلى الأسرة! فإن المجتمع ليضعف بضعف الأسرة، وهذا الموضوع للأسف هو مما لم يتم تسليط الضوء عليه جيداً في مجتمعنا.

الأسرة إذا ضعفتْ فقد ضعف المجتمع

من الحقائق التي ينبغي أن تُنتَج عنها أفلامٌ مؤثرة لتترسخ في أذهان الناس هي هذه الحقيقة: «إن تضعُف الأسرة يضعف المجتمع». هل تتصورون أنه من الممكن، يوماً ما، أن ينتج في الجمهورية الإسلامية مسلسل بسيناريو قوي وجذاب يعرض، على سبيل المثال، الجواسيس والماسونيين والمندسين وهم يحاولون إضعاف الحجاب بهدف التقليل من مقاومة هذا الشعب أمام الاستكبار؟ ثم يقومون بدسّ عملائهم في مجلس الشورى الإسلامي لتشريع قوانين تهدف إلى تقويض كيان الأسرة وارتفاع معدلات الطلاق، لخفض مستوى مقاومة المجتمع! هل من الممكن إنتاج مسلسل مماثل لمسلسل «غاندو» يعرض كيف يقوم شخص مُندَس بأعمال جاسوسية، ليعطي آراء استشارية تجعل مجموعة من القوانين واللوائح في الجمهورية الإسلامية مما يؤدي في النهاية إلى إضعاف كيان الأسرة.

لماذا تسعى اسرائيل لتخفيف الحجاب في مجتمعنا؟

لماذا تسعى اسرائيل لتخفيف الحجاب في مجتمعنا؟ تأملوا كلمة رئيس الوزراء الخبيث للكيان الإسرائيلي القاتل للأطفال، والتي ألقاها في البرلمان البريطاني إذ قال: هل تعلمون كيف نستطيع أن نصرع ايران؟ ثم يوضّح: إننا لا نستطيع أن نصرع ايران عبر الهجوم العسكري، بل علينا، مثلاً، أن نبث للإيرانيين مثل هذه الأفلام (المنحرفة)، وأمثال ذلك. فتأمّلوا كم لدينا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه حول هذا الموضوع؟ كتب مفكّر فرنسي كتاباً بسبعمائة صفحة جمع فيه وثائق تثبت أن الصهاينة هم الذين أفسدوا المجتمع الفرنسي، حيث عمل اليهود على إشاعة الفاحشة والتحلل الأخلاقي في فرنسا بغية السيطرة عليها!

لماذا تُعد الأسرة مهمة في آخر الزمان؟ إن أراد المجتمع المستضعف أن يستقوي فلا بد أن يقوى فيه كيان الأسرة

لماذا تُعد قضية الأسرة مهمة في آخر الزمان؟ لأن المجتمع المستضعف إذا أراد أن يكون قوياً فلا بد أن تكون الأسرة في ذلك المجتمع قوية! أرقام الطلاق الحالية لا تُناسب المجتمع المنتظِر المهدوي! وضع الحجاب هذا الذي نشاهده وهذا العدد القليل من المواليد لا تتفق مع الخروج من الاستضعاف. ألا يريد المستضعفون الخروج من حالة الاستضعاف؟ حسناً، إن أرادوا القوة فلا بد أن تكون الأسرة قوية. على أنّ الأسرة في مجتمعنا اليوم تحظى بعلامة عالية (فلنقل أكثر من خمسين في المائة)، لكننا نتوقع أكثر من ذلك بكثير! لا بد أن تكون الأسرة قوية وكثيرة العدد، فقلة المواليد في العوائل الصالحة مؤشر على الضعف! وهذه النسبة من الطلاق في المجتمع هي دليل على الضعف أيضاً، كل هذا مؤشر على ضعف المجتمعَ.

عن الإمام علي(ع): المسؤولون الصلحاء يأتون من البيوتات الصالحة

وإن كنا نهتم بموضوع إدارة المجتمع أيضاً فلا بد أن نأخذ بعين الاعتبار هذا الحديث المروي عن أمير المؤمنين(ع): «وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ» (نهج‌البلاغة/ كتاب ٥٣)، فقد كان يرى(ع) أن المسؤول الصالح هو سليل الأسرة الصالحة. فلَإن أردنا حلّ معضلة الإدارة في المجتمع فعلينا أن نهتم بموضوع الأسرة، وإن أردنا أن نزيل ضعف المجتمع فعلينا الاهتمام بالأسرة أيضاً. هذا من جانب. ومن جانب آخر فإن المنافقين والكفار أيضاً حين يريدون الإجرام، يصوّبون سهامهم نحو الأسرة. قال تعالى في كتابه العزيز: «وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ» (البقرة/٢٠٥)، فالذي يتولّى عنك يا رسول الله ماذا يفعل من شدة غضبه حين يتركك؟ «يُهْلِكُ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ»، أي الزرع والذُرّية. ومن الطبيعي أن يتوجّهوا إلى الأسرة إذا أرادوا إهلاك النسل. و»الحرث» قد جاءت هي الأخرى بمعنى الذرية – بحسب ما ورد في بعض الروايات - وبالنتيجة فإن المفردتين «الحرث والنسل» تشيران إلى الأسرة والعائلة. لماذا يريد من يصبح عدوّاً لأمة رسول الله(ص) أن يدمّر الأسرة؟ لأنه يريد تقليل عدد النفوس. أفلا نشعر لماذا كان رسول الله(ص) يؤكد كل هذا التأكيد على زيادة المواليد!

أكثر من نصف علامات الفساد في آخر الزمان تتعلق بانهيار الأسرة

لماذا نهتم إلى هذه الدرجة بموضوع الأسرة في هذه المحاضرات الدائرة حول الاستعداد للظهور؟ لأن أكثر من خمسين بالمائة من علامات الفساد في آخر الزمان تتعلق بفساد الأسرة، أو في الحقيقة ترتبط بانهيارها والذي يؤدي في النهاية إلى فساد المجتمع. هناك روايات كثيرة حول التحلل الأخلاقي في آخر الزمان؛ إذ جاء في بعضها ما معناه أن الرجال والنساء يتبادلون أماكنهم: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ... وَيَتَشَبَّهُ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ وَالنِّسَاءُ بِالرِّجَال!» (بحار الأنوار/ ج٩٣/ ص٣٠٣). وهذا التبادل بالأدوار قبيح جدّاً، فإن على الرجل أن يؤدي دوره كرجل، كما أن على المرأة أن تؤدي دورها كامرأة. فكيف يا ترى تتغير الأدوار؟ السبب هو ضعف أساس الأسرة.

كارثتان عظيمتان في آخر الزمان: ١. ظلم الطواغيت ٢. انهيار العوائل الذي يؤدي إلى فساد الرجال والنساء

في آخر الزمان لا تتصاعد معدلات الظلم والقتل فحسب، بل يمكن القول باختصار: إن كارثتين مهولتين ستقعان آنذاك: الأولى ظلم الطواغيت، والثانية انهيار العوائل الذي ينجُم عنه فسادٌ مُستشرٍ بين الرجال والنساء. هذه خلاصة المئات من الروايات! لماذا يشيع هذا النمط من الفساد إلى هذا الحد في آخر الزمان؟ لأن الطاغوت الصهيوني قد عمل جاهداً على إنهاك كيان الأسرة وتدميره. ولم يتوانَ عن ذلك حتى في بلادنا! فقد كانت بعض المسلسلات التلفزيونية الإيرانية التي عُرضتْ خلال الأربعين عاماً الأخيرة - كانت خطوة كبرى في سبيل ارتفاع نسبة الطلاق في المجتمع! ومن جانب آخر، هل لكم أن تدلّوني على مسلسل واحد عالي الفنّية وجذّاب وفيه عُمق وحكمة يهدف إلى تدعيم أساس الأسرة؟!

يكره الصهاينة أمرين بشدة: ١. استغناء الناس مالياً ٢. تقوية الأسرة

يكره الصهاينة أمرين كراهية شديدة، ويتصدون بشدة لكل مَن ينشط في أي منهما، فيقومون بتسقيطه أو تحطيمه بمساعدة عملائهم في الداخل وعبر مختلف الحيل والدسائس! الأول هو أن تقول: «يجب أن يصبح الناس أصحاب أموال، فلماذا تبقى معظم الأموال والثروات بيد الصهاينة؟!» هذا لأن الصهاينة يحبون المال حباً جمّاً، ويتمنون لو يكون جميع الناس فقراء مُعدَمين وتكون الأموال في أيديهم فقط. فإن كُتِب للبشرية أن تقوى وتثري، فعلى أكتاف من يركبون هم إذاً؟! الموضوع الآخر الذي يهُمّ الصهاينة جدّاً هو موضوع الأسرة. فإن أراد شخص أن يخطو خطوة في سبيل تقوية كيان الأسرة وتدعيمه في المجتمع فسيتصدّون له بشدة. مع العلم بأن اليهود أنفسهم أصحاب عوائل وملتزمون بالنظام الأُسَري، ومعروف في الدول الغربية أن أكثر العوائل استقراراً، في الغالب، هي العوائل اليهودية. مَن الذين يديرون هوليوود التي تعيث الفساد في العالم بأجمعه؟ إنهم الصهاينة. بيد أن هؤلاء الصهاينة، الذين يُفسِدون الجميع ويدمّرون الأُسر، لهم عوائل في غاية الانضباط والاستقرار. وبالطبع لا أقصد أنهم مثاليون، لكنهم يحافظون على استحكام كيان الأسرة، لأنّ مأربهم التسلط على البشر جميعاً في شتى أنحاء العالم، لذا لا بد أن يكونوا هم أقوياء. لكنهم يحرّرون لباقي المجتمعات وصفة مختلفة لتدمير عوائلها وإيهانها، حتى يتسنى لهم الهيمنة على تلك المجتمعات. لماذا تمتاز الأسرة بالأهمية في آخر الزمان؟ انظروا إلى رواياتنا التي تبيّن علامات الفساد قبل الظهور، لماذا تصوَّر الأسرة فيها مُفكَّكة ومنهارة كل هذا التفكك والانهيار؟! إن عرفنا السبب فسندرك مدى أهمية الأسرة في آخر الزمان.

هل كان وضع الأسرة التقليدية في الماضي مناسباً؟

سألني أحد: أنت تقول: إنْ تحسّنَ وضعُ الأسرة سنقترب خطوة من الظهور؟ فأجبته: نعم، بل أكثر من خطوة! قال متسائلاً: حسناً، لماذا لم يتحقق الظهور في الأزمنة الماضية حيث كانت أوضاع الأسرة جيدة بأسلوبها التقليدي؟ فقلت: في الماضي كانت العوائل تقليدية لكنها لم تكن صالحة! هناك تصور سائد بين الناس بالنسبة للأسرة وهو أن «كيان الأسرة قد ضعف بسبب الفساد الذي شاع في العصر الحاضر، أما في الماضي فقد كانت أوضاع الأسرة جيدة!» لكننا لا نحمل هذا التصوّر، وهو أن أوضاع الأسرة كانت حسنة في الماضي! انخفاض معدّلات الطلاق في الماضي كان بسبب سيطرة الرجل في الأسرة. وأن يكون الرجل مسيطراً هو أمر حسَن ومعقول إلى حد ما، (على أن الرجل اليوم بات أيضاً منزوع الصلاحية والسلطة، بل أصبح الصهاينة هم المتسلطين على العوائل من خلال الفجور الذي يبثّونه عبر وسائل الإعلام!) لكن الرجل في الماضي وإن كان متسلطاً، فإنّ ظلمه للمرأة لم يكن قليلاً أيضاً! لماذا لم تكن المجتمعات أيام رسول الله(ص) وأمير المؤمنين(ع) صالحة؟ لأن الرجال كانوا يظلمون النساء، ولذلك لا نعتبر تلك المجتمعات نموذجية! فلا يتصوّر أحد أننا نريد العودة إلى العصر الحجري! نعم، كانت ثمة محاسن في العوائل التقليدية القديمة، منها أن الرجل كان مقتدراً - وهذا ما تضاءل اليوم كثيراً - ولهذا الاقتدار إيجابيات لكيان الأسرة. لكن خللاً كبيراً كان في تلك العوائل وهو أن المرأة كانت تتعرض للظلم في غالب الأحيان. نحن لا نريد العودة إلى التقاليد، بل نتمنّى أن نصل بالأسرة إلى مستوى الأسرة العلوية والمهدوية والولائية. ففي الأسرة الولائية تكون الأم عزيزة وهي في موقعها، ويكون الأب كذلك عزيزاً وهو في موقعه، فلكل منهما مكانته الخاصة. نحن ما زلنا لم نحقق ما أراده الدين لنا، فما أمر به الدين لم يُطبّق إلا في بيوتات أهل البيت(ع) وكبار الصُلحاء. ونحن نسعى لبناء مثل هذه الأسرة. نحن لا نريد أن نعود مباشرة إلى الماضي ونحيي التقاليد القديمة، فلم تكن الأوضاع جيدة تماماً حتى في الماضي. لكن كانت هناك محاسن، كما كانت ثمة مساوئ أيضاً. أما اليوم فقد اختفت حتى تلك المحاسن، وزادت المساوئ أيضاً، فعلينا أن نبحث عن أنموذج نحقق من خلاله ما أراده الدين لنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٤)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: محرم ۱۴۴۱

المكان: طهران، جامعة الإمام الصادق(ع)

الموضوع: الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٤)

التاريخ: ٣/ محرم / ١٤٤١ – ٣/ ٩/ ٢٠١٩

يعتقد أتباع النهج الخوارجي أن "الأسرة لا تحتاج إلى مدير!"/ المشكلة الأهم بالنسبة للأسرة في إيران هي علاج قضية إدارتها/ التحلل الأخلاقي في آخر الزمان هو نتيجة المساس بإدارة الأسرة

إنكار موضوع الإدارة في الأسرة يُعَدّ ضرباً من النهج الخوارجي، وأن نتجاهل الإدارة في الأسرة ونكتفي بالمواعظ الأخلاقية فهو لون من العلمانية والحماقة! فلا يمكن إنكار القاعدة التي تحتّم وجود الحاكم في المجتمع وإن كان فاجراً، ولا يمكن أن نغضّ النظر عن الأسلوب الصحيح في الإدارة؛ لأن المسؤول إن كان أسلوبه خاطئاً في الإدارة، سيؤدي بالمجتمع إلى السقوط، حتى وإن كان إنساناً صالحاً.

لماذا يحتاج الإنسان إلى الإدارة؟

لماذا يحتاج الإنسان إلى الإدارة؟ ما الداعي لطرح منصب أو مهنة أو نشاط باسم «الإدارة» في الحياة البشرية؟ حين تكون لكم أهداف متعددة ومنوّعة، وحين تكون لكم احتياجات مختلفة، وحين تكون في حوزتكم أنواع الإمكانيات والأدوات، وحين تكونون مجموعة من الأشخاص لكل منكم ملاحظاته الخاصة، فستضطرون آنذاك إلى المنهجة، وتنفيذ الإجراءات خطوة خطوة وبتدبّر، وتوزيع الأدوار على الأشخاص. وسيضطر كل شخص إلى أن يحدّد صِلَته بالآخرين. وبالنتيجة سنحتاج إلى حقيقة تُدعى «الإدارة»! تشتمل الإدارة على معرفة البيئة (المتميزة بتنوع الاحتياجات والإمكانيات والمقتضيات والملاحظات)، وتوظيف مختلف الإمكانيات والأدوات وتنظيم الأشخاص لتحقيق أهداف هي الأخرى مُحدَّدة مسبقاً. والحق أنّ تحديد الأهداف هذا يعني «الإدارة».

الإنسان مُضطر إلى الادارة، نظراً لتنوّع احتياجاته ورغباته وإمكانياته

لا بد من الاهتمام بـ «التعدد والتنوع» والتأمل فيهما كثيراً باعتبارهما الجوهر الرئيس في موضوع الإدارة. لأننا لسنا مخلوقات بسيطة كالبهائم ليس لها إلا هدف واحد في الحياة، فلا تعني الإدارة شيئا لها. طبعا هناك مستويات من الإدارة بين الحيوانات وهي غريزية، لكن بشكل عام لا تُعد الإدارة من شؤون الحيوانات. انظروا، على سبيل المثال، إلى النحل، فالنحلات لها هدف واحد. وعلى الرغم من وجود ملكة للنحل في الخلية إلا أنها ليست مديرة، بل هي أداة للتوالد والتكاثر فحسب. الإدارة قضية خاصة بالإنسان، لأنه أَمامَ تنوّعٍ من الاحتياجات والرغبات والإمكانيات والأدوات. على سبيل المثال أنتم مضطرون إلى الإدارة في موضوع تناول الطعام؛ فلأنه لا يوجد لون واحد من الطعام، ولأن حاجتكم إلى الطعام ليست من نوع واحد، فإن احتياجاتكم للطعام منوّعة. فالإدارة هي أن تُحدِّد أيّ الاحتياجات له الأولوية في الاهتمام والتلبية.

الإدارة هـي عملية يضطر إليها الإنسان نظراً للتنوع الـذي يواجهه في داخله أو خارجه. فإن لم يمارس أحد الإدارة فستكون حركته في الحياة أشبه بانزلاق حصاة في نهر، إذ ستتدحرج، كيفما اتفق، من أعالي النهر إلى أسفله وتكتسب شكلاً معيّناً نتيجة اصطدامها العشوائي بالأجسام المختلفة؛ فإما أن تتفتّت، أو تنكسر، أو تتخذ شكلاً مناسباً بالصدفة.

لا يبدأ التدين من الإيمان بالله، بل من حاجة الإنسان إلى الإدارة والمنهج

الإدارة تنظّم حياة الإنسان وفقاً لمنهج معيّن، وقد خلقَنا الله سبحانه وتعالى نحن البشر بحيث لا نستطيع أن نعيش من دون إدارة، بينما الحيوانات قادرة على ذلك! فيُقال مثلاً إن الهرّ حين يمرض يشتهي طعاماً يكون فيه دواؤه. لكن هذه القاعدة ليست صادقة بالنسبة للإنسان، فما أكثر ما يميل الإنسان إلى طعام يُلحق به الضرر. الحيوان يعيش كالحصاة التي تتدحرج في مجرى النهر ماضية إلى الأمام، لكن الإنسان ليس كذلك، فهو مُجبَر على إدارة نفسه. فما إن يشتهي شيئاً فإنّ عليه أن يقول لنفسه: «تريّث! كم شيئاً أنا أحب؟ أنا لا أرغب في هذا الشيء فقط!» وما إن يحتاج إلى شيء، فلا بد أن يقول لنفسه: «تريّث! فلدي احتياجات أخرى أيضاً!» وهذه هي بداية الإدارة، وبداية الإنسانية، وبداية التدين. فإنما يبدأ التديّن من هذه العبارة بالذات: «تريّث!» بداية التدين ليست من الإيمان بالله. إنها الروحانية التي تكون بدايتها الإيمان بالله وختامها الإيمان بالله ومسيرها السلوك إلى الله. الدين هو نوع من المنهج، والمنهج هو لمن يريد أن يكون له منهج في حياته. فمن يريد أن يعيش كتلك الحصاة الملقاة في قعر النهر لا يحتاج إلى منهج!

كيف يتعلم أطفالنا التدين في المدارس؟

كيف يتعلم أطفالنا التدين في المدارس؟ يتعلمونه عبر أسلوب خاطئ للأسف! يقولون للطفل في البداية: «آمن بالله!» فيعلّمونه الروحانية في بدء الأمر، وقبل أن يوجّهونه بأنك «تحتاج إلى منهج، ويجب أن تتعلم الإدارة وأن تتمكن من إدارة نفسك وحياتك»، يقولون له :»هذا الإله أمر بأوامر عليك تنفيذها وإلا ستدخل نار جهنم!» وبهذا يجعلونه يكره الدين. فانظروا ما هو الانطباع الذي يتكوّن عن الدين في عقول هؤلاء الأطفال الذين يتربون وفق هذا الأسلوب لتعليم الدين في النظام التربوي التعليمي القائم؟! لا ضير من إقامة العلاقة بين الإيمان بالله والتدين باعتبار «أن الإيمان هو أكثر العوامل تأثيراً في تقوية دوافع الإنسان للتدين»، ولكني أرى أن نبدأ التدين من حاجة الإنسان إلى المنهج والبرنامج (الذي يُعَد جزءاً من الإدارة) وكذلك من حاجة الإنسان إلى القدرة على الإدارة وإتقانها وإلى التدبير، وأن نبدأ بذلك من ألعاب الأطفال في دور الحضانة والروضات.

لنهيّئ للأطفال ألعاباً تعلّمهم التخطيط والإدارة

الألعاب التي تنمّي قدرات الإنسان ليصبح «مخطِّطاً ومبرمِجاً» ومديراً، تستحق أن تنفقوا عليها الأموال وتشترونها لأطفالكم مهما كانت باهظة الثمن، ولا ضير في أن يلعب الأطفال بهذه الألعاب مهما تمادوا في ذلك. لا توجّهوا الألعاب صوب القمار، فالحمار هو من يلعب القمار! ما هو القمار؟ إنه الحظّ! لا تلعب الألعاب التي تعتمد على الحظ كلعبة «السلم والثعبان» أبداً! لأنك أوّلاً، لا تستطيع أن تخطّط لحركاتك، بل ترمي «الزَهْر» وتتقدم بحسب ما يمليه عليك الحظ، قائلاً: «لِنرَ ما هو الرقم الذي سيظهر؟» وهذه هي الخطوة الأولى للابتعاد عن الإنسانية! أتمنى أن نجد أشخاصاً يتمتعون بروح الفكاهة والحكمة أيضاً فيُنتجوا لنا برامج في التلفاز تمقت من خلالها التشبه بالحيوانات! عسى أن تكون لعبة كالشطرنج أقرب من غيرها بكثير إلى الإنسانية والتقوى والتدين (بالطبع ليس المقصود أن يقامر أحد بلعبة الشطرنج) وأنتم تعلمون فتوى الإمام الخميني(ره) في الشطرنج. الألعاب التي تعلّمنا الإدارة والتخطيط تهيّئنا للدخول إلى الحياة الجدّية، أي التدين! وقد يكون معلم الرياضيات أو العلوم أو غيره من المعلمين أفضل معلّمِ دينٍ لنا، ففي وسع كل معلم أن يكون معلّمَ دينٍ بشكل من الأشكال، إذا علّمنا الاتّزان والتخطيط والإدارة. بعض الأشخاص هم في الأساس أناس متّزنون والإدارة ضرب من الاتّزان والحصافة. والله سبحانه أيضاً لا يتعامل بغير حساب، كما أن النجاح لا يُنال اعتباطاً!

كيف نُنشئ الأطفال في المدارس ليصبحوا من أهل التخطيط والإدارة؟

ما هي المدرسة الابتدائية؟ هي مكان ينبغي على المعلم أن يتعامل فيه مع الأطفال كآدميين حقيقةً، فيقول مثلاً في مستهل الأسبوع: «هلّموا يا أولاد نُعِدّ لأسبوعنا هذا منهاجاً»، فيسمح لكل واحد منهم أن يخطط، ماذا ستفعل أنت؟ وأنت ما هو برنامجك؟ و...وكيف نرتّب منهاجنا في الصف؟ أي أن يخصّص يوماً في الأسبوع للتخطيط، بدلاً من أن يضع قِمعاً على رؤوس الأطفال ويصبّ المعلومات في أدمغتهم صبّاً! فهذه جريمة ترتكب في حق التلميذ! فلتعطّلوا يوماً واحداً في الأسبوع ولتخصّصوه للتخطيط والبرمجة! لا تقلقوا. سوف لا يصبح التلاميذ أُمّيين بذلك، بل سيتحوّلون إلى علماء ويتفوقون عليكم علمياً إن تم إنجاز هذه الخطوة بشكل صحيح.

وفي الأسبوع التالي خصّصوا، مرة أخرى، يوماً من وقتكم لهذا الأمر واسألوا التلاميذ: في أي جزء من خطة الأسبوع الماضي أخفقنا؟ أنت كيف خطّطت؟ هو كيف خطّطَ؟... ينبغي أن يتدرب الطفل على الإدارة والتخطيط والبرمجة تحت إشراف المعلم لمدة سبع سنين. وبعد مضي سبع سنين اتركوه لحاله واسمحوا له بأن يمارس الإدارة بنفسه، قائلين له: «سأعطيك المشورة». في مثل هذه الحالة سينشأ هذا الطفل آدمياً. وسيحب هذا الإنسان الدين لأنه سيراه مليئاً بالمناهج والخطط! بل إن الإنسان الذي لا يكون مُمَنهِجاً لحياته سوف لا يتمتع بالفهم الكافي لإدراك الدين!

من أتقن إدارة نفسه سيتقن إدارة الآخرين أيضاً

لماذا يحتاج الإنسان إلى الإدارة؟ لأن احتياجاته متعددة، ورغباته متنوعة، وإمكانياته مختلفة، وأحياناً لكونه يعيش ضمن جماعة. على أنه عندما لا يكون هناك أشخاص آخرون فلا بد أن أدير نفسي. ومَن تعلّم إدارة نفسه سيتعلّم إدارة الآخرين أيضاً. ولذلك أوصَوا بأن تتعلّم إدارة نفسك قبل أن تتولّى إدارة الآخرين! كيف نمارس الإدارة على مستوى الأسرة؟ هل إنّ جميع أفراد الأسرة مهمَلين ومن دون منهج؟ أبداً! فقد جاءت في القرآن الكريم حتى المنهجة الدقيقة لتنقّل الأشخاص بين غُرَف المنزل، والجدول الزمني لذلك أيضاً: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ وَالَّذينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ» (النور/٥٨). متى يستطيع الأطفال أن يدخلوا «هذه الحجرة» باستئذان أو من دون استئذان؟ لا ينبغي لهم أبداً أن يدخلوها في الأوقات التي حددتها الآية. وهذا يعني أن التنقل داخل المنزل أيضاً يستوجب منهجاً معيّناً.

ما هو الدين؟ الدين هو منهجة للحياة

ما هو الدين؟ الدين هو منهجة للحياة؛ منهجةٌ لإنفاق المال، ولطريقة كسب الرزق، ...الخ. لكن ما إن نتكلم حول نمط الحياة والتخطيط لها وللمعيشة من وجهة نظر الدين، حتى يستوحش الكثيرون. لماذا؟ لأن معظم المباحث التي تناقَش في الحوزة العلمية قوامها التفكير، وليس التدبّر والتدبير. التدبير يعني: «كيف تعتزم أن ترتّب أمورك؟ كيف تريد المباشرة بالأعمال؟» أما التفكير فهو تقديم الأدلة والبراهين لإثبات حقيقةِ أمرٍ ما. لقد عانينا في الحوزة العلمية الضعف لأكثر من ألف عام، لأن العلماء كانوا يُقتَلون، ولهذا كانوا يقولون: «علينا حالياً، في مثل هذه الظروف، أن نحافظ على الأُسس والأصول». ولذلك نرى أن أفضل نشاط يمارَس في الحوزة العلمية هو «التفكر»، أما التدبّر والتدبير والمنهجة، فقلّما اهتمّتْ بها الحوزة العلمية.

نحن نحتاج إلى الإدارة والمنهجة في حياتنا الشخصية

نحن نحتاج إلى الإدارة والمنهجة في حياتنا الشخصية، بل وإلى الرقابة والتحكّم ودراسة النتائج أيضاً. قال تعالى في كتابه المبين: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ» (عبس/٢٤) أي يجب على الإنسان أن ينظر ماذا يأكل؟ يعني عليه أن يتولى إدارة طعامه. يقول آية الله بهجت(ره): «كأنّ من المعروف أنه لا خير في مَن بلغ الأربعين من عمره ولم يجد دواء لصحة بدنه» (در محضر بهجت (في رحاب الشيخ بهجت) / ج٣/ ص٢٣٨). وهذا يعني أنه لا خير فيك إذا بلغت الأربعين ولم تكتشف مكامِن ضعف جسدك وقوّته، ولم تقف على طبعِك، ولم تعرف – بالنظر إلى خصائص جسدك - ما عليك أكله أو الامتناع عنه، وما يضر ببدنك! يقول الدين: «عش حياتك كإنسان كريم!» لكن البعض يتصور أن الدين يهتم بالأمور السماوية والمعنوية فحسب ويهمل الحياة! لاحظوا كم من حديث لدينا حول الصحة والتغذية! لكن في أي مسجد من مساجدنا يعلّمون هذه الأمور؟! ونتيجة ذلك أن الكثير من الناس يجهلون أن الإمساك هو أُمّ الأمراض وكيف يمكن الوقاية منه بالتغذية السليمة! لماذا نشتكي إلى هذا الحد من وزارة التربية والتعليم؟ لأننا نقول لهم: ماذا أنتم فاعلون بهذا الإنسان؟ فلتعرضوا له خارطة وجوده، فلتعلّموه علوم التغذية ليعلم أيّ طعام ينبغي تناوله مع أيّ طعام؟ لماذا يقول الإمام الصادق(ع)، بحسب ما روي عنه: «...أَنِّي لَا آكُلُ عَلَى مَائِدَةٍ لَيْسَ فِيهَا خُضْرَة»؟ (الكافي/ ج٦/ ص٣٦٢) هذا يعني أن موضوع التغذية هو على هذا القدر من الأهمية!

إن عشنا من غير منهج فنحن بلا دين!

نحن نقول: علّموا الأولاد مهارة التخطيط والمنهجة. فإن عشنا من غير منهج فنحن بلا دين! وإذا ربّانا أحد بأسلوب لم يؤهّلنا للإدارة والمنهجة فهذا يعني أنه لم يربّنا لنكون من المتدينين. الإدارة تعني المنهجة. وإنّ على المرء أن يضع لنفسه منهاجاً حتى لاستخدام دورة المياه. انظروا كم من الروايات لدينا في باب التَخَلّي؟ لماذا يوصون بذلك قبل النوم؟ ولماذا بعد النوم؟ ولِمَ يُعَدّ الإمساك أم الأمراض؟ ولماذا يجب تناول الخضار مع وجبات الطعام؟ الإدارة تعني أن تحقّق كل ما تتمنّاه من خلال منهج. أو بالأحرى أن ترتّب لائحة لكل ما تحبّه وتتمنّاه ثم تقول لنفسك: «لأتريّث قليلاً، فماذا أريد أن أعمل؟ لأيّ الأمور المحببة إليّ سأخطو خطوة، ومتى، وما هي هذه الخطوة؟» بل إن الإدارة هي نفسها على قدر عال من الجاذبية! وأنْ يعتاد المرءُ التخطيطَ والمنهجة هو في حد ذاته من الجاذبية ما يجعل الإنسان يودّ لو يرفع من مستوى تخطيطه ودقته. وإن في الإدارة الفردية ذاتها واعتماد منهج معيّن في الحياة الشخصية لحلاوةً وجمالاً وسحراً، غير أنّ ثقافةً تسيطر علينا لا تسمح لنا بولوج ميدان الإدارة أصلاً!

ستكتسب الإدارة طابعاً اجتماعياً عند توزيع الأدوار بين عدة أشخاص

ستكتسب الإدارة طابعاً اجتماعياً حين تختلف الأدوار وتتوزّع بين عدة أشخاص. وإننا نشاهد هذا النوع من الإدارة في المنزل مثلاً؛ إذ تبدأ الإدارة من الاختلاف القائم بين الرجل والمرأة (حتى قبل إنجاب الأطفال). إنكما شخصان برغبات متباينة وأذواق مختلفة، وعليكما أن تديرا شؤونكما ورغباتكما. ينبغي على الرجل أن يدير حياته، وأن يتمتع بحياته مع زوجته بهذه الإدارة. ويتحتم على المرأة أيضاً أن تدير حياتها وأن تتمتع بحياتها مع زوجها بإدارتها هذه. يتعيّن على الزوج والزوجة أن يتحكّما بلسانهما! الإدارة ليست أمراً عجيباً خارقاً للعادة! فهي تبدأ من نقطة محددة في الدين، وإنك إن اقتنعتَ بها سيصبح التديّن أمراً هيّناً عليك إلى النهاية. فلو أنك أسّستَ مدرسة إسلامية وعلّمتَ الأطفال فيها الإدارة، فسيقوم غير المتدينين أيضاً بتسجيل أولادهم فيها. فإن تعلّم هذا الطفل الإدارة فإنّه سيدرك غداً مَواطن جمالِ الدين ويستمتع به. ومثله لا يصبح عبداً للآخرين لأنه ليس بإنسان ساقط!

دور الإدارة في المجتمع يشبه دورك في إدارة ذاتك

تحدثنا قليلاً حول علاقة الإدارة بالدين، والآن نريد أن نتكلم حول أنه: «لماذا نتحدّث عن الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع؟ لِمَ لا نتكلّم عن الأخلاق في الأسرة والمجتمع؟ أو عن الروحانية في المجتمع؟» وقد قال الحكماء: «السمكة تكبر من رأسها لا من ذيلها» (مولانا، المثنوي المعنوي). فدور الإدارة في المجتمع، كدورك في إدارة ذاتك ونفسك! ما مدى أهمية الإدارة في الحياة الفردية؟ مثلاً إنك قد تحصل على أرخص طعام وأفضله وألذّه من خلال الإدارة الصحيحة. ما هو دور الإدارة في حياتك أنت بالذات؟ إن للحاكم الدورَ نفسَه في المجتمع.

إدارة المجتمع هي من الأهمية بحيث يستشهد سيد الشهداء(ع) لأجلها

إن إدارة المجتمع هي من الأهمية بحيث يستشهد سيد الشهداء(ع) لأجلها! فقد ثار الإمام الحسين(ع) على رجل لا يصلح لإدارة الأمة. وقد قتلَ الناس الإمام الحسين(ع) خشية أن يصبح حاكماً على الأمة! إلى هذا المستوى كان فهمهم متدنٍّ للإدارة الصالحة وتولّيها بيد إنسان صالح! فتأملوا مدى أهمية فهم الناس للإدارة الصالحة. إذاً من المُستحسَن أن نتحدث عن موضوع «الإدارة» ونهتم به على الأقل في أيام استشهاد إنسان استُشهِد بسبب هذا الموضوع. الإدارة هي من الأهمية بحيث يمكن القول: إن الدين كله التدبير! (والتدبير في العربية هو الإدارة نفسها). لاحظوا مدى تأكيد القرآن على «العقل»! ومنقول عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال : «لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ!» (الكافي/ ج٨/ ص٢٠) فإن أسمى درجات العقل تتجلى في الإدارة.

عن رسول الله(ص): «إذا كانوا ثَلاثَةً فَأَمِّروا أحَدَهُم.. »

عـن رسـول اللـه(ص) قولـه: «إذا كانـوا ثَلاثَـةً فَأَمِّـروا أحَدَهُـم وتَوَكَّلـوا عَـلَى اللـهِ وتَأَلَّفـوا» (كنزالعـمّال/ج٦/ ص٧١٧/ ح ١٧٥٤٩)؛ أي: إن كنتـم ثلاثـة أشـخاص فـلا بـد أن يـترأّس عليكـم أحدُكـم. ثـم يـوصي بعــد ذلــك بالتآلــف، وهــذه توصيــة أخلاقيــة، لكنــه(ص) أوصى قبلهــا أن اجعلــوا عليكــم رئيســاً. (ورد هــذا الحديـث في آداب السـفر) حـين يسـافر بضعـة أشـخاص معـاً ويختـارون أحدهـم رئيسـاً عليهــم لا يعنــي ذلــك أنــه ســيكون رئيســاً عــلى الإطــلاق، فهنــاك ألفــة بينهــم طيلــة الســفر. كــما جــرَت العــادة اليــوم في الســفرات الجماعيــة أن يختــاروا قبــل انطلاقهــم شــخصاً يتــولّى النفقــات.

مَن هم الذين يتهرّبون من الإدارة؟ إنهم خوارجيو المسلك والساقطون!

حـين نتكلـم عـن الإدارة لا بـد أيضـاً أن نـدرس النفسـيات التـي تتهـرب مـن الإدارة والتـي تخالـف الإدارة السـليمة. فبنـاءً عـلى قاعـدة «تُعـرف الأشـياء بأضدادهـا» ينبغـي أن نتحـدث عـن نقيـض الإدارة الصحيحـة أيضـاً. مَـن هـم الذيـن يتهربـون مـن الإدارة؟ إنهـم خوارجيـو المسـلك والسـاقطون! فقــد انــبرى الخــوارج مــرّةً بالقــول: «لا حاجــة للأمــة بأمــير!» لكــن مــا إن اجتمعــوا للثــورة والتمــرّد حتــى قالــوا: «مَــن مِنّــا يرأسُــنا؟» فقــال رجــل ســاذج مــن بينهــم: «ألَــم تقولــوا إن الأمــة لا تحتــاج إلى أمــير، فلــماذا تريــدون الآن اختيــار رئيــس مــن بينكــم؟» قالــوا: «اخــرَس ولا تنبــس ببنــت شــفة!» إلى هــذا المســتوى كان الخــوارج حمقــى! للخــوارج دور غريــب في قضيــة الظهــور؛ ســواء في فِــتَن مــا قبــل الظهــور أو مــا بعــده! فالكثــير مــن الــشرور تســتمر إلى زمــان الظهــور لكنهــا تنتهــي بعــد ذلــك، إلا النهــج الخوارجــي! ولا بــد أن نتحــدث عــن النهــج الخوارجــي عــلى حــدة.

ينتهج البعض نهج الخوارج في موضوع الأسرة فيقولون :"لا تحتاج الأسرة إلى مدير!"

الإدارة هــي مــن احتياجاتنــا نحــن البــشر. فحــين تتكــوّن الأسرة ســتكون بــدل مشــاعر الشــخص الواحــد مشــاعر شــخصين، وبــدل احتياجــات الشــخص الواحــد احتياجــات شــخصين. فــإن تطــور عــدد الأشــخاص مــن واحــد إلى إثنــين أو ثلاثــة أو أربعــة، فــلا بــد أن يُبَــتّ أوّلاً في موضــوع الإدارة ومَــن ســيكون المديــر؟ ينتهــج البعــض نهــج الخــوارج في موضــوع الأسرة، لأن الخــوارج أيضــاً كانــوا يقولــون: «المجتمــع أصــلاً لا يحتــاج إلى حاكــم!» بينــما كان أمــير المؤمنــين(ع) يــرى أن المجتمــع بحاجــة إلى حاكــم وإن كان فاجــراً: «وَإِنَّــهُ لَا بُــدَّ لِلنَّــاسِ مِــنْ أَمِيــرٍ بَــرٍّ أَوْ فَاجِــرٍ» (نهــج البلاغــة/ الخطبــة٤٠) فحتــى إن كان الحاكــم ســارقاً فــإن عــدم وجــوده أســوأ! لأنــه في مثــل هــذه الحالــة ســيكون هنــاك لــص واحــد، أمــا بغيابــه فســيصبح الجميــع لصوصــاً وســتتدهور جميــع الأمــور.

يقول بعض أصحاب الرُقِيّ الزائف جهاراً: «الأسرة لا تحتاج إلى مدير!»، وهذا يذكّرنا بقول الخوارج. ما هو الدين العلماني؟ إنه ذلك الدين الذي لم يحدّد بعدُ موقفَه من موضوع الإدارة، ويتكلم باستمرار في الأخلاق. فإن دخل هذا الدين العلماني إلى أجواء الأسرة أضفى لوناً من العلمانية على أخلاقها. فتراه، قبل أن يبتّ في أمر إدارتها، يواصل إصراره على أنْ: حسِّنوا أخلاقكم فيما بينكم، تراحَموا، كونوا طيّبين عموماً، لا تظلموا بعضكم بعضاً، ...الخ. لنفرض أنه تم إرسال مجموعة من الناس إلى باص من دون تعيين السائق، ثم قيل لهم: «اذهبوا على أية حال! وحاولوا جميعاً أن تراقبوا الأوضاع!» في حين أن رخصة السياقة ضرورية في هذه الحالة ولا بد من تحديد المسؤوليات. لاحظوا كم مديراً نحتاج عندما يلعب ٢٢ لاعباً في ملعب كرة القدم؟ هناك المدرب، وهناك الكابتن، وهناك الحَكم. هذه أنواع من الإدارة.

التحلل الأخلاقي في آخر الزمان ناجم عن المساس بإدارة الأسرة

لماذا لم نتناول موضوع «الأخلاق والأسرة»؟ لأن هناك الكثير من الكلام في هذا الموضوع والجميع يعرف ذلك. أما الفساد الذي تتعرض له الأسرة في آخر الزمان والذي تكلمنا عنه في المحاضرة السابقة، فيتمحور حول المساس بإدارة الأسرة. عندما يتسلل الفجور واللادينية إلى المنزل ويظهر في الحياة الأسرية – جراء العزوف عن الإدارة «وأني أحب أن أعمل ما يحلو لي» - فستبلغ معدلات الطلاق الرقم الذي نراه في طهران!

حين نعرف الإدارة الصالحة سنجد نحن المدير الصالح

انتبهوا إلى أننا لا نريد أن نتحدث عن «المدير الصالح أو المدير السيّئ». فالوصايا الأخلاقية للمسؤولين هي مسألة ثانوية ولا تقدّم حلاً شافياً لما نحن فيه. ما يهمّنا الآن هو «الإدارة الصالحة» وليس المدير الصالح! فما نريد أن نعرفه هو كيف تكون الإدارة الصالحة؟ وما هي مواصفات الدائرة الجيدة؟ فإن أدركنا «كيف تكون الإدارة الصالحة» سنبحث بأنفسنا عن مدير صالح مؤهل لهذا المنصب. مشكلتنا في الجمهورية الإسلامية، في غالب الأحيان، هي أننا لم نقدم تعريفاً «للإدارة الصالحة»، ثم نبحث عن شخص مؤهّل للإدارة! ونتيجة لذلك قد نولّي بعضَ المناصب أشخاصاً صالحين، لكن غير كفوئين.

نحن لا نريد إنساناً صالحاً، بل نريد مسؤولاً صالحاً! مسؤولاً يتقن الإدارة. تصوّروا إنساناً صالحاً كلقمان الحكيم، إذ قال له تعالى: أريد أن أقلّدك النبوة أيضاً، فانظر ماذا ترى؟ (وهناك في النبوة نوع من الإدارة، وعلى حد قول سماحة الإمام(ره) فإن أصلها الإدارة). قال لقمان: ماذا عساي أن أقول وقد أمرتني يا إلهي؟ فقال له: لك أن تبدي رأيك الآن. قال لقمان: إن كان لي الخيرة في أمري فـ«لا أريد ذلك»، فاستجاب له تعالى. وهنا يتبيّن أن لقمانَ لم يكن قادراً على الإدارة. لكن اللافت أنه كان إنساناً في غاية الخير والصلاح، إذ قد تكرر كلامه في القرآن أكثر من جميع الأنبياء(ع)، لكنه لم يكن حاكماً: «يا لقمان، هل لك أن يجعلك الله خليفة تحكم بين الناس بالحق؟ قال لقمان: إن أجبرني ربي عزَّ وجل قبلت، فإني أعلم أنه إن فعلت ذلك أعانني وعلّمني وعصمني، وإن خيّرني ربّي قبلت العافية ولا أسأل البلاء...» (عوالي اللئالي/ ج٣/ ص٥١٧). وقد نُقل عن رسول الله(ص) أنه منع أبا ذر الغفاري(ره) أن يترأس ولو اثنين، فهو إنسان صالح وسيبقى صالحاً، أما أن يصبح أميراً فلا! «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، فَلَا تُؤَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ» (أمالي الطوسي/ ص٣٨٤). وكان كميل(رض) من أصحاب سرّ أمير المؤمنين(ع)، لكن بعد أن ولّاه الإمام(ع) منصباً حكومياً ثم أخطأ كميل مرتين في قضايا الإدارة واتخاذ القرارات بشأن الحرب، قال له الإمام(ع): من الآن فصاعداً، لا تُقْدِم على أمرٍ حتى تستأذنني: «لا تَغزُوَنَّ غَزوَةً ولا تَجلُوَنَّ إلى حَرْبِ عَدُوِّكَ خُطوَةً بعدَ هذا، حَتَّى تَستأذِنَني في ذلِك» (مكاتيب الأئمة/ ج٢/ ص١٢٣).

إنكار الإدارة على مستوى الأسرة هو ضرب من النهج الخوارجي

نحن نتحدث عن الأساليب الإدارية ونناقش أصل الإدارة. وإن مَن يرفض أصل الإدارة في المنزل ولا يبحث عن أساليب لتنفيذها وحلول لها وتقسيم الوظائف في الأسرة فهو جاهل. وإن تكلمنا عن الأخلاق باستمرار قبل البتّ في موضوع الإدارة فهذا أيضاً يُعَدّ ضرباً من الحماقة! إنه لون من العلمانية! وإنْ نحن أنكَرْنا هذه الإدارة فهذا نمط من النهج الخوارجي. أن ننكر الإدارة على مستوى الأسرة هو ضرب من النهج الخوارجي، وأن نتجاهل الإدارة في العائلة ونكتفي بالوصايا الأخلاقية فهذا شكلٌ من العلمانية، إنه أيضاً نوع من الحماقة، تماماً كما لا يمكن تجاهل الإدارة على مستوى المجتمع. فلا أصلُ ضرورة الحاكم تُنكَر، وإن كان فاجراً (لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ؛ نهج البلاغة/ الخطبة٤٠)، ولا نمط وأسلوب الإدارة هو مما يسعنا غض النظر عنه؛ فلو انتهج المدير أسلوباً خاطئاً في الإدارة فسيؤدي بالمجتمع إلى الانهيار، وإن كان إنساناً صالحاً.

علينـا أن نوجِـد في أنفسـنا القـدرة عـلى الإدارة والتدبـير؛ لذواتنـا عـلى نحـوٍ مـا، ولأُسَرنـا عـلى نحـو آخـر، ولمجتمعنـا عـلى نحـو ثالـث. إن مـن الطبيعـي أن تعـاني الأسرةُ المشـاكلَ في المجتمـع الـذي لا تتلقـى فيـه الفتيـات أي درس تقريبـاً عـن إدارة الأسرة قبـل حصولهـن عـلى شـهادة الثانويـة، ولا يشـم الفتيـان أيضـاً رائحـةَ تعليـمِ إدارة الأسرة قبـل حصولهـم عـلى شـهادة الثانويـة، وفي المجتمـع الـذي يقـدِّم لأبنائـه باسـتمرار دروسٌ في الأخـلاق قبـل أن يُعالَـج لهـم موضـوع الإدارة عـلى مسـتوى الأسرة.

الأهم من نزاهة المسؤولين هو أن يكونوا مؤهلين للإدارة!

ينبغـي في البدايـة أن نحـدد موقفنـا مـن الإدارة؛ أي أن نتبـيّن مـن هـو الرئيـس، وفي أيّ مجـال، ومـا هـي حـدود صلاحياتـه؟ ثـمّ نتحـدث عـن الأخـلاق. فـلا يمكـن قبـل البـتّ في موضـوع أسـلوب إدارة المجتمـع أن تكتفـوا بالقـول: «يجـب أن يكـون نائـب البرلمـان مؤمنـاً ونزيهـاً!» نحـن لا نريـد اختيـار إمـامٍ لصـلاة الجماعـة، بـل انتخـاب شـخص يتقـن التخطيـط! يجـب أن نـرى هـل لهـذا الشـخص الـذي سـيصبح نائبـاً القـدرة عـلى التخطيـط أو لا؟ هـل هـو عـلى معرفـة بالأهـداف الوطنيـة الكـبرى أو لا؟ وإذا وضعتم أمامه جـدول التحليـل الرباعـي «SWOT» فهـل سيسـتطيع أن يقـدّم لكـم قائمـة بالفـرص والتهديـدات ونقاط القـوة والضعـف لدائـرة أو مؤسسـة صغـيرة؟ فـإن عجز عـن ذلك فهـذا يعني بطبيعـة الحال أنـه لا ينفع. يجـب أن نبحـث عـن أشـخاص يتمتعـون بموهبـة المنهجـة والإدارة، ولا يكفـي أن لا يكونـوا لصوصـاً! فـأن يكـون المسـؤولون مؤهلـين لـلإدارة، فاهمـين لها، وعندهـم قابلية وكفـاءة في التخطيط الاسـتراتيجي، أهم مـن أن يكونـوا نزهـاء غـير متورطـين في قضايـا السرقـة والريـع. واسـتناداً لـكلام أمـير المؤمنـين(ع)، حيـث قـال: «لَا بُـدَّ لِلنَّـاسِ مِـنْ أَمِيـرٍ بَـرٍّ أَوْ فَاجِـرٍ» (نهـج البلاغـة/ الخطبة٤٠)، يُعَـدّ أصل الإدارة أهـم من صلاح المديـر أو فجـوره. وبالنتيجـة فـإن أصـل القابليـة الإداريـة أكـثر أهميـة مـن الأشـكال الهامشـية للنزاهـة.

على مستوى الأسرة أيضا لا بدّ من البتّ في أمر الإدارة قبل كل شيء

في مـا يتعلـق بالالتـزام الفـردي بالديـن لا بـد مـن البـتّ في أمـر الإدارة قبـل كل شيء، فينبغـي أن نسـأل أنفسـنا: «مـا رأيـك في أن تعيـش وفقـاً لمنهـج؟» وإن الإجابـة عـلى هـذا السـؤال تحـدد لـك موقفـك مـن تدينـك. وعـلى مسـتوى الأسرة أيضـا لا بـد مـن البـتّ في أمـر الإدارة أوّلاً وأنـه «مـن هـو المديـر في المنزل؟ وكيـف يمـارس مهـام الإدارة؟» بعـد ذلـك سـيكون بوسـعكم تقديـم النصائـح الأخلاقيـة، ولـو أنـه في مثـل هـذه الحالـة لـن تحتاجـوا إليهـا كثـيراً. كيـف ينبغـي أن يكـون المسـؤول في المجتمـع الإسـلامي؟ وبـأي صـورة يجـب أن يكـون أسـلوب الإدارة فيـه؟ إذا وصلنـا إلى حـل لهـذه القضايـا، فستسـتقيم باقـي الأمور؛ سـتصلُح الثقافـة، وسيتحسـن كل شيء. المهـم هـو أن نمتلـك عقليـة الإدارة ونـدرك ضرورة أصـل الإدارة.

المعضلة الأهم التي تعاني منها الأسرة في ايران هي حل موضوع الإدارة

إن أهم إجراء يمارسه الصهاينة على مستوى الأسرة هو حذف الإدارة منها، تماماً كما يحاولون - من خلال إشاعة الحياة الخليعة - سلب قوة الإدارة من الأشخاص، وتماماً كما يعملون - من خلال نشر النهج الخوارجي - على بثّ روح التذمّر من الإدارة في المجتمع. المعضلة الأهم التي تعاني منها الأسرة في ايران هي مشكلة الإدارة، أما القضايا الأخلاقية فتأتي في المرتبة التالية. فإن ظلّتْ قضية الإدارة في الأسرة من دون حل فلا فائدة ترجى تقريباً من أي توصية أخلاقية، بل وقد تُلحق الضرر أيضاً! على سبيل المثال أنتم توصون (الأزواج) أن :»كونوا رُحماء، كونوا مرنين!»، هذا وقد تغيّرت أدوار الإدارة في الأسرة وتبادل الأزواج مكانتيهما، فبات الرجل يؤدي دور المرأة والمرأة تؤدي دور الرجل. في مثل هذه الظروف قد تتجلّى المرونة بشكل التنازل في غير محله، مما يؤدي إلى أن ينشأ الأطفال ضعفاء!

خلُوّ جو الأسرة من المشاجرة لا يُعَد مؤشّراً على نجاحها!

مثلاً قد يتنازل أحد الطرفين أثناء الشجار إذ لا صبر له على مواصلة الكلام والرد، قائلاً: «الحق معك تماماً! حسناً، دعني وشأني!» أو يتنازل دائماً تجنُّباً للسان الطرف المقابل السليط الذي يقطر سُمّاً! فهل تُعد مثل هذه الأسرة صالحة؟! وهل يُحبَّذ أن تتنازل باستمرار؟ وكيف سيتربّى الأولاد في مثل هذا البيت؟ سيتربّون شاردي الذهن حيارى! خلُوّ البيت من الشجار لا يُعَدّ مؤشّراً على صلاح الأسرة! فأن لا تنشب أية مشاجرات في البيت ليس بالضرورة أمراً حسناً! والحياة جنباً إلى جنب من دون أي نزاع أو مشاجرة، كما النعاج، ليست إنجازاً! فإنّ بعض المشاجرات والتحديات والمحاورات التي تعزّز الإدارة في المنزل، وتُرَقيها، وتثبّتْ دعائم الإدارة الصحيحة أفضل بكثير من عدم المشاجرة! وبناء على ذلك، لا بد من البتّ في أمر الإدارة على مستوى الأسرة قبل كل شيء، ثم معالجة الأمور الأخرى.

الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٥)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: محرم ۱۴۴۱

المكان: طهران، جامعة الإمام الصادق(ع)

الموضوع: الاستعداد للظهور،

إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٥)

التاريخ: ٤/ محرم / ١٤٤١ – ٤/ ٩/ ٢٠١٩

من الذي يتولى إدارة المنزل؟ مسؤولية الإدارة الحقوقية تقع على عاتق الرجل ومسؤولية الإدارة العاطفية تقع على عاتق المرأة/ المرأة تتولى الإدارة الداخلية في المنزل، والرجل يتولى الإدارة الشاملة/ يقوم العدو بحقن الأسرة بفكرٍ قوامه سوء التدبير

ينبغي على كل من الزوج والزوجة ممارسة الإدارة على مستوى الأسرة ومعرفة دوره الإداري. مسؤولية الإدارة الشاملة في الأسرة تقع على عاتق الرجل وهذا ما قال به علماء النفس أيضاً. أما الإدارة الجزئية (أي الإدارة في داخل المنزل) فهي من مهام المرأة، فأعظم المسؤوليات وأعلى مستويات الإدارة في داخل البيت تتحمّلها الزوجة.

لماذا يحتاج الإنسان إلى الإدارة؟

حين نقرر التخطيط من أجل تطوير أنفسنا ورُقيّنا لا نستطيع أن نقوم بذلك في الفراغ، لأننا لا نعيش في فراغ أصلاً. فثمة حقائق من حولنا تنازعنا وعلينا أن ندافع عن أنفسنا ونهتم بتنميتها في خضم هذه الصراعات والنزاعات التي باتت تهدّد مصالحنا. ومنذ أن خُلق النبي آدم(ع) وهو وسطَ صراع بسبب إبليسَ يعاديه. وقد أُطلِع سيدنا آدم(ع) منذ اليوم الأول على هذا الصراع، فكان عليه أن يلاحظ وجود هذا العدو الخبيث ويحذر منه في منهجَته من أجل الكمال، بيد أنّه نسي عداوته في لحظة واحدة فتلقّى منه ضربة قاسية. والآن، وبما أننا نريد أن نسمو بأنفسنا ونهيّئ آخر مقدمات الظهور على مستوى أنفسنا ومجتمعنا، فلا بد من أن نقوم بذلك في خضم الصراع الدائر في عصرنا والعداوات التي تواجهنا، وأن نعلم في أي عصر نعيش نحن؟

الفكرة والثقافة التي يوحيها نظام الهيمنة هي "التنظير لعبادة الهوى"!

هناك في القرآن الكريم آية تقول: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَواهُ» (الجاثية/٢٣)، فهذا الإنسان إن لم يكن عبدا لله أو عبداً للأصنام فهو «عبد للهوى»! ينبغي أن نتمعّن في معنى هذه الآية جيداً. في الحقيقة نحن نعيش في زمن تُعد فيه الحضارة الغربية والفكر الذي تقوم عليه عبادةَ هوىً مُنَظَّرٍ لها، وما السلبيات التي نراها في هذه الحضارة إلا نتيجة لعبادة الهوى هذه بالذات. على سبيل المثال، حين يقولون: «إن من حق الإنسان أن يحصل على كل ما يتمناه!»، فإنهم في الحقيقة يريدون بهذا الكلام إسقاط جميع الحدود بين «الأمنيات الحسنة والأمنيات السيئة». أو بتعبير أفضل: لا يريدون القول بأن بعض أماني المرء أسمى قيمة من بعضها الآخر، وأنّ عليه أن يغضّ النظر عن أمنياته الأدنى قيمة لصالح أمنياته الأكثر قيمة! هؤلاء لا يريدون أن يتقبّلوا هذا الأمر.

بالطبع إن مواجهتنا الرئيسة لم تَعُد حتى مع الحضارة الغربية، بل من الأفضل أن نقول: إنها باتت مع «نظام الهيمنة». فالثقافة والفكر اللذان يبثّهما نظام الهيمنة ليسا إلا نتاجاً لعبادة الهوى المنظَّر له! نحن اليوم نواجه هذه الظاهرة، ولا بد من تنسيق جميع تعليماتنا لتصب في خدمة الصراع مع شبه إبليس زماننا هذا! إن جزءاً من حضارة الغرب هو حصيلة هذا الإبليس؛ إبليس الذي بدأ بالغرب فدمّره قبل أن يبدأ بتدمير الشرق. ولو كانت الشعوب في فرنسا وألمانيا وإنجلترا وجميع الشعوب الأورُبية قد تُركت لحالها ولم يكن ثمة تيار صهيوني مسيطر على أفكارها وثقافتها، لكانت قد اتخذت نهجاً آخر، وبالتأكيد لم تكن لتختار هذه الحياة التي اختارتها اليوم. هذه هي المعاناة التي يتظاهر بسببها الفرنسيون أسبوعياً. وإن كانت أعمال الشغب والبلبلة في الغرب لم تتصاعد أكثر مما نراه اليوم فذلك لأن الشعوب الأوروبية لم تجد بعدُ حلّاً بديلاً لما هي عليه، وفقدت أملها في تغيير الأوضاع، ولو وجدَت البديل لغيّرَت الأوضاع بالتأكيد. ولهذا السبب قيل فيما يتعلق بحوادث ما بعد ظهور صاحب الزمان(عج) إن القوم الذين سيخضعون بسهولة لخاتم الأئمة(ع) هم هؤلاء الأورُبيون بالذات، لأنهم سيكونون قد وصلوا إلى نتيجة مفادها أن السبيل الذي يمضون فيه هو السبيل الخطأ.

محورُ عداء نظام الهيمنة لنا هو: "لا تمارس الإدارة" أو "مارس الإدارة بشكل سيّئ"

ما الذي تعاديه بالضبط الثقافة والحضارة الغربية اليوم (المقصود هو الجانب السلبي منها) وما الثقافة التي يبثّها نظام الهيمنة؟ ما هو الموضوع الذي يشكل محورَ عدائِها، كي نتخذ تجاهه الموقف المناسب؟ الهدف الرئيس الذي يرمي إليه نظام الهيمنة في مواجهتنا، ومحور عدائه لنا يدور حول موضوعين؛ فهو إما أن يقول: «أيها الناس، اتركوا ممارسة الإدارة ودعوا الآخرين يتولون إدارتكم»، أي أنه قد حوّل الانفعال والتأثر بالآخرين وعدم ممارسة الإدارة إلى أمر ذي قيمة وإلى موضة وموضوع جذاب! وإما أن يقول: «إن مارستَ الإدارة فلا تحسن إدارتك!» فإن قال: «لا تمارس الإدارة أبداً»، فهو يروّج للفساد والفجور، ويحرّض الناس على حياة الفوضى. ونظامنا التربوي والتعليمي أيضاً عاجز عن مواجهة نظام الهيمنة! بل إن المرء ليخشى أحياناً أن تكون مناهج التربية والتعليم قد صيغَتْ بما يسلب منا قدرة المقاومة ضد نظام الهيمنة! أحياناً يخشى المرء أن يكون نظام الهيمنة قد تسلّل إلى عملية صياغة مناهجنا الدراسية لجَعْلها عقيمة إلى درجة أنها لا تُسمِن ولا تُغني من جوع. وحين نوصي بأن: «أَخرِجوا المناهج من حالة العُقم شيئاً ما»، يتعلل المخطّطون لهذه المناهج أحياناً بحجة أن هذا العمل يسبب «حساسية اجتماعية»! ما معنى هذا الكلام؟! إنّك إنْ كنتَ تملك عِلماً فلا بد لهذا العِلم وهذه المعرفة أن يجدا طريقهما إلى المدرسة. فقف دون رأيك ودافع عن عِلمك!

يقترح الدين ممارسة أصعب أنواع الإدارة

اليوم يرمي نظام الهيمنة، أولاً، إلى أن لا يمارس أحدٌ إدارة نفسِه، وكنموذج من ذلك: لا يريدك أن تدير اقتصادك. هذا وإنك لن تحقّق الاقتصاد المقاوم إذا لم تُدِر اقتصادك بنفسك. فماذا يفعل الدين في مثل هذه الحالة؟ إن اقتراح الدين هو ممارسة أصعب أنواع الإدارة، فيقول: لا ينبغي عليك ممارسة الإدارة فحسب، بل يجب أن تختار أكثر أنواع الإدارة تعقيداً ودهاءً وصعوبة.

أصعب الأساليب في كسب المال هو الأسلوب الجماعي

في السنة الماضية تحدّثتُ في هذه المحاضرات عن أن تعالوا لنجعل للعمل وإنتاج الثروة والمثابرة قيمةً عندنا، وقد ذكرتُ حينها أن أصعب الأساليب في جني المال هو أن نقوم بذلك جماعياً، فنؤسس شركة تعاونية على سبيل المثال. وفقاً للخطة التنموية للبلاد، ينبغي أن تبلغ حصة الاقتصاد التعاوني من اقتصادنا ٢٥ بالمائة، بَيدَ أن هذه الحصة لم تتجاوز يوماً الستة أو السبعة بالمائة خلال هذه السنوات. وهذا لأن مسؤولي الحكومة ونواب البرلمان ليسوا جديرين بأن يُطلقوا اقتصاداً تعاونياً، كما أن الاجتناب من تأسيس التعاونيات أسهل أيضاً لشعبنا؛ إذ إنّ كل مواطن يفضّل أن يؤسس مشروعَ عمل لنفسه، أو أن يودع أمواله في المصارف للاستثمار بالمضاربة.

قولنا: "لينتج الناس الثروة" لا يُعد دعوة إلى النظام الرأسمالي والليبرالي

لينتبه جيداً الذين حاولوا في السنة الماضية - باسم المطالبة بالعدالة أحياناً – النيل من هذه المحاضرات وضربها، فهذا الخط الفكري مُستمَدّ من محطة الـ»بي بي سي»؛ فمُنظّر هذه المحطة هو الذي يوجّه بأنّ «هذه المواضيع هي التي تتميز اليوم بالحساسية وأن باستطاعتكم ضرب هذه الأفكار بهذه الطريقة...». ومن جانب آخر، هناك مواقع الكترونية، تدّعي فئة منها التديّن والثورية، تساهم أيضاً في الترويج لهذا النهج. نحن لم ندعُ في هذه المجالس أبداً إلى النظام الرأسمالي والليبرالي، بل كان حديثنا هو أنْ «هلمّوا للعمل وكسب المال سوية، عبر تأسيس التعاونيات في المساجد مثلاً!» فهذا لا يُعَد اقتصاداً رأسمالياً أو ليبرالياً! لكن البعض يتعمّد عدم الإصغاء لبعض المقاطع من كلامي. لذا ليس كلامهم لمجرّد التساؤُل أو الالتباس، فحسبهم أن يسمعوا بقية كلامي.

كان أبرز موضوع تطرّقنا إليه في محاضرات السنة الماضية هو: «لماذا تودعون أموالكم في المصارف بشكل المضاربة لكي تستلموا شهرياً مبلغاً من الأرباح؟ اسحبوا أموالكم من المصارف واجتمعوا معاً لتقوموا – مثلاً - بدعم صناعةً معرفيّة، أو تأسيس شركة تعاونية، وادفعوا شبابكم هؤلاء إلى العمل». فهل يَمُتّ هذا الكلام بِصلة إلى الاقتصاد الليبرالي يا ترى؟! وهل يُعد تنظيراً للاقتصاد الرأسمالي؟! كل مَن يفهم في الاقتصاد قيد أنملة لا يَعُدّ كلامنا هذا تنظيراً للأرستقراطية والرأسمالية.

أصعب أنواع الإدارة على مستوى الأعمال الاقتصادية هي الإدارة الجماعية والإدارة التعاونية

المثال الذي ذكرناه أعلاه بحد ذاته يبيّن أن الإسلام لا يوصيك بإدارة حياتك فحسب، بل يطلب منك أن تختار أصعب أنواع الإدارة! وإن أصعب أنواع الإدارة لكسب العيش هي الإدارة الجماعية والإدارة التعاونية للأعمال الاقتصادية، وهذا العمل الشاق للغاية يُعَدّ أكثر أنواع الاقتصاد تأخّراً في بلادنا! يطرح دستور البلاد ثلاثة أنواع من الاقتصاد: الحكومي والتعاوني والخاص. وبالمناسبة، تم تقديم الاقتصاد التعاوني على الخاص أيضاً، بيد أنّ ذاك الأول لم يصل حتى العشرة بالمائة، فما بالك بخمسة وعشرين بالمائة! (بتعبير آخر، عجز هذا الاقتصاد لحد الآن عن بلوغ الحصة المحددة له وهي ٢٥ بالمائة). لماذا؟ لأنّه في الاقتصاد التعاوني يتضاءَل الريع، وتزدهر ريادة الأعمال، وتزداد المقاومة وينتعش الاقتصاد المقاوم.

يوصي الدين بأنْ "تولَّى إدارة حياتك بنفسك"/ ينبغي أن نربّي أطفالنا في المدرسة ليكونوا "مديرين"

لا نريد الآن الولوج في موضوع الاقتصاد والمعيشة، بل نريد أن نقول: إن الدين قد أوصانا بأنْ «تولَّى إدارة حياتك بنفسك». وتوصية الدين في حقل الإدارة هي ممارسة أصعب أنواعها، ولذا فإن هذا النوع من الإدارة ليس للكسالى! علينا أن نُنشِئ أولادنا في المدارس ليصبحوا مديرين، ويكتسبوا الكفاءة اللازمة للإدارة؛ كأن يكون الطفل قادراً على إدارة مصروفه الشهري، أو على الأقل أن يُحسن إدارة مصروفِ جيبه الذي يستلمه من والده. في مدرسةٍ – أقدّم لها أحياناً بعض المشورة – ضربوا عملة نقود خاصة بتلك المدرسة، وقالوا للتلاميذ: «مارسوا عملية البيع والشراء بهذه العملة، ولا بد لكل واحد منكم أن يقوم بإدارة نقوده؛ كَم من المال تُنفق؟ وكم لا تنفق؟ وماذا تريد أن تشتري؟ وما الذي لستَ بحاجة إلى شرائه؟...» فأن تقوم بإدارة أموالك ولا تبذّرها في ما لا طائل فيه هو أساساً من توصيات الدين.

يريد العدو أن لا نتولّى نحن مسؤولية الإدارة حتى يتحكّم هو بنا

يركّز عدوّنا اليوم على العمل على قضية: «لا يكن أحدٌ مديراً، أنا من يتولّى إدارة شؤونكم!» هذا هو أسلوب نظام الهيمنة، هذا هو الدأب الصهيوني، هذه هي طريقة النظام الرأسمالي الغربي الاستغلالي، والمتّبَعة في بلادنا أيضاً. فما يريده العدو في الحقيقة هو أن «اجلسوا في بيوتكم وودّعوا أموالكم في المصارف، وسينال أصحاب الريع منكم جميعاً، ويعطونكم نقوداً تسدّ رمَقكم!» هذا هو أسلوب النظام الرأسمالي، لكنه انتشر بيننا أيضاً مع الأسف. فليعمَد الذين يزعجهم النظام الرأسمالي إلى المصارف فيصلحوها، لا أن ينتقدوا توصيتنا بأنْ «انهضوا أيها الشباب واعملوا مع بعضكم البعض!»

النظام الرأسمالي "يربّي المُنفعلين المتأثرين" / الدين يقول: يجب أن تتولى الإدارة بنفسك

النظام الرأسمالي يربّي الخدَم.. النظام الرأسمالي يربّي المنفعل المتأثِّر.. النظام الرأسمالي يقدّم لرعيّته قوتاً يسدّ الرمق. على أنّه لو استطاع لما قدّم لهم ذلك أيضاً، ولأماتَهم جوعاً (وتلاحظون كم شرّدَ هذا النظام من الناس في العالم). أما إذا عجز عن ذلك فسيرقّه موظّفيه قليلاً ثم يقول لأفراد رعيّته إذا انفعلوا بذلك: «لا تمارس الإدارة، فثمة عدد من المديرين، ما عليك أنت إلا أن تستريح وتتفرّج عليهم وتصفّق لهم!» لكن الدين يقول: «لا ينبغي أن تمارس أنت الإدارة فحسب، بل يجب أن تلتَفّوا حول بعضكم البعض وتمارسوا الإدارة جماعيّاً!» ولا شك أن هذا أمر عسير للغاية، لكنه رائع في الوقت نفسه. وإنما يتجلّى جوهر المرء في إنجاز النشاطات التي تتميز بشيء من الصعوبة. حتى الأطفال إذا أرادوا اللعب لا يختارون الألعاب البسيطة جداً، وإن ما يحقّق اليوم مبيعات أكبر هو الألعاب التي تكون صعبة نسبياً.

"لا تمارس الإدارة" أو "مارسها بشكل سيّئ"، هذا ما توحيه ثقافة نظام الهيمنة إلى الناس

نحن نعيش في زمن يقول فيه عدونا (أي نظام الهيمنة): «لا تمارس الإدارة»، أو إذا مارستَها ف»مارسها بشكل سيّئ»؛ بتعبير آخر، إنهم يعلّمون الناس سوء الإدارة عبر أساليب مختلفة. على سبيل المثال، إن نظرتم بدقة ستلاحظون أن الكثير من «أساليب النجاح» المطروحة تنطوي على تعابير جيدة (فهم يقتبسون العبارات الحسَنة الواردة في بعض روايات أهل البيت(ع) وينقلونها إلى الناس بتعابير أخرى من دون الإشارة إلى «أنها رواية»). لكن ثمة أيضاً، في بعضٍ آخر من أساليب النجاح، تعابير أخرى إن التزم بها الناس عمليّاً سيعيشون حياة العبيد!

أهم مقترح يقدّمه نظام الهيمنة لإفساد الإدارة يختص بحقل الأسرة

إن ثقافة نظام الهيمنة وفكره إما أن يقولا: «لا تكن مديراً»، وإما أن يقدّما مقترحات للإدارة السيئة. ففي أي حقل يقدّم نظام الهيمنة أهم مقترحاته لتخريب الإدارة؟ إنه حقل الأسرة. وإن يتمعّن المرء في هذا الموضوع، سيلاحظ أنهم أصابوا الهدف بدقة عالية! فهم يقولون بصراحة: لإضعاف الإدارة على مستوى المجتمع ولكي نتمكن، عموماً، من استعباده لا بد أن نضرب الإدارة على مستوى الأسرة؛ فإمّا أن لا تكون ثمة إدارة في الأسرة، وإما أن تكون إدارتها سيئة! في هذا المجلس نريد أن نقدّم حلا لقضية أساسية في موضوع إدارة الأسرة، ثم سنتطرق في المحاضرات القادمة إلى عدد من الخصائص الرئيسة في الإدارة الجيدة، لنستعد لمثل هذه الإدارة إن شاء الله. بعبارة أخرى، نريد أن نناقش «الأسس المشتركة بين إدارة الذات، وإدارة الأسرة، وإدارة المجتمع»، لتشاهدوا أنّ سياستنا هي ديانتنا عيناً! وأنّ السياسة هي الأخلاق عيناً، والأخلاق هي السياسة عيناً. وأنّ التفسير السياسي للقرآن هو التفسير التربوي للقرآن نفسه ولا فرق بينهما.

بمرور الزمن، ستتضاءل هذه النقاشات السياسية في المجتمع

عن أمير المؤمنين(ع): «أَدَلُّ شَيْءٍ عَلَى غَزَارَةِ الْعَقْلِ حُسْنُ التَّدْبِيرِ»(غررالحكم/٣١٥١) فحسن التدبير يعد أفضل دليل على ذكاء الإنسان وحِدّة عقله. أبشّركم بأن هذه النقاشات السياسية ستتضاءل في المجتمع بمرور الزمن. فالكثير من المواقف السياسية المختلفة المطروحة تعود إلى حِقبَة جاهليّتنا، ولا حاجة أصلاً للاقتراع في الكثير منها؛ بالضبط كما أنه لا معنى لأن يقول شخص ما: «نحن نريد الاقتراع لنقرّر من أي جهة من مدرج المطار يجب أن تقلع الطائرة؟» فتأتي آنذاك ثلة من الانتهازيين فتثير ضجة وتقوم بتشويه سمعة هذا وذاك عبر الأساليب الشعبوية و... لماذا؟ لأننا نريد أن نقرّر من أين تقلع الطائرة، من هذه الجهة من مدرج المطار أو من تلك الجهة؟! والحال أن هذا الموضوع هو أساساً موضوع تقني، فحين تهب الريح من هذه الجهة، يجب أن تقلع الطائرة من الجهة الأخرى وبالعكس! وهذا ما يقرّره المهندسون. سيأتي يوم لن تشاهدوا فيه أثراً للنزاع أثناء الانتخابات، وسيتحقق هذا الأمر في مجتمع هو مجتمع صاحب الزمان(عج). لماذا نقول: «تعالوا لنطوّر مستوى علومنا في حقل الإدارة؟» نقول ذلك حتى يتبين أن الكثير من هذه النزاعات السياسية عبثية ولا طائل تحتها! فمجرد إثارتهم للنزاع تعني، في الحقيقة، أنهم يفترضون الناس حمقى! لأن هذه النزاعات تدور حول المواضيع الاختصاصية ولا حاجة لهذا الصخب والضجيج حولها.

ليس النزاعات السياسية المضحكة هي وحدها التي ستختفي شيئاً فشيئاً، بل ستختفي معها النزاعات والمواقف الثقافية المضحكة أيضاً. فلن يستطيع أحد بعد ذلك أن يقول مثلاً: «إن ذوقي الخاص في الموضوع الثقافي الفلاني هو كذا وكذا...» فهل هذه المواضيع ذوقية أساساً؟! وهل يجب حلّها بالنزاع والصراع والصفير والتصفيق؟! هذه القضايا أيضاً اختصاصية، ويجب أن يَبُتّ فيها الأخصائيون في ذلك المجال. بل وغالباً ما يتسنّى حلّها بالعلوم البشرية، فلا نريد أن نقول إنه لا بد من حلها بالدين فقط!

بعض الأشخاص يحوّل النزاع على الإدارة إلى نزاع لتشويه سمعة المنافس

علاج الكثير من الصراعات الإدارية معلوم في علم السياسة وعلم الإدارة، لكن بعض الأشخاص يحوّلون هذه القضايا إلى صراع انتخابي وفرصة لتشويه سمعة المنافس! وأمثال هؤلاء هم حمقى أوّلاً، ويحسبون الناس حمقى ثانياً. وستزول هذه النزاعات أيضاً وسيأتي يوم لن يبقى فيه من هؤلاء الأشخاص ذكرٌ سوى أنهم كانوا مخلوقات مَهينة من التاريخ. فلو سُئل المنصف من الناس الآن: «هل يُستحسن حضور الفتيات في الملاعب الرياضية أو لا؟» فسيجيبون: «لماذا تقيمون الدنيا؟! حسبكم أن تأتوا بعدد من الأخصائيين في هذا المجال ليدرسوا التبعات الإيجابية والسلبية لهذا الأمر ويبدوا آراءهم. يلزمنا بضع ندوات يحضرها أصحاب الفكر من الحوزة والجامعة ويبدون آراءهم ويفضّون الموضوع.» فلماذا تركبون موجة مثل هذه الأمور؟! لماذا تحسبون الناس جَهَلة؟! أنا طلبت مراراً من الأشخاص الموالين للثورة ألا يتدخلوا أبداً في الكثير من النزاعات، لأن حلّها من شأن العلم والمعرفة، وإن كان العلم التجريبي! ولا داعي للنزاع في هذه الأمور.

لا بد أن تتحوّل العديد من مناقشاتنا السياسية إلى مناقشات اختصاصية في حقل الإدارة

نحن بحاجة إلى أن تتبدّل الكثير من مناقشاتنا السياسية إلى مناقشات اختصاصية في حقل الإدارة! فمن الخطأ أن نقول: «هذه الفئة تعتقد بهذا النمط من الإدارة وتلك الفئة تعتقد بنمط آخر!» وليس هذا الكلام بالجديد، ففي كتاب أمير المؤمنين(ع) لأبي موسى الأشعري [ما مضمونه]: ما دمتَ ذاهباً إلى المفاوضة فاجعل معيارك العقلَ والتجربة، ولا حاجة لأن تعتمد على مواقفي! فإن لم تتخذ العقل والتجربة معياراً فستشقى! «إنَّ الشَّقِيّ مَن حُرِمَ نَفعَ ما أُوتِيَ مِنَ العَقلِ والتَّجرِبَةِ» (نهج البلاغة/ الرسالة٧٨). في الحقيقة إن الإمام(ع) يقول له: لا تأبه برأيي وبموقفي، بل اعتمد على معيارَي العقل والتجربة فحسب!

فهل ترتبط هذه القضية باختلاف الموقف السياسي للإمام(ع) مع الآخرين؟ بمعنى أن يكون موقف الإمام علي(ع) السياسي بنحو، ويكون موقف أبي موسى الأشعري بنحو آخر! كأن يجنحَ أبو موسى الأشعري للسلم، ولا يجنح الإمام علي(ع) له؟! إن الإمام(ع) في الحقيقة كان قد أنهى هذه الألاعيب الخادعة حين أوصى باتخاذ العقل والتجربة معياراً [في الحكم]. كان علي(ع) غريباً وسيبقى كذلك إلى أن يحين موعد الظهور، ففي ذلك اليوم سيجعل الجميعُ العقلَ والتجربةَ لهم ميزاناً.

ما الحل لو انتهج أحد حُسنَ التدبير فوصل إلى نتيجة تخالف رأي الدين؟

موضوعنا حاليّاً هو «حُسن التدبير». والسؤال: إن انتهج أحدٌ حُسن التدبير ووصل، بعقله وتجربته، إلى نتيجة تختلف عن النتيجة التي وصل إليها الدين فما هو الحل؟ أي: لو توصّل أحد بمساعدة معايير التدبير العقلانية إلى نتيجة مغايرة لمنطق الدين فما الحيلة آنذاك؟ وهل هذا سؤال مناسب أصلاً؟ كلا، إنه ليس سؤالاً مناسباً أبداً! لماذا؟ لأنه في الحقيقة مصدر ارتزاق للبعض ضد الدين! فإن البعض قد بَنَى لنفسه، من خلال هذا السؤال، كياناً، وإنّ قولَكَ: «هذا السؤال غير مناسب» يعني نهايته! فمن أين سيحصل، بعد هذا، على لقمة العيش؟ ستخلو نصف صفحات جرائده! هل تعلمون لماذا يعد هذا السؤال غير مناسب؟ لأنه إذا أراد الإنسان العاقل المجرّب، مع ما بلغه البشر من سُمُوّ في العقل وتطور في التجربة، أن يُحَكّم اليومَ ضميرَه فإنه سيصل إلى نفس النتائج التي يُقرّها الدين في أكثر من ٩٩ بالمائة من الحالات. ولذلك نَعُدّ هذا السؤال غير مناسب، ولا يُعدّ هاجساً ضخماً بالنسبة إلينا.

الإدارة هي علم يستثمر أقل الإمكانيات ليحصد أعظم النتائج، والدين أيضا كذلك!

روي عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال: «قِوَامُ الْعَيْشِ حُسْنُ التَّقْدِيرِ وَمِلَاكُهُ حُسْنُ التَّدْبِيرِ» (غرر الحكم/٦٨٠٧). ستتحول حياتنا إلى حياة طيّبة عبر حُسن التقدير، وحُسن الإدارة، وحُسن المنهجة، التي تحتاج بدورها إلى حُسن الإدارة. وروي عنه(ع): «حُسْنُ التَّدْبِيرِ يُنْمِي قَلِيلَ الْمَالِ وَسُوءُ التَّدْبِيرِ يُفْنِي كَثِيرَهُ» (غرر الحكم/٤٨٣٣). والإدارة في الحقيقة، هي علم يستثمر أقل الإمكانيات ليحصد أعظم النتائج. بل وما الدين إلا هذا، فهو يقول: استثمروا أدنى الإمكانيات للحصول على أعظم الفوائد.

الديـن هـو الـسراج الهـادي في لغـز الحيـاة، فهـو يجنـي أعظـم الفائـدة مـن أقـصر الأزمنـة، ويسـتثمر أفضـل الاسـتثمار مـن أدنى طاقـة. ولذلـك يـرى أمـير المؤمنـين(ع) أن أفضـل دليـل عـلى دهـاء الإنسـان هـو حسـن الإدارة، لأنـه يسـتغل أبسـط الإمكانيـات ليجنـي أعظـم الفوائـد: «أَدَلُّ شَيءٍ عَـلَى غَـزَارَةِ الْعَقْلِ حُسْـنُ التَّدْبِيـر.» (غـرر الحكـم/٣١٥١)

يقوم العدو بحقن الأسرة بفكرٍ قوامه سوءِ التدبير

مـاذا يفعـل العـدو في سـياق سـوء التدبـير؟ يقـوم العـدو ببعـض الأعـمال للترويـج لسـوء التدبـير في المجتمـع، وبأخـرى لترسـيخ سـوء التدبـير عنـد الأشـخاص (وأنتـم مطلعـون عـلى هـذه المواضيـع ولا بـد مـن شرحهـا بالتفصيـل في محلهـا)، أمـا الإجـراء الثالـث للعـدو في هـذا السـياق فهـو أنـه بـات يحقـن الأسرة بفكـرٍ قوامـه سـوء التدبـير، وهـو تبديـل الأدوار بـين الرجـل والمـرأة، أو إعـلان تسـاوي دوريهـما، فتحيـط مسـؤوليةَ إدارة المنـزل حالـةٌ مـن الضبابيـة! وقـد قـام بعـض علـماء النفـس الغربيـين بدراسـات في هـذا المجـال، وتوصّلـوا إلى نتائـج لافتـة للنظـر، بـل واعتنـقَ بعضُهـم، وبنـاءً عـلى تجربتـه في علـم النفـس، آراءً أكـثر شـدّة مـن الآراء الإسـلامية! وأريـد الآن أن أقـدم لكـم جـزءاً مـن آراء علـماء النفـس الأجانـب؛ عـلى سـبيل المثـال، قـدّم السـيد «تالكـوت»، وهـو شـخصية بـارزة مـن مُتبَنّـي المذهـب الوظيفـي في علـم النفـس، قـدّم تحليـلاً عـن تقسـيم العمـل بحسـب الجنـس بـين الـزوج والزوجـة، وعَـدَّ «النمـط الـذي يضـع مسـؤولية طلـب الـرزق وقيـادة الأسرة عـلى عاتـق الرجـل والأعـمال المنزليـة وتدبـير شـؤون البيـت عـلى عاتـق المـرأة، أفضـلَ نمـط». وهـذا مـا لم يقلـه الإسـلام!

آراء فئة من المفكرين الغربيين حول الإدارة على مستوى الأسرة

أو قـال بعضهـم مثـلاً: «إن تولَّـت المـرأة مهـام كسـب الـرزق، فسـيكون هنـاك خطـر المنافسـة مـع الـزوج، وهـذا الأمـر يُلحـق ضرراً فادحـاً بالوحـدة والتناغـم في الأسرة!» وهـذا هـو الـرأي الـذي قلـتُ إنـه أشـدّ مـن رأي الإسـلام، لأن الإسـلام لا يمانـع مـن أن تكسـب المـرأة المـال. لكـن اليـوم بـات بعـض علـماء النفـس وفئـة مـن المفكريـن في المجـالات المختلفـة مـن العلـوم الاجتماعيـة والتجريبيـة يصـل إلى نتائـج تغنينـا عـن القـول بـأنّ «هـذا هـو رأي الإسـلام»، بـل بوسـعنا أن نقـول بـكل بسـاطة «إن هـذا هـو رأي المفكريـن الغربيـين أيضـاً!» وقـد قـال سـماحة آيـة اللـه الجـوادي الآمـلي في هـذا المضـمار: ليـس هنـاك معرفـة دينيـة وغـير دينيـة، فـكل كلام صائـب هـو دينـي! بغـض النظـر عـن مصـدره.

حين يستخرج الفقيه حُكماً شرعيّاً لا يكون حُكمُه قطعيّاً، بل يقول: «بحسب استنباطي ودراساتي فهذا هو رأيي ...»، وربما لا يكون حكمه دقيقاً (بالطبع أنْ يُعَدّ هذا الحكم حجة شرعية للمكلّف فهذا بحث آخر). حسنا، عالم النفس أيضاً يقول الشيء نفسه! فهو يقول: «أنا أدعي هذا بناء على آخر تجربة أجريتُها أو آخر حصيلة علمية لدَيّ» فأيٌّ كان كلامُه صحيحاً وصائباً فهو معرفةٌ دينيّة. واللطيف في الأمر أن هذين الإثنين (الفقيه وعالِم النفس) على وشك الوصول إلى نفس الآراء! وعلى مستوى «إدارة الذات» أيضاً تأمّلوا كلام علماء النفس، وانظروا كم قد اقترب من مفهوم مخالفة الهوى، أو: «ضبط الميول»! يقول «ميشيل»، وهو أحد المفكرين الغربيين: «لا بد، في كل نظام أو مؤسسة بشرية، من وجود تدرُّج وظيفي، وهذا التدرُّج ضروري في الأسرة؛ فيجب أن يتولّى أحد أعضائها الدور الرئيس أو دور القيادة فيها ويدير شؤونها». وليس هذا بكلام علماء الإدارة، بل علماء النفس. ثم يردف السيد ميشيل قائلاً: «ولولا ذلك ستضطرب روح الرجل والمرأة.»

لا يريد البعض أبداً أن يتقبّل وجود الفرق بين الرجل والمرأة!

يُقال في العلوم المعرفية: «وفقاً للدراسات التي أُجريَت في العلوم المعرفية، هناك فروق بين الرجل والمرأة من حيث البنية، والأداء المعرفي للدماغ، والذاكرة الانفعالية، وإدراك العواطف، وطريقة وضع الحلول واتخاذ القرارات». وهذه القضية صادقة على الجميع ولا فرق بين من كان ينتمي لهذه الثقافة أو تلك، وبين من كان متديّناً أو غير متدين. فإن أردنا نحن تحديد بعض الأدوار المختلفة للرجل والمرأة وفقاً لهذه الفروق الموجودة بينهما سيتخذ بعض الأشخاص موقفاً مناهضاً لآرائنا، وهؤلاء هم الذين لا يريدون أصلاً أن يتقبلوا وجود الفرق بين الرجل والمرأة. أُنجزتْ دراسة على أطفال دون سن الخامسة لتبيُّن الفرق بين البنت والصبي في هذا العمر. ومن محاسن هذه الدراسة أنها لم تعبأ بالثقافة التي ترعرع في أجوائها هذا الطفل. تقول هذه الدراسة: «أظهرت النتائج أنّ الصبيان يتفوّقون بدوافع السلطة الاجتماعية على البنات بنسبة كبيرة ذات مغزى، بينما اكتسبت البنات علامات أعلى في المهارات العاطفية والاجتماعية ومهارات التنظيم الذاتي.»

لقد خلق الله سبحانه وتعالى فروقاً بين الرجل والمرأة على كل حال! وإن لم يكن علماء النفس ليدعمونا بآرائهم، فهل تعلمون كيف كان سيتصرف معنا البعض بسبب هذه العبارة بالذات؟ كان سينطلق أنصار الـ«بي بي سي» ويتخذون موقفاً ضد هذه العبارة! تُظهِر الدراسة السيكولوجية المذكورة أعلاه أن: «البنات يفضّلن اللعب في مجموعات أصغر وعادة ما يتّخذن صديقات حميمات بدرجات مختلفة، أما الصبيان فيفضّلون اللعب في مجموعة كبيرة، وينظرون إلى أعضاء هذه المجموعة بالتساوي، ولا يبالغون في إعطاء مختلف الدرجات لأصدقائهم.» طبعاً هذه النتائج تختص بسن دون الخامسة. يفضّل الصبيان في ألعابهم أداء دور في المجموعة وهو ما قد يؤدي إلى النزاع فيما بينهم، أما البنات فيفضّلن اللعب مع بعضهن من دون نشوب نزاع. يُؤْثِر الصبيان اللعب بعيداً عن البيت، بينما تؤْثِر البنات ممارسة اللعب والنشاط تحت إشراف شخص يكبرهن عمراً. وما هذا الكلام بالديني! إنه يعني ضرورة الاهتمام بما بين البنت والولد من تمايزات نفسية وفروق تقول بها العلوم المعرفية.

يجب ملاحظة الفروق بين البنت والولد في نظام التربية والتعليم

ويل لذلك النظام التربوي التعليمي الذي يُهمِل، منذ الصف الأول الابتدائي إلى آخر سنة دراسية، الفروق بين البنت والولد! ففي مثل هذه الحالة نحن نعمل على إبادة الطاقات والمواهب؛ فقد نربي الصبيان كالبنات تماماً، والبنات كالصبيان تماماً. وإننا لنقرأ في الروايات كيف أن الرجال في آخر الزمان يتشبهون بالنساء، والنساء يتشبهن بالرجال. وجود الفروق بين الرجل والمرأة أمر طبيعي، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم أيضا. فقد جاءت بعض التوضيحات في الآيات الكريمة في هذا المجال، على سبيل المثال قال تعالى: «وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْض» (النساء/٣٢)، أي لا تتمنّوا المميّزات التي وهبتُها لكل أحد منكم، فقد وهبت مميزات وفضائل للرجل، كما وهبت مميزات وفضائل للمرأة. ويبدو أن الرجال، منذ القدم، كانوا يرغبون، مثلاً، في امتلاك بعض المزايا التي تختص بالنساء، أو يتحسّرون عليها، أو يحسدون النساء عليها، أو يريدون إنكارها. وكانت النساء أيضاً ترغب في امتلاك بعض المزايا التي تختص بالرجال، أو يتحسّرن عليها أو يحسُدن الرجال عليها أو يتنازعن بسببها أو ينكرنها. وبعد ذلك يقول تعالى: «لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا ولِلنِّساءِ نَصيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ». ولتنظروا ما كتب العلامة الطباطبائي(ره) في تفسير هذه الآية المباركة. أحيانا لا يريد الناس أن يتقبلوا الأدوار المخصصة بهم.

ثـم يقـول تعـالى: «الرِّجَـالُ قَوَّامُـونَ عَـلىَ النِّسَـاءِ»، أي إن الرجـال مسـؤولون عـن النسـاء ويجـب أن يأخـذوا عـلى عاتقهـم مهـامّ الإدارة. وهـذه الإدارة تعنـي مسـؤولية المحافظـة والحمايـة والهدايـة، ولا تعنـي أن الرجـال يمتلكـون النسـاء! كـما أن هـذه الإدارة ليسـت مطلقـة بحيـث يسـمح الرجـل لنفسـه بالتحكّـم حتـى في الأمـور الجزئيـة أو التفاصيـل في المنـزل، كلا ليـس الأمـر كذلـك! اليـوم باتـت الفـروق والتمايـزات السـيكولوجية بـين الرجـل والمـرأة واضحـة إلى هـذه الدرجـة! فمثـلاً يتميّـز الرجـل برؤيـة أكـثر شـمولاً، وتتميّـز المـرأة برؤيـة أكـثر جزئيـة ودقـة. ولأي الأمـور يصلـح هـو أكـثر، ولأي الأشـياء تصلـح هـي أكـثر، ..الـخ. وبالطبـع قـد تغلـب عـلى رجـلٍ الصفـات الأنثويـة، وهـذا ليـس بذنـب، كـما قـد تسـود في امـرأةٍ سـمات الرجولـة. عـلى الرغـم مـن ذلـك، إن أراد كل منهـما أداء دورٍ أمـام أطفالـه فعليـه أن يمـارس ببراعـة الـدور الثقـافي الخـاص بـه والمقبـول اجتماعيـاً بالنسـبة إليـه.

على عاتق من تقع مسؤولية الإدارة في المنزل؟ الرجل يتحمل مسؤولية الإدارة الحقوقية والمرأة تتحمل مسؤولية الإدارة العاطفية

«الرِّجَـالُ قَوّامُـونَ عَلَـى النِّسَـاءِ»، مـن الـذي يتـولّى إدارة المنزل؟ يقول العلامـة محمد تقـي الجعفري(ره): هنـاك ثـلاث حـالات متصـوَّرة لإدارة الأسرة: فـإن قلنـا إن الإدارة مسـؤولية المـرأة فهـذا ليـس ممكنـا ولا مطلوبـاً، ولا يوجـد برهـان عقـلي أو شرعـي لذلـك. وإن قلنـا ليسـت هـي مسـؤولية أحـد، بـل تتـم بالمشـاركة، فهـذه الحالـة أيضـاً لا تُعـد إدارة أصـلاً، وليسـت معقولـة. وأمـا أن تكـون الإدارة مسـؤولية الرجـل فهـذه الحالـة هـي الصائبـة، وهـذه هـي شروطهـا... حسـناً والآن هـذا هـو تعبـيري: «الإدارة الحقوقيـة؛ أي تلـك التـي تتخـذ طابـع الدعـم والحمايـة، وطابـع القيمومـة والهدايـة الشـاملة، فهـي مـن شـأن الرجـل. أمّـا الإدارة العاطفيـة فهـي مـن شـأن المـرأة.» مَـن الرئيـس في المنـزل مـن الجانـب العاطفـي؟ المـرأة بالطبـع! مَـن الـذي ينبغـي مراعـاة قلبـه ومشـاعره؟ إنهـا المـرأة وليـس الرجـل! فـلا ينبغـي في أي حـال مـن الأحـوال أن يقـال للأطفـال: «حـذارِ مـن أن تكـسر قلـب أبيـك!»، بـل يجـب أن يقـال لـه: «حـذارِ مـن أن تحطّـم كبريـاء أبيـك!» لأن ذلـك الجانـب مـن الإدارة [الـذي يسـتوجب القـدرة والمهابـة] يختـص بالرجـل. لكـن ينبغـي أن يقـال للأطفـال: «انتبـه لئـلا تكـسر قلـب أمـك!»

إذا اشـتهت الزوجـة في الأسرة طبقـاً معيّنـاً مـن الطعـام، واشـتهى الرجـل طبقـاً آخـر فمـن سـيكون الرئيـس في مثـل هـذه الظـروف؟ ولمـن سـتكون الكلمـة الأخـيرة؟ سـتكون للزوجـة! لأن الموضـوع يتعلـق بالقلـب والمشـاعر. وهـذا الـكلام هـو عـلى جانـب مـن الأهميـة بحيـث جـاء في الخـبر أنـه إذا أُرغمـت الزوجـة عـلى تنـاول طعـام يرغـب فيـه زوجهـا وهـي لا ترغـب فيـه، يوصـف ذلـك الرجـل بـ»المنافـق!»، أمـا إذا أكل الرجـل مـا تشـتهيه زوجتـه، أي مـا لا يرغـب فيـه لكنـه تناولـه لأن زوجتـه ترغـب فيـه، فـإن هـذا الخُلـق مـن علامـات المؤمـن! «الْمُؤْمِـنُ يَـأْكُلُ بِشَـهْوَةِ عِيَالِـهِ، وَالْمُنَافِـقُ يَـأْكُلُ أَهْلُـهُ بِشَـهْوَتِه.» (وسـائل الشـيعة /٥٤٢/٢١) حـين يتعلـق الموضـوع بالقلـب والمشـاعر، لا بـد أن يُقـدّم رأي الزوجـة، أمـا حـين يتعلـق الموضـوع بالقضايـا الحقوقيـة والإدارة الشـاملة - فيـما يرتبـط بالقضايـا التـي ذكرناهـا سـابقاً - فينبغـي أن تكـون الكلمـة الأخـيرة للرجـل.

لمَن الكلمة الأخيرة في البيت؟

يـروم البعـض تفسـير الإدارة بأنـه: «لمَـن تكـون الكلمـة الأخـيرة والحاسـمة في البيـت؟» الجـواب هـو أنهـا لـلأم في المواقـف العاطفيـة، ولـلأب في الشـؤون الخاصـة بـالإدارة الحقوقيـة. فانظـروا بأنفسـكم لمَـن مسـؤولية الإدارة؟ نحـن لا نريـد التلاعـب بالكلـمات، بـل ينبغـي أن نتـصرف برؤيـة واقعيـة. تحـرَّوا في علـم النفـس لتتأملـوا مـا الميـزات والصفـات الخاصـة بالمـرأة التـي تجعلهـا تحـب أن يتمتـع زوجهـا بقـدرة عاليـة عـلى دعمهـا ومسـاندتها. لا بـد أن تُـدرس هـذه المواضيـع مـن وجهـة نظـر علـم النفـس ليتبـيّن مـاذا تريـد المـرأة وتتمنـاه؟ مـا يهـم الزوجـة هـو أن تكـون محبوبـة عنـد زوجهـا. فهـي لا تـوَدّ أن يطيعهـا زوجُهـا وحسـب، حتـى وإن كان لا يحبهـا! ومـا يهـمّ الرجـل هـو أن تطيعَـه زوجتُـه، حتـى وإن كانـت لا تحبـه كثـيراً! مـا يهـم الرجـل هـو أن تطيعَـه زوجتُـه، ومـا يهـم المـرأة هـو أن يحبهـا زوجهـا، وينكـسر قلبُهـا إن افتقـدت هـذا الحـب. لا بـد أن نلاحـظ هـذه الفـروق جيـداً!

الإدارة الشاملة أو العليا للرجل والإدارة في التفاصيل (الإدارة في داخل المنزل) للمرأة

الإدارة الشـاملة في المنـزل إذاً تقـع عـلى عاتـق الرجـل، والإدارة في التفاصيـل هـي مسـؤولية المـرأة، وهـي تعنـي الإدارة في داخـل البيـت. حسـنا، مـا هـي إحـدى الأعـمال التـي يتـم إنجازهـا في داخـل البيـت؟ إنهـا تربيـة الإنسـان! وإن هـذا الإنجـاز، أي «تربيـة الإنسـان»، هـو عـلى جانـب مـن الأهميـة والقيمـة بحيـث لا يسـتطيع الرجـل أن يصـل إلى شرفِ عمـلِ المـرأة هـذا، حتـى لـو أتعـبَ نفسَـه مائـة عـام!

نحن لا نُحسن الدعوة إلى هذه الأمور! لاحظوا مسلسلاتنا التلفزيونية! فإنّ تناقُص عدد الأولاد في العوائل يعني أن مؤسسة الإذاعة والتلفزيون قد عجزت لحد الآن عن تبيين قيمة الأمومة، وعن بيان أنّه كم تغدو الزوجة أعزّ عند زوجها كلما أنجبَت له المزيد من الأطفال، وكلما كان هذا الزوج أكثر آدميّةً كان أشد تعظيما وتوقيرا لزوجته! إنّ من الظلم طبعاً قصف الروضات ودور الحضانة بالقنابل وقتل الأطفال الأبرياء، لكن الظلم الأفدح هو إلقاء قنابلَ «وثيقة التنمية المستدامة» (٢٠٣٠) على ثقافتنا!

يجب على كل من المرأة والرجل ممارسة الإدارة على مستوى الأسرة/ ليس المطلوب أن يكون الرجل مديراً والمرأة مُدارَةً

«الرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَى النِّسَاء»، لماذا يجب أن يكون الرجال «قوامين»؟ ليس المقصود من القيمومة الحاكمية المطلقة، بل هي ضرب من الإدارة، وهو ما أشرتُ إليه من أنّ الإدارة الكلية والشاملة للأسرة تكون على عاتق الرجل، وهذا ما صرّح علماء النفس أيضاً بما هو أكثر تطرّفاً منه. كما أن الزوجة لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تبقى من دون مسؤولية ومن دون إدارة، بل إنّ أعلى المناصب والمسؤوليات الإدارية ضمن الدائرة الداخلية للمنزل تُفوَّض إلى المرأة. على المرأة أن تتولّى أمر الإدارة وتعرف أدوارها الإدارية، وعلى الرجل أيضاً أن يعرف أدواره في هذا المضمار. بل إننا لم نقل أبداً فيما قلناه: إن الرجل مدير والمرأة مُدارَة! يجب أن تكون المرأة أيضاً مديرة! لا شك أن المرأة تتفوّق على الرجل في بعض الكفاءات الإدارية. فعلى سبيل المثال، إن قدرة المرأة على إدارة العلاقة بين الجنسين في المجتمع تفوق قدرة الرجل. ولذلك أُنيطَت مسؤولية الحجاب بالمرأة، لأن الحجاب أداة بيدها لممارسة الإدارة على مستوى علاقتها بالرجل! لأن الرجل ضعيف في هذا المجال ولا يستطيع أن يسيطر على نفسه، وهذا ما جاء في القرآن أيضاً، لذلك يُقال للمرأة: «الإدارة هنا مسؤوليتُك!» وذلك من خلال الحجاب! فالحجاب يُعَد أداة الإدارة بيد المرأة. نحن لا نُسقط الإدارة عن المرأة، بل نقول: إن ضرباً من الإدارة هو من شأن الرجل، وضرباً آخر منها يليق بالمرأة. فالإدارة العاطفية على مستوى المجتمع مسؤولية المرأة، وهي مسؤوليتها في البيت أيضاً، وهذا هو أصل القضية.

ينبغي على الآباء تقوية الإدارة العاطفية للمرأة، وتوصية الأولاد بأن "لا تكسروا قلب الأم!"

إن أئمة الهدى(ع) هم النموذج الكامل والتام للإدارة العاطفية على مستوى المجتمع والدين. ولذلك يشبّه الإمام الرضا(ع) الإمامَ بالأم عند تعريفه لـ»مفهوم الإمامة»: «الْإِمَامُ، الْأَنِيسُ الرَّفِيقُ وَالْوَالِدُ الشَّفِيقُ وَالْأَخُ الشَّقِيقُ وَالْأُمُّ الْبَرَّةُ بِالْوَلَدِ الصَّغِير» (الكافي، ج١، ص٢٠٠). فيجب على الآباء أن يقوموا بتعزيز هذه الإدارة العاطفية للمرأة وأن يقولوا للأولاد: «لا تكسروا قلب أمكم!» لا بد أن يسمع الطفل هذا الكلام من لسان أبيه، حتى يدرك معرفة الإمام حين يكبر! وإلى جانب ذلك بالطبع، ينبغي أن تعلّم الأمُّ أولادَها احترام أبيهم. فماذا سيحدث إذا قالت الأم لطفلها :»احترم أباك»، وتربّى الطفل على هذا المنوال؟ سيصبح هذا الطفل عارفاً بإمامه، وسيترسّخ أصل الولاية وأصل الدين في نفسه. أنا شخصياً لا أعتقد بموضوع الأخلاق الأسرية، لكن أرى أن الأخلاق في الأسرة ستصلُح إذا صلُحَت الإدارة فيها.

قاعدة بسيطة لتربية الأولاد: ليُحبّ الزوجُ زوجتَه، ولتحترم الزوجةُ زوجَها وتطيعه

جاءني زوجان شابّان وقالا لي: إننا نرغب في أن يرزقنا الله بمولود، لكننا لا ندري إن كنا مستعدين لتربية الطفل أم لا، فهذا الأمر في غاية الصعوبة! قلت لهما: ليس صعباً أبداً، فإنّ للتربية قاعدة بسيطة عليكما الالتزام بها وهي: أن يحب الرجل زوجته، وتحترم الزوجة زوجها وتطيعه. على الزوج أن يحترم ويقدّر إدارة زوجته العاطفية، وعلى الزوجة أن تحترم وتقدّر إدارة زوجها الحقوقية والشاملة في الأسرة. فإن شاهد الأولاد هذا السلوك منكما في البيت فسيتربّون تربية صالحة، ولا حاجة إلى أي شيء آخر! هذه القاعدة صادقة في الدين أيضاً، فلماذا يُقال: «إن كنت ملتزماً بالولاية ستصلُح جميع الأمور؟» وفي المجتمع أيضاً إذا استقامت الولاية، وتوطّدَت أركانُ الالتزام بها، وأصبح ولي الله الأعظم(عج) حاكماً، وعرف الناس قيمة الولاية، فستصلح جميع الأمور. هذه هي القاعدة وهذا هو الأصل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٦)

عليرضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: محرم ١۴۴١

المكان: طهران، جامعة الإمام الصادق(ع)

الموضوع: الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٦)

التاريخ: ٥/ محرم / ١٤٤١ – ٥/ ٩/ ٢٠١٩

أول مبادئ الإدارة هو صيانة كرامة الإنسان وعزته / لا تحطم كبرياء ابنك بهدف أن يجتهد في دروسه / لماذا يُعَد التمثيل المسرحي أمراً ضرورياً لتلاميذ المرحلة الابتدائية؟

إن أعظم آفات الإدارة هي أن يسحق المدير، من خلال السلطة المخولة إليه، كرامة الأشخاص وعزتهم! ولذلك ليس المبدأ الأول في الإدارة هو "بلوغ الهدف"، بل هو صيانة المدير لكرامته وعزته وكرامة وعزة مَن هم تحت إدارته. ينبغي أن تُصان "كرامة الناس" و"كرامة الأسرة" و"كرامة النفس" على المستويات المتعددة للإدارة.

لماذا يحتاج الإنسان إلى الإدارة؟

قبل أن يلتفت الإنسان إلى أنه صاحب إرادة واختيار، وقبل أن يلتفت إلى أنه قادر على اتخاذ الأدوات، وقبل أن يلتفت إلى أن بوسعه إقامة علاقات مع الآخرين والتأثير عليهم والتأثُّر بهم من خلال هذه العلاقات، أي في الحقبة التي تدعى مثلاً باكورة المراهقة والتي يبدأ الإنسان فيها، شيئاً فشيئاً، بتعرُّف إمكانياته وقدراته، بل وحتى قبل تلك الحقبة، ينبغي على الإنسان أن يتعرّفَ الإدارة. لا بد أن يعلم المرء أنّ «عليه أن يتحكّم بأمنياته، وبعلاقاته، وكذا بأدواته وإمكانياته»، ولولا ذلك سيتحول إلى كائن مجذوب، ينفعل بسبب الخوف ويُساق إلى كل صوب.

إما أن تكون مديراً وإما أن تكون مُنفَعلاً! / في ثقافة الغرب يعد الخنوع والانفعال امتيازاً

قد تكون المفردة التي يمكن استخدامها في مقابل مفردة الإدارة هي الانفعال والتأثر. فإما أن تكون مديراً وإما أن تكون مُداراً ومنفعلاً! وعلى وجه التحديد، إن إحدى الفروق بين ثقافة الإسلام وثقافة الغرب هي أن في الأخيرة يُعَد الإنسان المنقاد وخصلة الانفعال امتيازاً. وأحياناً يُشَمّ أن نظامنا في التربية والتعليم أيضاً يرمي إلى تربية إنسان خانع و»منفعل»، وهذا أمر خاطئ أيضاً. أي أن هذا التأثير التربوي غالب على عملية التربية والتعليم. لا بد أن يكون كل شخص مديراً، فيقوم بإدارة نفسه في البداية، ثم يتولى إدارة الآخرين في المرحلة التالية. وبالمناسبة إن هذا الموضوع، أي إدارة الإنسان ذاتَه، هو مثار اهتمام كبير في حقل العلوم الإنسانية، ولا سيما علم النفس. يُقال في علم النفس: مَن تمكن من إدارة نفسه سيقوى على إدارة علاقاته، وإدارة بيئته، وسيحقق النجاح في حياته.

"إدارة الذات" تعني التحكّم برغباتنا وميولنا المختلفة

إدارة الآخرين تعني التحكم في عدد من الأشخاص وإدارتهم، أما إدارة الذات فتعني التحكم في ميولنا ورغباتنا المختلفة. والمقصود من الإدارة في العالم الخارجي هو أن تدير أهدافك. فحين يرى المرء أن لديه أهدافاً عديدة ومنوعة، أو أدوات متعددة، أو أنّ هناك عدداً من الأشخاص، أو التحفظات، ثم يحاول أن يربط بين جميع هذه الأمور، فهذا يعني أنه يمارس الإدارة. إن «إدارة الذات» وأن يقوم الإنسان بإدارة نفسه هو مصطلح شائع نسبياً، ويعد ضمن القضايا التي اهتمت بها العلوم الإنسانية حديثاً، ومن هذه الزاوية لا بد أن نبارك للعلوم الإنسانية.

نحتاج إلى معرفة طاقاتنا وثرواتنا في "إدارة الذات"، تماماً كما نحتاج إليها في إدارة المجتمع

كما تحتاجون في الإدارة، بمعناها الاجتماعي، إلى معرفة الإمكانيات، فإنكم تحتاجون في إدارة ذواتكم أيضاً إلى معرفة الإمكانيات والطاقات والثروات التي تتمتعون بها. وكما تأخذون بنظر الاعتبار «تحليل سوات» (SWOT) في الإدارة والتخطيط الاستراتيجي، أي تلاحظون نقاط القوة والضعف، والتهديدات والفرص، فلا بد للفرد أن يضع هذه النقاط نُصب عينيه هو أيضاً. لا ينبغي أن يخرج شخص من منزله من دون أن يحذر التهديدات، ولا ينبغي أن يبقى شخص لوحده في المنزل من دون الانتباه لهذه التهديدات، كما لا ينبغي أن يخرج شخص من المنزل دون أن يأخذ نقاط قوته بعين الاعتبار؛ إذ قد يلتقي بعدد من الأشخاص المتفوقين عليه بحسب الظاهر، مثلاً، فينفعل لذلك أو يرتعب. لا ينبغي للمرء أن يبدأ بالتخطيط قبل ملاحظة الفرص المتوافرة له! فإن لم تأخذ الفرص المتاحة لك بنظر الاعتبار فستشعر باليأس والقنوط. فكل ما يتحقق في الإدارة الناجحة على مستوى المجتمع يتحقق في «إدارة الذات».

أول ما يقوله المدير الصالح عند مواجهته لأي قضية: "دعوني أدرس الموضوع"

لئن تمنيتُ أي أمنية ينبغي عليّ، بادئ ذي بدء، أن أرى هل هذا الوقت مناسب لتحقيق أمنيتي أم لا؟ هذا هو معنى الإدارة! حين يصغي المدير الصالح إلى مقترحاتكم أو طلباتكم – في ما يتعلق بشؤونه الإدارية – فإن أول عبارة ينطق بها هي: «دعوني أدرس الموضوع». روي عن أمير المؤمنين(ع): «إِذَا تَفَقَّهَ الرَّفِيعُ تَوَاضَعَ» (غرر الحكم/٤٠٤٨). فالتواضع عند صاحب الجاه والمقام ليس بأن يضع يده على صدره وينحني أو يطأطئ رأسه باستمرار، بل إنّ تواضُعه هو في دراسته لجميع القضايا بشكل جيد. فإن لم يدرس المواضيع جيداً وأخذ القرارات من دون دراسة فهذا يعني أنه لم يتواضع وهو يمارس الإدارة بغطرسة واستعلاء.

وينطبق هذا على «إدارة الذات» أيضاً؛ فحين تقوم بإدارة نفسك عليك أن تقول لنفسك أولا كلما رغبتَ بأمر ما: «تمهّل حتى أدرس الموضوع»، وهذا بحد ذاته خطوة جبارة نحو إدارة الذات.

ما مخالفة الهوى إلا إدارةٌ للذات

وما مخالفة الهوى ومقارعة الرغبات والميول الحقيرة إلا إدارةٌ للذات. فإدارة الذات لا تعني الوقوف في مواجهة اللذات على الإطلاق، بل تعني التخطيط والمنهجة لبلوغ أسمى اللذات. يفتقر مجتمعنا إلى القدرة على استيعاب بعض الأدبيات الدينية الأصيلة، لأنه واقع بشدة تحت تأثير سطحية التفكير المنحطة التي تبثها الثقافة الغربية، فلا يمكن التفوّه ببعض الأمور في المجتمع، مع أنه ثمة أحاديث وآيات في هذا المجال.

الإدارة تعني التخطيط للوصول إلى اللذّة الطيبة/ الإدارة تعني "كيف نتعامل مع المعاناة؟"ً

ليست الإدارة بأن تقول للذّة: «اغرُبي عن وجهي!» فحسب، بل هي أن تخطّط وتبرمج للوصول إلى اللذة الطيبة. وما أكثر التعاليم الأصيلة في ديننا في هذا المجال! بيد أن هذه الثقافة الغربية التي تستهزئ بكل شيء ولا تريد أصلا أن يمارس أحد الإدارة أو حتى أن يفكر، قد أفسدت الأجواء، وبالنتيجة لا يمكن طرح الكثير من هذه التعاليم. الإدارة تعني: «كيف أتعامل مع المعاناة والألم؟» فالتوصية الأولى في الوصايا الخاصة بالإسعافات الأولية عند الحوادث المفجعة هي: «عليك أن تلتزم الهدوء». هذا هو مبدأ إداري، ومعناه في الحقيقة هو أنّ «عليك أن تتحكّم بالمعاناة وتديرها». يكفي أن يتعلم الناس الالتزام بالهدوء قبل كل شيء عند تعرضهم للآلام والمعاناة! هذه هي الخطوة الأولى في الإدارة. وماذا نفعل بعد ذلك؟ لا تقلق، لا تجزع، لا تفزع، كن هادئا، فقد تكون هذه المعاناة مفيدة لك!

يتوقف جزء من تديّن الرجل على مواصفات الزوجة التي يختارها/ الرجل خاضع للتربية الحصيفة التي تمارسها امرأتُه عليه

تحدثنا لحد الآن عن «إدارة الذات» إجمالاً. والآن سنتحدث باختصار أيضاً عن إدارة الأسرة: الإدارة الشاملة في الأسرة تقع على عاتق الرجل بالطبع، بينما الإدارة الداخلية في البيت – والتي يُعَد موضوع التربية أهم جزء منها - هي من شؤون المرأة، حتى تربية زوجها! إذ يتوقف جزء من تديّن الرجل على مواصفات الزوجة التي يختارها لحياته.

بحسب كلام أمير المؤمنين(ع) فإن الرجل خاضع للتربية الحكيمة التي تمارسها امرأتُه عليه، حيث قال(ع) في وصف السيدة فاطمة الزهراء(س): «نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى طَاعَةِ الله» (مناقب آل أبي طالب(ع) /ج ٣ / ص٣٥٦)؛ فيصفها الإمام(ع) بأنها خير عون على عبادة الله، وهذه هي مواصفات كل زوجة صالحة ولا تختص بمولاتنا الزهراء(س) فحسب، ولو أنها(ع) في القمة. ومع أننا نقول: إن علي بن أبي طالب(ع) غني عن إدارة السيدة الزهراء(س) وتربيتها له، لكن هذه القضية هي من الأهمية بحيث يصرّح أمير المؤمنين(ع) بأن: فاطمتي هي خير معين لي لأتوجه إلى عبادة الله. انظروا الروعة!

المهام الأكثر حساسية في إدارة الأسرة تقع على عاتق المرأة

لا تُسلب الإدارة من الزوجة أبداً، بل تُفوَّض إليها المهام الإدارية التي تتميز بحساسية أكثر على مستوى الأسرة. وأن تكون الإدارة الشاملة من شؤون الرجل لا تُعد فضيلة له أبداً، فقد جاء في القرآن الكريم: «وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّساءِ نَصيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ» (النساء/٣٢)؛ فلا تتمنّيا موضعَ أحدكما الآخر، وليبدأ كل شخص بالعمل من موضعه، وليجتهد لإنجاز عمله على أتم وجه.

إذا تعلم الطفلُ الإدارة منذ نعومة أظفاره فسيتعلم تقبّل الأدوار أيضاً

إذا تعلم الطفل الإدارة منذ نعومة أظفاره فسيتعلم تقبّل الأدوار أيضاً. يجب أن يبدأ الأطفال بممارسة الفعاليات وتقسيم الأعمال ضمن مجموعة، فيلعب الطفل في كل مرة دوراً ما. ولذلك يعد التمثيل المسرحي ضرورياً جداً لتلاميذ المرحلة الإبتدائية. لا بد أن يمثّل الأطفال مسرحية. لا تعارضوا بقولكم: «أوَيريدون أن يمتهنوا التمثيل؟!» ما هي علاقة الموضوع بامتهان التمثيل؟! أفَهل يريد الأطفال أن يصبحوا لاعبي كرة قدم أو يلتحقوا بالفريق الوطني إذا لعبوا بالكرة في باحة المدرسة؟! بل يحب معظمهم أن يصبح مهندساً أو طبيباً أو طالبَ علوم دينية أو غير ذلك، لكنهم يلعبون بالكرة أيضاً. فلماذا يلعبون بالكرة إذاً؟

لماذا يعد التمثيل المسرحي ضرورياً للتلاميذ في المرحلة الإبتدائية؟

إن قيمة التمثيل المسرحي للتلاميذ أعظم بكثير من لعب الكرة. فحين يمثل الشخص مسرحية فهذا يعني أنه يتقمّص شخصيةً محددةً ويقوم بأداء يناسبها، ثم يقول له المخرج: «اخرج الآن من هذا الدور وتقمّص الشخصية التالية!» فيتقمّصها ويمثل دوراً آخر. وحينئذ إن طُلب من أمثالي كطالب علوم دينية أن أتحدث لهؤلاء التلاميذ عن الصلاة فسأقول لهم في جلسة واحدة:

«يـا أولاد! إذا قمتـم إلى الصـلاة فاستشـعروا حـس العبوديـة». وسـيدرك التلاميـذ الذيـن مارسـوا التمثيـل المسرحـي مغـزى كلامـي هـذا، لكـن التلميـذ الـذي لم يمثّـل لحـد الآن في أيـة مسرحيـة لـن يفهـم أصـلاً مـا هـو معنـى: «استشـعروا حـس العبوديـة». فكيـف لكـم أن تجعلـوه يسـتوعب هـذا المعنـى؟! لا بـد أن يمثّـل التلميـذ دوراً مسرحيـاً! ويـا حبـذا لـو يسـتطيع تبديـل دوره لعـدة مـرات في مسرحيـة واحـدة؛ فيمثّـل مـرة دور الأب مثـلاً، وأخـرى دور الإبـن، وثالثـة دور المعلـم، ...الـخ. ثـم يلاحـظ التلاميـذ كيـف يتقمصـون الشـخصيات؟ وبالطبـع ليـس مـن المقـرر أن يصبـح غالبيـة هـؤلاء التلاميـذ ممثلـين مـن الدرجـة الأولى! بتعبـير آخـر، ليـس مـن المقـرر أن يسـتمروا باحـتراف في هـذا الفـن، كـما أننـا لا نريـد أن نتدخـل في شـؤون الممثلـين والمسرحيّـين والسـينمائيين! فتمامـاً كـما يلعـب هـذا الطفـل كـرة القـدم في باحـة المدرسـة، فهـو يمـارس التمثيـل المسرحـي أيضـاً، عـلى أن الأخـير ينفعـه أكـثر مـن العَـدْوِ خلـف كـرة مـن دون جـدوى! هنـاك ألعـاب رياضيـة أفضـل بكثـير مـن كـرة القـدم، وأنـا بالطبـع أقـترح تسـلق الجبـال. طبعـاً في كـرة القـدم أيضـاً هنـاك عمـل جماعـي وفيـه نـوعٌ مـن لعـب الأدوار، لكـن تأثـيره لا يقـارَن أبـداً بتأثـير لعـب الأدوار في المسرحيـة.

نحن نتدرّب من خلال عملية الإدارة على تقبّل الأدوار أيضاً

نحـن نتـدرّب، مـن خـلال عمليـة الإدارة، عـلى تقبّـل الأدوار المختلفـة أيضـاً. وحـين نتـدرب عـلى قبـول الأدوار المختلفـة ثـم ننتقـل إلى مـكان يديـره مديـر مـا، سـنتقبّل منـه إدارتـه، لأننـا نعـرف «أنـه مديـر حاليـاً، وأنـا الآن موظـف، ولا بـد أن يتـصرف المديـر هكـذا...» أو إذا أصبحنـا نحـن مديريـن فسـنعرف كيـف نتعامـل مـع موظفينـا. إن تعلّـم الإدارة هـو قـدرة جبـارة، فـالإدارة الشـاملة عـلى مسـتوى الأسرة هـي مـن شـأن الرجـل، أمـا إدارة شـؤون المنـزل فتقـع عـلى عاتـق المـرأة. في الحقيقـة، وحسـب التعبـير الـذي وجدنـاه في المصـادر الدينيـة، والـذي سـاقه أيضـاً بعـض متخصصـي العلـوم الإنسـانية في الآونـة الأخـيرة، فـإن «الإدارة العاطفيـة في المنـزل هـي مـن مسـؤولية المـرأة».

أن تكون الإدارة العاطفية على عاتق المرأة يعني أنها تمارس الإدارة على الرجل أيضاً

أن تكـون الإدارة العاطفيـة في المنـزل عـلى عاتـق المـرأة يعنـي أنهـا تمـارس الإدارة عـلى الرجـل أيضـاً. جـاء أشـخاص لزيـارة الإمـام الحسـين(ع) وشـاهدوا أنـه قـد وضـع سـتائر ووسـائد في منزلـه، فقالـوا لـه: يـا لفخامـة دارك بينـما كان دار أبيـك يفيـض زهـداً! فأجابهـم الإمـام(ع): إن زوجتـي تحـب ذلـك؛ رُوي عـن الإمـام الصـادق(ع) قولـه: «دَخَـلَ قَـوْمٌ عَـلَى الْحُسَـيْنِ بْـنِ عَـلِيٍ(ع) فَقَالُـوا:

يَـا ابْـنَ رَسُـولِ اللـهِ، نَـرَى فِي مَنْزِلِـك أَشْـيَاءَ نَكْرَهُهَـا وَإِذَا فِي مَنْزِلِـهِ بُسُـطٌ وَنَمَـارِقُ فَقَـالَ(ع) إِنَّـا نَتَـزَوَّجُ النِّسَـاءَ فَنُعْطِيهِـنَّ مُهُورَهُـنَّ فَيَشْـتَرِينَ مَـا شِـئْنَ لَيْـسَ لَنَـا مِنْـهُ شَيءٌ» (الـكافي/ ج٦/ ص٤٧٦). ويمكـن القـول هنـا إن زوجـة الإمـام الحسـين(ع) كانـت تمـارس الإدارة بحقـه في هـذا الموقـف. جـاء شـخص لزيـارة الإمـام الباقـر(ع) فـرآه قـد ارتـدى ثوبـاً أحمـر تقريبـاً، فقـال لـه: لمـاذا ترتـدي هـذا الثـوب الأحمـر؟ أجابـه الإمـام(ع) بـأن زوجتـي تحـب هـذا اللـون، ثـم إننـي ارتديتـه داخـل المنـزل وليـس خارجـه؛ «دَخَلْـتُ عَـلَى أَبِي جَعْفَـرٍ(ع) وَعَلَيْـهِ مِلْحَفَـةٌ حَمْـرَاءُ شَـدِيدَةُ الْحُمْـرَةِ فَتَبَسَّـمْتُ حِيـنَ دَخَلْـتُ فَقَـالَ كَأَنِّي أَعْلَـمُ لِـمَ ضَحِكْـتَ ضَحِكْـتَ مِـنْ هَـذَا الثَّـوْبِ الَّـذِي هُـوَ عَـلَيَ إِنَّ الثَّقَفِيَّـةَ أَكْرَهَتْنِـي عَلَيْـهِ وَأَنَـا أُحِبُّهَـا فَأَكْرَهَتْنِـي عَـلَى لُبْسِـهَا» (الـكافي/ ج٦/ ص٤٤٧)، هـذه الروايـة تـدل عـلى أن الزوجـة تعـبّر عـمّا تحـب وتقـوم بـإدارة سـلوك زوجهـا، مـع أنـه إمـام معصـوم! فمـن الجانـب المعنـوي، الزوجـة الصالحـة بوسـعها أن تكـون خـير معـين لعبـادة اللـه:» نِعْـمَ الْعَـوْنُ عَـلَى طَاعَـةِ اللـه«. ومـن جانـب الحيـاة الاعتياديـة أيضـاً هـا أنتـم تشـاهدون هـذه الإدارة التـي تمارسـها الزوجـة في المنـزل.

أحياناً يمارس الوالدان معاً الإدارة على الأولاد

عندمـا نتكلـم عـن «الإدارة في المنـزل» فـلا نقصـد بذلـك إدارة الرجـل فحسـب. كـما أنّ الرجـل والمـرأة قـد يتولّيـان معـاً إدارة الأولاد. ولعـل إحـدى الحِكَـم أو الأسـباب الكامنـة وراء ضرورة أن يكـون الرجـل والمـرأة زوجـين ليرزقـا بطفـل هـي أن إمكانيـة تربيـة الطفـل في أجـواءٍ مسرحيةٍ هي أساسـاً أفضـل بكثير! فهـذه الأم وهـذا الأب يمثّـلان دوراً وهكـذا يـتربّى هـذا الطفـل! عـلى سـبيل المثـال إن كان لأسرة ولدٌ وحيد ولاحـظ الوالـدان أنـه يتـصرف بأنانيـة وعنـاد ولا يُحسـن الاعتـذار، فبإمكانهـما أن يتّفقـا فيـما بينهـما فيؤدّيـا أمـام الطفـل تمثيليـة عـن الاعتـذار. كأن تقـول السـيدة لزوجهـا باسـتمرار: «أنـا أعتـذر، أنـا آسـفة حقّـاً»، فيقـول لهـا الـزوج: «حسـناً، لا بـأس، لقـد عفـوت عنـك». وبعـد هنيهـة يعـود الرجـل ليقـول: «أنـا أعتـذر منـك حقيقـةً...» فينظـر هـذا الطفـل تـارة إلى أبيـه وأخـرى إلى أمـه، فـيرى أنهـما يعتـذران كثـيراً مـن بعضهـما البعـض! وبعـد أسـبوع أو أسـبوعين، سـيبدأ الطفـل هـو أيضـاً بالاعتـذار شـيئاً فشـيئاً.

يمثّل الوالدان مع بعض أدواراً فيتحكّمان بسلوك الطفل

قـد يمثـل الوالـدان معـاً أدواراً فيتحكّـمان بسـلوك الطفـل مـن خـلال ذلـك. وبالطبـع، إن أفضـل طريقـة لتربيـة الطفـل هـي أن يكـون ثمـة أولاد آخـرون في الأسرة، ومـن خـلال النزاعـات بـين الأطفـال والأحـداث التـي تحصـل في المنـزل، سـيتعلم الأولاد تلقائيـاً أمـوراً كثـيرة. فبتعـدد الأطفـال في الأسرة، وملاحظتهـم كيـف يعمـل الأب أو الأم عـلى إدارة برامـج الأولاد ورغباتهـم، سـيتعلمون هـم أيضـاً الإدارة تدريجيـاً.

بالطبع يتهرب البعض من الإدارة عموماً، فلعلّه يعيش مع القطط والكلاب! حيث إن إدارة البشر أمر عسير وهو يريد الهروب من هذه الصعوبة، فيتوجه صوب بعض الحيوانات.حين نتحدث عن الإدارة على مستوى الأسرة فإننا نقصد بذلك إدارة الرجل وإدارة المرأة على السواء. على أنّ النسبة القائمة بين هاتين الإدارتين تستوجب بحثاً مفصلاً نحن في غنى عنه الآن، ونكتفي بهذه العبارة فقط وهي «أن الإدارة الشاملة في الأسرة تقع على عاتق الرجل، بينما إدارة شؤون المنزل الداخلية، وكذلك الإدارة العاطفية هما من شؤون المرأة». وهذا ضربٌ من تقسيم الوظائف الإدارية وله محله. لكن كلاهما مديرٌ وينبغي عليهما معاً أن يمارسا إدارة تصرفاتهما وعلاقاتهما والأحداث التي تحدث في المنزل. طبعا نحن نعاني في مجتمعنا من ضعف كبير في هذا المجال.

نرى أن هناك مستويين على الأقل لإدارة المجتمع:

لقد تحدثنا لحد الآن عن «إدارة الذات» و»إدارة الأسرة» شيئاً ما، وبقي جزء آخر من البحث فقط وهو «إدارة المجتمع». وفي موضوع إدارة المجتمع نعتقد بوجود مستويين على الأقل. (بالطبع نحن نطرح هذا التقسيم في حدود بحثنا فقط وإلا فإن بحث الإدارة نفسه يحتاج إلى دراسة على مستوى الماجستير والدكتوراه). هناك لإدارة المجتمع مستويان على الأقل: الأول هو «إدارة المنظمات والمؤسسات وأمثالها»؛ فهناك مثلاً: مدير المدرسة، وعميد الجامعة، ورئيس الدائرة، ومدير المعمل، والخ. أما الثاني فيرتبط بالمناصب الإدارية العليا في المجتمع والتي قد يُستخدم مصطلح «المسؤولين السياسيين» لمديري هذا المستوى؛ من قبيل المحافظ، ورئيس الجمهورية، والقائد، ونائب البرلمان، وأمثال ذلك. وحين نتكلم عن «الإدارة على مستوى المجتمع» فإننا نأخذ بعين الاعتبار كلا المستويين.

ثمة مبادئ مشتركة بين إدارة الذات وإدارة الأسرة وإدارة المجتمع

ثمة «مبادئ مشتركة» بين إدارة الذات وإدارة الأسرة وإدارة المجتمع (بمستوييها)، وهذا هو بيت القصيد من بحثنا وحديثنا هذا عن الإدارة. ما هو أول وأهم مبادئ الإدارة؟ أو لتقولوا: ما هي أول وأهم آفات الإدارة حتى أخبركم بأول مبدأ ينبغي الالتزام به في أمر الإدارة. ما هي أول ضربة يتلقاها الناس أو المجتمع البشري في عملية الإدارة والتي لا ينتبه إليها أحد عادة؟ عندما يعطون سكّيناً حادة لشخص ويطلبون منه تقشير الفاكهة أو فرم البصل فإن أول توصية يوصونه بها هي أن: «حذار من أن تجرح يديك، فالسكين حادة جداً!» فالضرر الأول الذي قد تلحقه هذه السكين هو أنها قد تجرح يد الإنسان، ولذلك فإن النصيحة الأولى له ستكون أن «انتبه كي لا تجرح السكين يدك!»

المبدأ الأول في الإدارة هو احترام كرامة الإنسان وعزته

الإدارة تعطي نوعاً من السلطة، وضرباً من الأفضلية، ونمطاً من الصلاحيات للإدارة، وهذا أمر لا بد منه، لأن الناس لا يستطيعون الحياة من دون إدارة. وإن أول آفات الإدارة هي الشيء ذاته الذي يمثل أول توصيات الإدارة أو مبادئها، وهو «احترام كرامة الإنسان وعزته». أيها السيد الذي أصبحت مديراً، ماذا تريد أن تفعل؟ سيقول مثلاً: «أريد أن ينتج معملي هذا المُنتَج..» حسناً، إياك أن تسحق العامل يوماً لأجل أن ينتج معملك هذا المنتَج! إياك أن تدوس عزته وكرامته! لا تستغل هؤلاء العمال كيفما تريد حتى يُنتج معملُك بأي ثمن!

المبدأ الأول في الإدارة على مستوى المجتمع أيضاً هو صيانة كرامة الناس وعزتهم

أيها السياسي! إياك وأن تسحق عزة المجتمع وكرامة الناس بهدف إيصال المجتمع إلى الغاية التي تنشدها، والتي لا أعلم إن كانت غاية شريفة أو حقيرة! يجب أن تصون عزة الناس وكرامتهم. إذا رشّح أحد نفسه للانتخابات فكان أسلوبه في حملته الانتخابية ونمط تعامله في عملية الترشيح بنحو يسيء إلى عزة المجتمع وكرامة الناس، فإنه يفتقر إلى الصلاحية اللازمة لتولي المناصب الإدارية العليا للمجتمع. على سبيل المثال، المرشّح الذي يشوّه سمعة الآخرين بسهولة، ويكذب، ويتصرف مثل محطة الـ«بي بي سي» الخبيثة لا بد من إخراجه من العملية الانتخابية. لماذا؟ لأنه لم يحافظ على عزة المجتمع! فلا مجال للمجاملات هنا! على أية حال، وفي كل مرتبة من مراتب الإدارة، لا يعد «بلوغ الهدف» المبدأ الأول، وهو ما يرمي إليه المديرون عادةً، بل إن المبدأ الأول في الإدارة هو صيانة كرامة الإنسان وعزته. وكان رسول الله(ص) وأئمة الهدى(ع) ملتزمين بهذا المبدأ في إدارة المجتمع. حسناً، إن أردت الالتزام بهذا المبدأ فأوذيتَ، أو وُوجهتَ بالاستهزاء فما العمل؟ لا عليك، فلقد كانت في حياة الأنبياء والأولياء أيضاً نماذج مشابهة.

أول مبادئ الإدارة على مستوى الأسرة هو أيضاً صيانة الكرامة والعزة

حسناً، فلنرَ ما هو المبدأ الأول في الإدارة على مستوى الأسرة؟ أيها الآباء والأمهات الكرام، يا من تريدون إدارة أولادكم! إن البعض لا يراعي كرامة أولاده وعزتهم، ويريد – مثلاً - أن يُقبَل ولَده في فرع جامعي معيّن بأي ثمن! هذا العمل غير صحيح. إنّ البعض ليحرق قلب ولَده، ويحمله على التكتّم، ويذلّه للوصول إلى نتائج تربوية معيّنة، لكن لا يحق لكم أن تفعلوا ذلك! إن أردتم أن يصبح ولدكم من المصلين، أو يجتهد في دروسه، أو يحقق أي فخر للأسرة فينبغي أولاً أن تُصان كرامته.

حسناً، فلنرَ ما هو المبدأ الأول في الإدارة على مستوى الأسرة؟ أيها الآباء والأمهات الكرام، يا من تريدون إدارة أولادكم! إن البعض لا يراعي كرامة أولاده وعزتهم، ويريد – مثلاً - أن يُقبَل ولَده في فرع جامعي معيّن بأي ثمن! هذا العمل غير صحيح. إنّ البعض ليحرق قلب ولَده، ويحمله على التكتّم، ويذلّه للوصول إلى نتائج تربوية معيّنة، لكن لا يحق لكم أن تفعلوا ذلك! إن أردتم أن يصبح ولدكم من المصلين، أو يجتهد في دروسه، أو يحقق أي فخر للأسرة فينبغي أولاً أن تُصان كرامته. ربما تقولون: «هذا جزء من أصول التربية!» نعم، إن موضوع التربية، بطبيعة الحال، هو جزء من موضوع الإدارة على مستوى الأسرة، كما أن «إدارة الذات» أيضاً ليست إلا تقويم الذات وتهذيبها.

صيانة العزة والكرامة هي المبدأ الأول في "إدارة الذات" أيضاً

إن أردت إدارة نفسك والتحكم بها فإن المبدأ الأول الذي ينبغي أن تأخذه بعين الاعتبار هو «العزة» ذاتها! وهل يُعَد المساس بالعزة أول أذى قد يلحق بالمرء ضمن عملية إدارة الذات؟ نعم! إنك، من خلال إدارة المدرسة، تقوم بإدارة عدد من الطلاب، ومن خلال إدارة المنزل أيضاً تمارس إدارة عدد من الأشخاص، وفي إدارة المعمل تدير مجموعة من العمال، وكذلك الحال في إدارة المجتمع من مستوى أعلى. لكن ماذا أنت فاعل لإدارة ذاتك؟ إنك، لدى إدارة ذاتك، تتحكم ببعض «رغباتك وميولك». فإن رضختَ إلى أكثر رغباتك شرّاً وشغباً فستقوم هي بدورها بإذلالك وامتهانك. متى ما قصدتَ تلبية إحدى رغباتك فخاطبها بهذا القول: «أنا لا ينبغي أن أُذل!» ثم اذهب بهذا الكلام إلى علماء الأخلاق وأساتذة العرفان أو الأشخاص الذين طالعوا جميع الكتب الخاصة بتهذيب النفس وتزكيتها، واسألهم: «هل صونُ المرءِ عزّتَه وكرامتَه هو أوّل المبادئ، أو من أوّلها على الأقل، أم لا؟» روي عن الإمام الصادق(ع): «مَا أَقْبَحَ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ تَكُونَ لَهُ رَغْبَةٌ تُذِلُّهُ» (الكافي/ ج٢/ ص٣٢٠). ماذا تفعل الأم لتربية ولَدها على الحياء؟ تقول له مثلاً عند الذهاب إلى ضيافة ما: «لا تُخزني إذا اشتهيتَ الحلوى أو الفاكهة بشدة! بل اصبر حتى أقدّمها أنا لك أو يقدمها لك المُضيف...» إنه لمن المهم جدّاً أن تتمكن من أن تخلق من طفلك مديراً قادراً على التحكّم بنفسه، وهذا تحديداً هو المراد من قولهم: «مخالفة الهوى».

أهم رادع من أجل صيانة كرامة النفس وعزتها هو "الحياء"

أحد العوامل الرادعة هو «الحياء»، بل هو أهمها لصيانة كرامة النفس وعزتها. فإن أردت إدارة ذاتك فعليك أن تحافظ على عزة نفسك أولاً، ومن ثم اصغ إلى أحاديث رغباتك وأمنياتك. فمَن عجز عن إدارة نفسه مع الالتزام بهذا المبدأ (أي صيانة كرامة النفس وعزتها) فسيعجز غداً أيضاً، في المجتمع، عن ممارسة الإدارة الصالحة على مصنعٍ إذا فوّضتم إليه مسؤولية إدارته.إذا أردت إدارة نفسك فحافظ على كرامتك كمبدأ أولي. بوسعي تقديم نماذج كثيرة عن «عزة النفس في الحياة الفردية»؛ فعلى سبيل المثال مَن يكذب فقد امتهن نفسه أمام نفسه. لا يحق لك أن تُذِلّ نفسك أمام نفسك! فهذا العمل يترك تبعات سيئة عديدة يمكن ملاحظة آثارها عند وضع جهاز استشعار على دماغك، بل وتظهر آثاره على جسمك وتقاسيم وجهك أيضاً، لأنك تعرف جيداً أنك ارتكبت عملاً سيئاً! ثمة عالَم في أعماقنا! ولذلك إن قاموا بتوصيل عدة أجهزة استشعار بالجسم، فسيعرفوا بسهولة أن الشخص يكذب، لأنه يكاد يدمر نفسه بالكذب وتتجلى آثار ذلك عليه.

لا تترك أي ذنب من دون استغفار وإلا ستبقى آثاره المدمرة في ذاتك

إن لطلب المغفرة من رب العالمين آثاراً عديدة من أهمها أنه سبحانه يخاطب الإنسان: «أنت أذللتَ نفسك أمام نفسك وحطّمتها، وإنّي لأحبك وأحترمك. فهلّم إليَّ واستغفر لذنبك حتى يُصلح الاستغفار ما أفسدتَه». إذاً لا تسمح لهذا الذنب أن يبقى ويدوم. لا تدع أي ذنب من دون استغفار وإلا ستبقى آثاره المدمرة في ذاتك. لا بد من إدارة الذات، ومن خلال هذه الإدارة تُصان عزة نفس الإنسان. ما الذي تفعله الثقافة الغربية اليوم؟ إحدى الأعمال التي تقوم بها هي أنها تقول: «لا يوجد أمر سيئ، حرّر نفسك! لا هذا العمل ينافي عزة النفس ولا ذاك...» طبعاً بات المفكرون الغربيون يتراجعون شيئاً فشيئاً عن هذا الكلام فإذا بهم يقولون: «هذا العمل ينافي عزة النفس وكرامتها...وستتحطم روح الإنسان إذا قام بكذا و...».

"الحياء" هو مظهر من مظاهر مراعاة عزة النفس

إن الالتزام بمبدأ عزة النفس هو في الحقيقة مبدأ أساسي في مقام إدارتنا لأنفسنا، ويتجلى هذا الالتزام في الحياء. روي عن رسول الله(ص) أنه ثمة مقولة موروثة من أنبياء السلف تحوّلت إلى مثل يعرفه جميع الأقوام وأنا أيضاً أوصي به: «لَمْ يَبْقَ مِنْ أَمْثَالِ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا قَوْلُ النَّاسِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» (أمالي الصدوق/٥١٠)؛ فإن لم يكن عندك حياء فافعل ما يحلو لك، وعندها لن يكون بوسعي، أنا رسول الله، أن أفعل لأجلك شيئاً!

تماماً كما لا يمكن أبداً أن تتحقق الإدارة الخارجية من دون حساب وتدقيق، فلا بد من ممارسة المحاسبة في «إدارة الذات» أيضاً، وكذا في إدارة الأسرة؛ بعبارة أخرى: هي جميعاً شيء واحد. وإن لاحظنا الوحدة بين جميع هذه الأنواع فلن نفصل بين السياسة والدين حتى على المستويات العليا والشاملة من الإدارة، وآنذاك لن نولّي أي شخص المناصبَ السياسية أو الإدارية، بل ننظر أينَ بنى شخصيته؟ وهل تمكّن من «إدارة ذاته» بشكل صحيح كي يعمَد الآن إلى إدارة الآخرين؟

أسمونا كوادر "مبدئية" حتى ينعتوا أنفسهم بـ"الواقعيين"!

ليس هذا ببحث مبدئي. وسترون عن قريب، إن شاء الله، أن هذه النقاشات ستتحول إلى نقاشات اجتماعية تخصصية، ولن نهتم آنذاك بهذه التُرّهات التي تأتينا من الأدبيات الغربية، كالنقاش الدائر مثلاً حول «المبادئ» و«الواقع»! فقد أسمَونا كوادر «مبدئية» حتى ينعتوا أنفسهم بـ«الواقعيين»! فلم يكن قصدهم من وراء ذلك احترامنا! وفي المقابل، نحن أيضاً قلنا: «ألا إن المبادئ والقيم أمور حسَنة، فنحن إذاً كوادر مبدئية!» كلا! نحن كوادر واقعية. وكل ما لدينا في الإسلام أيضاً هو واقع تماماً. وإن أكبر واقع هو الله جلّ جلاله نفسه، وإن في التقرّب إليه أعظم الفوائد، وكل هذا واقع. ثم ما المبدأ والقيمة أساساً كي يقول البعض: «لا بد من احترام المبادئ والقيم؟!» أو «لنحترم المبادئ والقيم الأخلاقية!» فنحن لدينا مجموعة من الأمور الواقعة؛ على سبيل المثال حين تكذب ستؤثر عليك هذه الكذبة من الجانب الفيزيولوجي، وستترك تأثيراً وضعياً على مستقبلك، وسيغضب الله عليك أيضاً! حسناً، كل هذه الأمور واقعية، فلِمَ تقولون: «الصدق والكذب من القِيَم؟!» لماذا تسمحون للبعض بالتهرّب من هذا الواقع ليقولوا: «في الحقيقة، نحن لسنا مبدئيين كثيراً!» كلا! فأنت لست بواقعي! إنّ هذه أمور واقعة ينبغي علينا التعامل معها، فنترك الضارة منها جانباً، ونقدّم النافعة منها.

"الكرامة" تحتل الصدارة في الأسرة/ الأدب مقدّم على الحب في الأسرة!

الكرامة مبدأ في «إدارة الذات»، وفي إدارة الأسرة أيضاً. والآن لنتكلم قليلاً عن الإدارة على مستوى الأسرة. فالكرامة تحتل الصدارة في الأسرة، وهذا يعني أن الكرامة وعزة النفس فيها مقدمتان على المودة؛ بعبارة أخرى، إن الأدب أولى من الحب! معظم التعاليم الإسلامية تضمن لنا الحدود الدنيا كي لا نتخطاها. والأحكام الشرعية تضبط الآداب. ولذلك حين يريد رسول الله(ص) التعبير عن أنه قد ربّى علي بن أبي طالب(ع) تربية دينية، يقول: «عليٌّ أديبي»، أي أن علياً تربّى على يدي: «أَنَا أَدِيبُ اللهِ وَعَلِيٌّ أَدِيبِي» (مكارم الأخلاق/١٧). الأدب يعني الحدود الدنيا التي عليك أن تحترمها «سواء أحببتَها أم لم تحبّها». الأدب مقدّم على الحب في الأسرة! فينبغي صيانة كرامة الناس.

روي عـن الإمـام الصـادق(ع): «أَكْرِمُـوا أَوْلَادَكُـمْ وَأَحْسِـنُوا أَدَبَهُـم» (مـكارم الأخـلاق/٢٢٢)، ومـاذا عـن المحبـة إذاً؟ إنهـا تـأتي في المرتبـة الثانيـة. فهـل تعلـم مـاذا سـيحصل إن اسـتبدلت الأدب بالمحبـة؟ مـا سـيحصل أن هـذا الإنسـان إن افتقـد المحبـة يومـاً مـا فسـيتفوه بـكلام بـذيء! وسـيتصرف بـبرود ولامبـالاة، ويزعـل، ويـأتي بسـلوك مشـين!

الأولوية في البيت ليست للحب بل للسكينة!

إذا اسـتبدلتَ الأدب بالحـب مـاذا سـيحصل؟ بمـا أن التذبـذب والتقلّـب مـن مواصفـات الحـب، فإنـك إن أحببـتَ شـخصاً أكـثر مـن غـيره فسـتُظهر محبتَـك لـه أكـثر، وسـيحصل في الأسرة نـوع مـن التمييـز الظـالم. الأولويـة في البيـت ليسـت للحـب بـل للسـكينة! قـال تعـالى: «وَمِـنْ آيَاتِـهِ أَنْ خَلَـقَ لَكُـم مِّـنْ أَنفُسِـكُمْ أَزْوَاجًـا» فخلـق المـرأة للرجـل وخلـق الرجـل للمـرأة. لمـاذا؟ «لِّتَسْـكُنُوا إِلَيْهَـا» (لا أن تشـعروا بالحـب والعاطفـة بجانبهـا!) السـكينة تتـأتى مـن الاحـترام؛ السـكينة تتولّـد مـن أن «هـذا الشـخص لا يهيننـي أبـداً، ولا يفضـح عيـوبي مـن ورائي أبـداً، ولا يشـوّه سـمعتي أبـداً، ولا يخوننـي أبـداً». إن الهـدف مـن تكويـن الأسرة هـو السـكينة قبـل كل شيء، والسـكينة تـأتي مـن الأدب، والأدب يعنـي الكرامـة وعـزة النفـس تحديـداً. عندمـا يعيـش عـدد مـن الأشـخاص معـاً ضمـن كيـان الأسرة يكـون المبـدأ الأول الـذي ينبغـي مراعاتـه هـو الأدب. لكـن الكثيريـن يكـررون القـول: «تـودّدوا إلى بعضكـم البعـض بالحـب». أولاً، لا يكـون الحـب بالإجبـار! وثانيـاً: «إِنَّ لِلْقُلُـوبِ إِقْبَـالاً وَإِدْبَـاراً» (نهـج البلاغـة/ الحكمـة ٣١٢). فالإنسـان يحـب تـارةً، ولا يحـب تـارةً أخـرى. هكـذا هـو قلـب الإنسـان؛ فهـو أحيانـاً لا يرغب كثـيراً في الأمـور التي يحبهـا. أنـت تحـب الإمـام الحسـين(ع)، لكنـك قـد تبـكي عـلى مصابـه في ليلـة، ولا تبـكي في ليلـة أخـرى. لكنـك تذهـب إلى موكـب العـزاء في كل ليلـة قائـلاً: «مـن قلـة الأدب أن لا أذهـب! فهـذا شـهر محـرم...»

الأدب يعني الاحترام، والاحترام يعني الالتزام بمبدأ كرامة النفس

الأدب يعنـي الاحـترام، والاحـترام يعنـي الالتـزام بمبـدأ كرامـة النفـس. ينبغـي عـليَّ أن أحـترمَ ولَـدي، وأن أحـترمَ زوجـي، فـلا ينبغـي أن يغيـب هـذا الاحـترام. لا يصبـح المـرء عاقّـاً لوالديـه إذا لم يحبهـما، فقـد لا يحـب شـخص أبـاه وأمـه، لكـن يجـب عليـه ألا يـسيء الأدب معهـما حتـى وإن لم يحبهـما، لأن أول المبـادئ هـو صيانـة كرامـة الإنسـان وحرمتـه.

على سبيل المثال، قد تكون الأم منزعجة في البيت، لكن عليها أن تسيطر على لسانها. فإن فضيلة المرأة في «حُسنِ التَبَعُّل»؛ فقد روي عن أمير المؤمنين(ع): »جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّل» (نهج البلاغة/ الحكمة١٣٦). والتبعّل أمر صعب بالنسبة إلى النساء. لماذا؟ لأن الرجال يتصفون، عموما، ببعض الإهمال وعدم الاهتمام بالتفاصيل، كما أنهم باردو العاطفة وسيئو الذوق بعض الشيء، ولهذه الأسباب يثير الزوج ثائرة هذه الزوجة وعليها أن تتحمله. فيقول الإمام(ع): »جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّل»، أي إنكِ لستِ بحاجة إلى أن تذهبي للجهاد ضد صدام، فصدامك ماثل في زوجك المحترم هذا، فاعتني به وقومي بمداراته! إنّ «حسنَ التبعُّل» يعني حسن التعامل مع الزوج. فالزوجة إن كانت قليلة الأدب، فإنها ستشهر سيف التجهّم والعُبوس وتغمده في قلب زوجها ما إن ترى منه سلوكاً خاطئاً! والطفل يشاهد هذه التصرفات ويقول في نفسه: «ويلاً لي، يا لها من أم قاسية!» وفي العادة لا يتربى مثل هذا الطفل تربية سليمة. وقد تفتح هذه الزوجة فمها بالهجاء والسخرية والكلام الجارح عند استيائها من أمر ما! ثمة قول لعلماء النفس في هذا المجال، وهو يشبه كثيراً حديثاً مروياً عن أئمة الهدى(ع). إذ ينصح علماء النفس الزوجة بأنه: إذا عاد زوجك إلى المنزل فأمسكي مدة العشر دقائق (أو العشرين دقيقة) الأولى عن أي كلام سلبي، وعن المطالبة بأي شيء، ولا تتطرقي إلى أيٍّ من عيوبه، ولا تنتقديه لأي شيء، ولا... وقد أوصى أهل البيت(ع) أيضاً الزوجة باستقبال زوجها بالترحيب وإظهار الحب: »وَأَنْ تَسْتَقْبِلَهُ عِنْدَ بَابِ بَيْتِهَا فَتُرَحِّبَ بِهِ» (مكارم الأخلاق /٢١٤) فإن تصرّفت الزوجة بهذا السلوك الحسن فسيهدأ الزوج كثيراً بطبيعة الحال. فلا ينبغي، مثلاً، أن تبادر الزوجة زوجَها لحظة دخوله المنزل بالقول: «لماذا لم تشتر الشيء الفلاني، و...». إن صانت هذه السيدة حرمة زوجها والتزمت بالأدب فسيتربى طفلهما تربية رفيعة نتيجة هذا الالتزام بالاحترام. إن أهم واجبات الزوجة هو «حُسنُ التَبَعُّل»، وإن أهم ما في حسن تبعّلها هو تحكُّمها بلسانها.

"الاحترام" هو المبدأ الأول في الإدارة على مستوى الأسرة

المبدأ الأول لإدارة الآخرين من حولك هو الالتزام بالأدب والاحترام، ولا ينبغي ثَلم هذا المبدأ بأي شكل من الأشكال. فيجب على الزوج أيضاً، عند ممارسته الإدارة، أن يحترم زوجته. فقد جاء في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين(ع): »... فَتُكْرِمَهَا وَتَرْفُقَ بِهَا وَإِنْ كَانَ حَقُّكَ عَلَيْهَا أَوْجَب». يخاطب الإمام(ع) الرجل بصراحة: إنّ حقك على الزوجة أكبر، لكن عليك بإكرامها ومداراتها واحترامها! فلا تظنّ أن بوسعك أن تفعل كل ما يحلو لك لمجرد أن حقك أكثر! إن المبدأ الأول في الإدارة على مستوى الأسرة هو الاحترام. فحين يسيء الأبناء الأدبَ مع والديهم فلا بد أن يكون الوالدان، ولا سيما الأم، قد أخفقا في الالتزام بالأدب أمام الأبناء ذات مرة!

كان المجتمع يظلم رسول الله(ص) لشدة التزامه بمبدأ التكريم في إدارته

لنُعرّج الآن على موضوع الإدارة على مستوى المجتمع وندرس هذا المبدأ هناك. كان هناك منافق يقعُد لرسول الله(ص) ويتجسس عليه، أي كان «يسمع كلامه وينقله إلى المنافقين وينُمّ عليه». فنزل جبرئيل الأمين على رسول الله(ص) وأخبره بذلك. فدعا رسولُ الله(ص) الرجلَ وسأله إن كان ينقل أخباره إلى الآخرين؟ فأنكر الرجل ذلك (وقد عرف أن جبرئيل الأمين قد أخبر النبي(ص) بخبره). وحين أكّد عليه رسول الله(ص) السؤال حلفَ الرجل أنه لم يفعل. فلم يعامله النبي(ص) معاملة سيئة وقال له: «قَد قَبِلتُ مِنكَ فَلا تَقعُد»؛ أي إنه في النهاية أوصاه بترك هذا العمل من باب النصيحة. فرجع الرجل إلى أصحابه فقال لهم: «إنّ محمداً أُذُنٌ»؛ يا لسذاجته! «أَخْبَرَهُ اللهُ أَنِّي أَنُمُّ عَلَيْهِ وَأَنْقُلُ أَخْبَارَهُ فَقَبِلَ وَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَبِلَ. فأنزل الله على نبيه: وَمِنْهُمُ الَّذينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنينَ (التوبة/٦١)» (تفسير القمي/ ج١/ ص٣٠٠). فلم يكن النبي(ص) ساذجاً، بل كان يتعامل معكم ببساطة. كان رسول الله(ص) على جانب من مراعاة الاحترام والأدب في رئاسته وإدارته للمجتمع إلى درجة أنه تعرض للظلم جراء ذلك! حسبكم هذا القول لتنظروا إلى أي مدى كان النبي(ص) وأهل البيت(ع) يراعون هذا الأمر. كانت منازل أئمة الهدى(ع) مشرقة بالنور وكان غالبية مَن حولهم صلحاء، اللهم إلا من بعض النماذج؛ على سبيل المثال أحد أقرباء الإمام الصادق(ع)، والذي صار في النهاية سبب قتله(ع)، كان كلما جاء لزيارة الإمام(ع) يُظهر له الإمام المودّة. فقال شخص للإمام(ع) (ما مضمونه): أنت تعلم مَن هذا الرجل! إنه يتجسّس عليك، وإنّا لنخشى أن يكون سبب قتلك في النهاية! فأخبره الإمام(ع) بعمله بذلك! وبعد أن ضرب ابن ملجم الملعون ضربتَه على هامة أمير المؤمنين(ع) جاؤوا به للإمام(ع)، فعاتبه(ع) بأنه: ألم أُحسن إليك أكثر من أي شخص آخر؟ فأجاب: بلى. «أَبِئْسَ الْإِمَامُ كُنْتُ لَكَ حَتَّى جَازَيْتَنِي بِهَذَا الْجَزَاءِ أَلَمْ أَكُنْ شَفِيقاً عَلَيْك وَآثَرْتُك عَلَى غَيْرِكَ وَأَحْسَنْتُ إِلَيْكَ وَزِدْتُ فِي إِعْطَائِك أَلَمْ يَكُنْ يُقَالُ لِي فِيكَ كَذَا وَكَذَا فَخَلَّيْتُ لَكَ السَّبِيلَ وَمَنَحْتُكَ عَطَائِي» (بحار الأنوار /ج٤٢/ ص٢٨٧).

لاحظوا مدى الاحترام في الإدارة!

لاحظوا إلى أي حد يبلغ الاحترام في الإدارة! يُروى «أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ(ع) دَعَا مَمْلُوكَهُ مَرَّتَيْنِ فَلَمْ يُجِبْهُ ثُمَّ أَجَابَهُ فِي الثَّالِثَةِ فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَمَا سَمِعْتَ صَوْتِي؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَمَا بَالُكَ لَمْ تُجِبْنِي؟ قَالَ: أَمِنْتُكَ. قَالَ(ع): الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى جَعَلَ مَمْلُوكِى يَأْمَنِّي» (الإرشاد للشيخ المفيد/ ج٢/ ص١٤٧). وقد رُويتْ رواية أخرى مشابهة عن حياة أمير المؤمنين(ع) أيضاً: «دَعَا(ع) غُلَاماً لَهُ مِرَاراً فَلَمْ يُجِبْهُ فَخَرَجَ فَوَجَدَهُ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ إِلَى تَرْكِ إِجَابَتِي؟ قَالَ: كَسِلْتُ عَنْ إِجَابَتِكَ وَأَمِنْتُ عُقُوبَتَكَ. فَقَالَ(ع): الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَعَلَنِي مِمَّنْ يَأْمَنُهُ خَلْقُهُ» (مناقب آل أبي طالب(ع)/ ج٢/ ص١١٣). إن أهم آفات الإدارة هي أن تسحق الناس تحت قدميك! يجب على الرئيس أن يهتم لصيانة كرامة مرؤوسيه. لا بد أن تُصان «كرامة الناس» و«كرامة الأسرة» و«كرامة النفس» عند ممارسة الإدارة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٧)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: محرم ١۴۴١

المكان: طهران، جامعة الإمام الصادق(ع)

الموضوع: الاستعداد للظهور،

إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٧)

التاريخ: ٦/ محرم / ١٤٤١ – ٦/ ٩/ ٢٠١٩

من يعجز عن التحكم بأهوائه فسيفشل في إدارة المجتمع بالتأكيد/ وفقاً لما جاء في الآية القرآنية الكريمة، إن استقطاب المجتمع إلى فئات أسلوب فرعوني للسيادة عليه/ انتهاك عزة الناس وكرامتهم هو أم المفاسد والمآسي الثقافية

إن المبدأ الأول في إدارة الفرد والمجتمع هو احترام كرامة الإنسان وعزته، وحسب الآية القرآنية الكريمة كان "فرعون"، باعتباره حاكماً فاسداً مفسداً، ينتهك هذا المبدأ بالذات للتسلط على الناس، فكان يمتهن الناس ويحتقرهم كي يطيعوه! فانظروا الآن ما هي نماذج هذا "الاستخفاف" في عصرنا؟

لم يصل مجتمعنا بعد إلى الاستعداد والنضج الكافيين في موضوع "الإدارة"

لقد اخترنا موضوع «الإدارة» لهذه السلسلة من المحاضرات لأننا نرى أن الفهم الصحيح للإدارة وتطبيقها على مستوى الحياة الشخصية والعائلية والاجتماعية يُعدّان آخر تمهيد للظهور؛ حيث إن باقي المقدمات اللازمة للظهور قد تهيّأ أغلبها، وقد تحقّق النضج الفكري الكافي لقبول دولة الإمام(ع) الحقة؛ ولا نقصد بالطبع من «النضج الكافي» أن الجميع قد نضج في جميع المجالات، بل إن المقصود من ذلك أن النضج الذي كان يمكن أن يبلغه الناس في المجالات المختلفة في حقبة الغيبة، ومع هذه الظروف والإمكانيات المتاحة، قد تحقّق نوعاً ما. أما في مجال «الإدارة» فما زلنا لم نبلغ النضج الكافي ولم نحقّق نتائج جيدة، وما زلنا في واقع الأمر في بداية الطريق. على الرغم من أن لنا الريادة والتقدّم على الكثير من أقوام العالم، إلا أنه ثمة منكرات تثير الاستغراب ما زالت تمارس في مجتمعنا باسم المعروف، ولا يتجرأ أحد أن يؤدي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا المجال.

إن مبادئ الإدارة في المجتمع هي نفسها مبادئ الإدارة في الحياة الفردية والأسرية

لكي نستعد لتهيئة مقدمات الفرج في موضوع الإدارة علينا أن نفهم معنى الإدارة على مستوى «الحياة الفردية» و«الحياة الأسرية» و«الحياة الاجتماعية» على السواء، وندرك مبادئها وقواعدها. لماذا ذكرنا هذه العناوين الإدارية الثلاثة مع بعض؟ لأنه قد تم الفصل بين السياسة والدين منذ سنوات عديدة؛ أي إنهم يعدّون الدين والروحانية والأخلاق أمراً، والسياسة أمراً آخر! في حين أن مبادئ إدارة المجتمع، وبناءً على حكم العقل والعلوم البشرية والتعاليم الدينية، هي نفسها المتبعة في الحياة الفردية والأسرية، وإن باستطاعة الإنسان أن يستلهم إدارة حياته الأسرية والمجتمعية من طريقة الإدارة الصحيحة التي يمارسها على مستوى حياته الشخصية.

من يعجز عن التحكم بأهوائه فسيفشل في إدارة المجتمع بالتأكيد

لهـذا التقـارن فوائـد وآثـار عديـدة، كأن يتمكـن الأشـخاص مـن تمييـز المديـر الصالـح عـن الفاسـد بشـكل أفضـل. ولا يقتـصر الفسـاد عـلى المفاسـد الظاهريـة فحسـب، بـل إن أي مديـر يعجـز عـن التحكـم بأهوائـه عـلى مسـتوى حياتـه الشـخصية والعائليـة فهـو غـير قـادر عـلى إدارة المجتمـع دون شـك، ويفتقـر إلى الموهبـة والإدراك اللازمـين للتخطيـط والمنهجـة والتنظيـم والتوجيـه والسـيطرة. وليـس هـذا موضوعـاً مبدئيـاً، بـل هـو موضـوع علمـي وتخصـصي تمامـاً! مَـن يعجـز عـن ممارسـة الإدارة في الأسرة بشـكل صحيـح، أو لم يترعـرع في أسرة تُـدار عـلى نحـو جيـد، فهـو بطبيعـة الحـال لـن يسـتطيع تـولي الإدارة في المجتمـع أيضـاً. في مؤسسـات كمجلـس صيانـة الدسـتور، وعنـد دراسـة أهليـة الأشـخاص المرشـحين للانتخابـات، لا بـد مـن الاهتـمام بـ«المؤهـلات الإداريـة للفـرد» أكـثر مـن أي شيء آخـر؛ فـلا ينبغـي تقـصّي معتقـدات المرشـحين، ولا التعويـل عـلى المسـائل الموهومـة التـي تُطـرح باسـم النزاعـات السياسـية، بـل يجـب النظـر في أنـه هـل هـذا الشـخص كفـوء لـلإدارة أو لا؟

جميع الضربات التي تلقيناها بعد انتصار الثورة كانت بسبب الضعف في الإدارة

جميـع الضربـات التـي تلقيناهـا بعـد انتصـار الثـورة كانـت بسـبب الضعـف في الإدارة ولا غـير! وهـذا الضعـف مـا زال مسـتمراً وسـيبرز، بطبيعـة الحـال، في دورات الانتخابـات القادمـة أيضـاً، لأننـا مـا زلنـا نفتقـر إلى الوعـي العـام السـليم بمبـادئ الإدارة الصالحـة في المجتمـع. وفي هـذا السـياق، يمتـاز موضـوع إصـلاح الإدارة عـلى مسـتوى الأسرة أيضـا بأهميـة كـبرى، باعتبـاره أحـد مقدمـات الظهـور؛ والسـبب هـو أنهـم (الأعـداء) إذا أرادوا تدمـير المجتمـع، يحاولـون تدمـير الأسرة أولاً، وهـو أمـر سـهل في مجتمعنـا؛ فـإن تحريـض النـاس عـلى تـرك الصـلاة ليـس يسـيراً، وإنّ تجريدهـم مـن عقيدتهـم وإيمانهـم وحبهـم للحسـين(ع) ليـس سـهلًا كثـيراً، لكـن معـدلات الطـلاق مرتفعـة بـين العوائـل، وعـدد الأسر القليلـة الأطفـال - والتـي تعتـبر أحـد مـؤشرات غيـاب الإدارة السـليمة في الأسرة – أيضـاً مرتفـع.

لا يتمّ إصلاح الأسرة من خلال الدروس الأخلاقية، بل بالالتزام بمبادئ الإدارة في المنزل

وإن للأعـداء أسـبابهم لهـدم الأسرة إذا أرادوا التسـلط عـلى المجتمعـات البشريـة. لا يتـم إصـلاح الأسرة مـن خـلال الـدروس الأخلاقيـة، بـل يتـم عـبر الالتـزام بمبـادئ الإدارة، سـواء عـلى مسـتوى تربيـة الأولاد، أو عـلى مسـتوى علاقـة الزوجـين مـع بعضهـما البعـض.

إذا كنا نعتقد بأن مبادئ الإدارة مشتركة على مستوى الذات والأسرة والمجتمع، فينبغي أن ننظر ما هي المبادئ الضرورية لرُقِي الأسرة، وسمو المجتمع، وما هي المبادئ الضرورية لإدارة أنفسنا؟ فندرس هذه المبادئ الثلاثة مع بعض ونحاول أن نتناقش بعقلانية، ونستفيد من الآيات والروايات أيضاً لتقوية عقولنا؛ بعبارة أخرى لا نريد أن نتناول الآيات والروايات تعبّداً.

إذا أردتَ أن تحقق أمنياتك فعليك بإدارتها

كما ذكرت في المحاضرة السابقة أن المبدأ الأول الذي يجب ملاحظته في إدارة الذات والأسرة والمجتمع هو «مبدأ الكرامة والعزة»! إذا أردتَ تحقيق أمنياتك ومطالبك فعليك بإدارتها، والمبدأ الأول الذي ينبغي عليك أن تأخذه بعين الاعتبار في إدارة ذاتك هو صيانة عزة نفسك، وإلا لن تستطيع أن تعيش حياة كريمة في الأمد الطويل، ولن تستمتع بأي شيء، ولن تنال منافعك، وستكون قد اتخذت اللهَ عدواً لك. وحتى لو لم تكن تؤمن بالله، فإن لم تلتزم بهذا المبدأ فسترتبك بنيتك العقلية والروحية ولن تستمتع بعدها باللذات الدنيوية أيضاً.

من يرجو لذّة من دون عزّة يكون قد قلّل من مستوى استمتاعه

أحياناً تتجلى عزّة النفس هذه في مفردة «الحياء». فما معنى أن أستحيي؟ معناه «أني لا أريد أن أُهان وأريد أن أصون كرامتي!» الحياء هو الحافز الباطني والرادع لحفظ العزة والكرامة، وهو في الحقيقة الوجه الآخر لعملة العزة، وهو في غاية الروعة. إن لم يصن الإنسان عزته وكرامته أمام نفسه وانطلق هائماً وراء لذّاته وأساء إدارة رغباته، فسيبلغ شيئاً فشيئاً مرحلةً يغدو فيها لا يستمتع بأي شيء. تخلق العزّة حاجزاً بين الإنسان واللذّة، لكنه حاجز يجلب المزيد من اللذّة لصاحبه. وإن الذي ينشد لذةً دون عزة فهو في الحقيقة يقلّل من مستوى استمتاعه! أنتم بوسعكم مناقشة هذا الموضوع بعيداً عن الدين أيضاً، وبالاعتماد على علم «إدارة الذات» فقط.

المبدأ الأول في إدارة الأسرة أيضاً هو صيانة العزة

ينبغي مراعاة مبدأ العزة باعتباره المبدأ الأول سواء في «إدارة الذات» أو «إدارة الأسرة» أو إدارة المدرسة. فعلى أفراد الأسرة أولاً أن يحفظوا عزة بعضهم البعض، وأن يصونوا الحرمة ويراعوا الأدب. المبدأ الأول في إدارة البيت أيضاً هو صيانة عزة وكرامة أعضاء الأسرة، سواء في إدارة الرجل زوجتَه، أو إدارة المرأة زوجَها، إو إدارة الوالدين أولادَهما، وحتى عكس ذلك؛ إذ إنّ الأولاد أيضاً قد يضطرون إلى إدارة علاقاتهم بوالديهم.

لماذا قيل إنّ الرجل يجب أن يُحْدث أصواتاً عند دخوله المنزل؟

جاء في الرواية أن الأب يجب أن يُحْدث أصواتاً عند دخوله المنزل ليشعر أهل الدار بمجيئه، ولا يدخل فجأة ويأخذهم على حين غِرّة. لماذا؟ لأن أهل الدار قد يكونون في وضع لا يحبون أن يراهم الأب عليه؛ كأن يكون الولَد جالساً جِلسةً مريحة جداً، بينما عليه أن يجلس باحترام أمام والده، مراعاة لحرمته؛ «يُسَلِّمُ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ وَإِذَا دَخَلَ يَضْرِبُ بِنَعْلَيْهِ وَيَتَنَحْنَحُ وَيَصْنَعُ ذَلِكَ حَتَّى يُؤْذِنَهُمْ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ حَتَّى لَا يَرَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ» (جامع الأخبار/ ص٨٩). ليس من الصواب أن يدخل الأب المنزلَ خفيةً لينظر ماذا يصنع أهل بيته؟ ولا تقل: «لي هدف تربوي وأريد أن أعرف إن كان أحد يرتكب خطأً ما لأقوم بإصلاحه!» فهذا أسلوب خاطئ. ينبغي، بادئ ذي بدء، أن تُصان عزة أعضاء الأسرة، وهذا السلوك ينافي مبدأ العزة! إذا أردنا أن ننصح أحداً في البيت يجب ألا نتمادى في نصحه بما يثلم كرامته، ولا ننصحه أمام الآخرين أو نقارنه بغيره بحيث تُسحق عزته! لا بد أن يكون الشخص الذي يتخرج من هذه الدار إنساناً عزيزاً، إنساناً لم تُثلم أو تُسحق فيها عزته وكرامته.

عدم صيانة عزة الناس وكرامتهم هو منطلق جميع المفاسد والمآسي الثقافية

وماذا عن إدارة المجتمع؟ إن المبدأ الأول في الإدارة المجتمعية أيضاً هو صيانة العزة، من دون فرق بين الإدارة على مستوى المؤسسات أو على مستوى المناصب الإدارية العليا في المجتمع. فينبغي صيانة عزة الناس على كل حال. إن عدم صيانة عزة الناس وكرامتهم هو المنطلق لجميع المفاسد والتحلّلات الأخلاقية والمآسي الثقافية. وإن رجال السياسة هم المسؤولون عن صيانة هذه العزة. تحدثنا في المحاضرة السابقة عن أنه لماذا جعلنا المبدأ الأول [في الإدارة] هو العزة والكرامة؟ وذكرنا سببين لذلك: السبب الأول هو أن الآفة الأولى التي تصيب الإدارة والسلطة على الآخرين هي إهمال كرامة الناس؛ أما السبب الثاني فهو أن صيانة كرامة الناس يجب أن تكون الغاية الأولى في الإدارة؛ فكل عمل ننجزه في حقل الإدارة لا بد وأن يكون مصحوباً بصيانة كرامة الناس؛ لأن هذا هو أكثر الأمور قيمة في هذا مجال.

سبب تحدُّث القرآن عن فرعون هو لكي نعرف فراعنة عصرنا

والآن نريد أن نذكر مثالاً قرآنياً بارزاً فيما يتعلق بمبدأ كرامة الناس وعزتهم في الإدارة: إن كلام الله سبحانه في القرآن الكريم هو كلام خالد لا يختص بزمن معين. فإن تكلم تعالى فيه عن فرعون فلكي تعرفوا أنتم فراعنة زمانكم. فلو لم تعرفوا فرعون زمانكم وفقاً لما جاء في القرآن فماذا نستفيد من سرد قصة فرعون في القرآن؟! هناك مذهبان فكريان اليوم؛ إذ يرى البعض أنه: «لا يمكن إسقاط مواضيع القرآن على زماننا أبداً». فيقول مثلاً: «لماذا تُسقِط فرعون الذي تقرأ قصته في القرآن على زماننا؟ فلا نعلم إن كنا نحن قادرين على مقارنته [مع شخص ما]!» حسناً لو كان الأمر كذلك فلا بد أن نقول: إن الكثير من الآيات القرآنية هي عبث! فهل القرآن كتاب في علم الآثار؟! إن من الإهانة للقرآن الكريم أن يقول أحدهم: «أنت لا تستطيع أن تُسقط فرعون - الذي جاء ذكره في القرآن - على زمانك!» بل على العكس يجب أن يستطيع جميع الناس فعل ذلك. فالقرآن ليس بكتاب تخصصي إلى أبعد الحدود، إذ في وسع كل شخص يجلس إلى مائدة القرآن أن ينتهل من معينه على قدر حاجته وحاجة زمانه. وبطبيعة الحال، مَن يأنس بالقرآن أكثر ينتفع منه أكثر أيضاً، لكن بما أنه غير معصوم فيجب أن نميّز نحن إن كان يقول الصواب أم لا؟ إذاً ينبغي علينا نحن أيضاً باعتبارنا من العوام أن نفهم شيئاً ما عند الحضور في رحاب القرآن. تقول فئة أخرى: «هذا كلام الله وهو أشد قداسة من أن تدرك أنت مغزاه! فكلام الله على مستوى رفيع جداً وأسمى من فهمنا نحن!» تماماً كما يقول البعض: «يجب ألا نتحدث اليوم عن سلوك أمير المؤمنين(ع)، فأين نحن من علي(ع)؟! كان علي رجلاً نادراً فريداً، وقام بأعمال، وكانت له غاية معينة ولكننا نجهلها! علي(ع) رفيع الدرجة، ولا تصله يد أي إنسان..!» لكن لو كان الأمر كذلك فبماذا ينفعنا تاريخ الإسلام والقرآن إذاً؟!

كان فرعون يستخفّ قومه ليتسلط عليهم

فلنتوجه الآن إلى القرآن ولنتعرف على ذلك المثال البارز. إن «فرعون» في القرآن الكريم مثال واضح للمدير الفاسد والمفسد والحاكم الظالم المتعسّف. وحسب ما جاء في الآيات القرآنية فإن أول مبدأ كان فرعون يدوس عليه هو العزة، فكان يسحق عزة الناس وكرامتهم ليسودهم. قال تعالى في كتابه العزيز حول أسلوب فرعون: «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ» (الزخرف/٥٤). فمن أراد أن ينتهج نهج فرعون فماذا عليه أن يفعل؟ من الطبيعي أن لا يصون كرامة قومه وعزته.

استخفّ فرعونُ قومَه فأطاعوه. انظروا اليوم ما هي نماذج هذا الاستخفاف في زماننا؟ إن لم ينقضِ عهد القرآن بعد ولم يصبح القرآن قديماً - ولا شك أنه كذلك - فقولوا أنتم ما هي الأساليب الحديثة «لاستخفاف القوم» التي يستخدمها فراعنة العصر؟ أليست هذه الأمور هي قضايا عصرنا؟! هي كذلك بالتأكيد. إذاً قولوا كيف تترجَم »فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ» في عصرنا الراهن؟ وما هو مصداقها؟ ومن هم الذين ينتهجون هذا النهج، سواء في العالم أو في مجتمعنا؟

حذارِ من أن يحطم السياسيون عزة "قوم" إيران وكرامتهم أمام الغربيين

حذارِ من أن يحطم السياسيون عزة وكرامة المجتمع الإيراني و»قوم» إيران أمام الغربيين. فهذا الاستخفاف تمهيد لطاعة فراعنة العالم. أنا لا اتحدث عن تصرفات المسؤولين السياسيين اليوم الذين يعملون على استخفاف الشعب، حتى لا يتخذ بحثنا طابعاً سياسياً من خلال المصاديق الواقعية. لكنني سأضرب مثالاً واضحاً عن «العزة»: أنتم رأيتم بأم العين كيف أثنى العالم بأجمعه على عزتنا وفخرنا بعد ضربنا الطائرة الأمريكية المسيّرة، وإمساكنا بالناقلة البريطانية! لماذا يحاولون أن يكونوا سبباً لاستخفاف هذا الشعب؟ ابحثوا وانظروا إلى أي مدى ترتفع معدلات السرقة والارتشاء والقسوة وانعدام الحافز للعمل والإنتاج في المجتمع الذي أصبح حقيراً مهيناً!

كل من يتسبب في إشاعة الفسق يقوم بذلك بدافع فرعوني لا ثقافي

يقول تعالى في تتمة الآية المباركة: »فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقينَ» (الزخرف/٥٤) لماذا رضخوا هم للاستخفاف يا ترى؟ شخصٌ استخفّ بك، فلماذا رضختَ أنت لذلك؟ إن الفسق والتجاهر بالذنب يؤدي بك إلى قبول الاستخفاف! لماذا تدعم بعض التيارات السياسية إشاعة الفسق والفجور في المجتمع؟ فقد يحضر بعض السياسيين الرفيعي المستوى في مجالس فيها فسق ويروّج لذلك، لماذا يا ترى؟ كل من يتسبب في إشاعة الفسق والفجور فهو يقوم بذلك بدافع فرعوني لا ثقافي. إنها تيارات فرعونية، والقضية أساساً ليست قضية مبادئ وقيم. هذه هي الأساليب المتبَعة في استخفاف قوم ما. اسمعوا ماذا يقول رئيس الوزراء الخبيث لحكومة الكيان الصهيوني قاتل الأطفال، يقول: «روّجوا الإباحية في إيران لكي تدفعوها للاستسلام للغرب!» هذا ليس موضوعاً ثقافياً، بل هذه مواضيع تخصصية وتقنية في مجال الإدارة، والبعض يتقن ذلك جيداً.

استناداً إلى الآية القرآنية الكريمة إن استقطاب المجتمع إلى فئات هو أسلوب فرعوني للسيادة عليه

فيما يتعلق بفرعون والإدارة الفرعونية، يقول تعالى في آية كريمة أخرى: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ» (القصص/٤) أي أن فرعون طلب العُلا في الأرض وكان حاكماً فاسداً ومُفسداً. (جاء في نهاية هذه الآية: «إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدين»، أي كان فرعون يعيث في الأرض فساداً). ماذا كان أسلوب فرعون؟ يقول تعالى: « جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً»؛ أي قام بـ«استقطاب» القوم الذين أراد السيادة عليهم إلى شِيَع وفئات! إن استقطاب المجتمع إلى فئات هو إحدى أساليب الفراعنة للسيادة عليه. إن بعض سياسيينا لن تستمر حياتهم السياسية أساساً دون «استقطاب أو تقسيم المجتمع إلى فئتي الإصلاحيين والأصوليين». أنا آسف حقاً لهاتين الفئتين لقبولهما هذا الاستقطاب! فمن كان موالياً للثورة ونعتوه بالـ«أصولي» وتقبّل هو ذلك فقد أخطأ بالتأكيد، لأنه قد ساعد في تقسيم المجتمع إلى «شِيَع» بقبوله هذا النعت، وهذا يعني إضعاف المجتمع وإمكانية سيادة الفراعنة عليه. استقطاب المجتمع إلى فئتين كان منذ البداية إما فعل صديق جاهل أو عدو عالِم. الصهاينة يديرون العالم بأجمعه بهذه الطريقة؛ بعبارة أخرى قاموا بتمزيق المجتمع واستقطابه إلى شِيَع وأحزاب، ثم يخدعون الناس بقولهم أن «انتخب هذا الحزب مرةً، وانتخب ذاك مرةً!» واللطيف أن الأمر في كلا الحزبين ينتهي في نهاية المطاف إليهم هم! على أنهم لم يتمكنوا من تنفيذ هذه الخطة في مجتمعنا بشكل جيد حقاً، فقد تاهت هنا في متاهات التنفيذ. فرئيس جمهوريتنا الحالي كان يوماً من زعماء التيار الأصولي وكان اسمه يُدرج دائماً في قائمات المرشَحين، لكنه اليوم انتقل إلى الطرف الآخر! أو ينتقل ذاك إلى ذلك الطرف، وقس على هذا. لماذا يعجزون عن تنفيذ الاستقطاب الثنائي في بلادنا كما يريدون؟ لأنه ثمة في بلادنا عملية إدارية سليمة باسم «الإدارة الولائية». لكن بمجرد أن تفشل لعبتهم يخلقون استقطاباً ثنائياً جديداً. وتسعى الصحف ذات النهج «البي بي سيّ» أيضاً إلى خلق هذا الاستقطاب الثنائي في كل مجال، تماماً كما تفعل محطة الـ«بي بي سي» الخبيثة! إذا نشب نزاع بين الأم وزوجة الأب ستتنازل الأم عن حقها ليسلَم الطفل، لكن ماذا لو كان طرفا النزاع زوجتَي أب؟ سيُقسم جسد الطفل إلى نصفين! هذا هو المشروع الذي يدير به الصهاينة أورُبا وأمريكا، فلِمَ لا يطبّقونه في إيران؟! أتظنون أن رجال سياستنا على جانبٍ من الفطنة والدهاء بحيث لا يمكن خداعهم؟ واليوم تأملوا جيداً هل هناك فرق بين مواقف الأصوليين والإصلاحيين في القضايا المختلفة؟ على سبيل المثال هل ثمة فرق بين موقفيهما بالنسبة إلى المصارف؟ أو بالنسبة إلى ريادة الأعمال؟ أو إلى نظام التربية والتعليم؟!

الاعتراف رسمياً بالاستقطاب الثنائي إلى إصلاحيين وأصوليين بلغ بالمجتمع إلى الكبت النفسي

نحن اعترفنا رسمياً بلعبة الـ«الأصوليين والإصلاحيين» القذرة، وهذا الأمر أدى إلى الكبت النفسي في المجتمع؛ فما إن يريد أحد أن يفتح فمه حتى يختموه بختم الأصولي أو الإصلاحي ليحُولوا دون أن تسمع الفئة المقابلة كلامه. وحين تتبادل الفئتان الشتائم لن يبقى مجالاً لا لإبداء الرأي والحوار، ولا للنقد العلمي! هذا الكبت يؤدي إلى أن يصعد الضعفاء من كلا الفريقين إلى السلطة، لأنهم سيقولون: «على كل حال هذا من حزبنا وعلينا أن ندعمه وإلا ستتعرض سمعتنا ووجاهتنا للخطر!» أوَتراه عصر الجاهلية هذا؟! في تاريخ الإسلام لم يُعرِض رسول الله(ص) عن أمته إلا مرة واحدة، وكان ذلك حين قام «عبد الله بن أُبَيّ» بتقسيم أهل المدينة إلى قسمين، وأكد على الشقاق بين المهاجرين والأنصار قائلاً: «علينا، نحن الأنصار، أن نثور ضد المهاجرين، فلا هم يتقبلوننا ولا نحن نتقبلهم!» وحين وصل هذا الخبر إلى رسول الله(ص) غضب بشدة بحيث لم يتكلم مع أحد يوماً كاملاً؛ «فَسَارَ رَسُولُ اللهِ(ص) يَوْمَهُ كُلَّهُ لَا يُكَلِّمُهُ أَحَدٌ » (تفسير القمي/ ج٢/ ص٣٦٩). وقد نزلت سورة المنافقين في هذا الشأن.

كان فرعون يقسّم الناس إلى شِيَع وفِرَق ثم يُضعف الفرقة التي تعارضه

ويتابع تعالى قوله في الآية الكريمة: «وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُم» (القصص/٤). كان دأب الفراعنة هو تقسيم الناس إلى فِرَق، ثم إضعاف الفِرقة المعارضة لهم. ويسير أشباه الفراعنة أيضاً على النهج نفسه، وبوسعكم مشاهدة هذه الأساليب داخل المجتمع؛ كأن يقال: «تلك الجماعة تتصف بالصفة الفلانية...»، ويبدأون بالإهانة والازدراء والاستهزاء. وحينذاك لن يبقى مجالاً لا للحوار والنقد العلمي ولا لإبداء الرأي! هذه هي إحدى أساليب الفراعنة لفرض السلطة على المجتمعات البشرية. ثم يقول تعالى: «يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيي نِساءَهُمْ»، فلقد كانوا يذبحون الأولاد ويحتفظون بالنساء للبغاء! فلم تكن وظيفة المرأة في نظرهم غير هذه. والآن ألا نستطيع إسقاط هذه الأمور على زماننا الراهن؟ فلو لم نتمكن من إسقاطها فهذا يعني أنها مجرد قصة تاريخية لا يوجد لها مصداق اليوم! فلتتحققوا فيما إذا كان لهذه القضايا مصاديق في عصرنا الراهن أم لا؟

أحد أساليب استخفاف الشعب هو إخفاء أصوات البرلمان!

أحد أساليب استخفاف الشعب هو إخفاء أصوات البرلمان! ترى لماذا يصوّت معظم نوّاب البرلمان على «عدم شفافية أصوات النواب»؟ فهل يعتبرون الشعب ذليلاً حقيراً يا ترى؟ ثم يأتي البعض ويقول بجهالة وحماقة فظيعة: «هل تريدون تقصّي معتقدات النواب؟!» وهل يا ترى تصوّتون في البرلمان على المعتقدات؟ بئس ما تفعلون إن كنتم تصوتون بحسب المعتقدات! إن من واجبكم أن تصوّتوا بناءً على الرأي الاستشاري التخصصي وليس بناءً على المعتقدات! لا بد أن يحيط أفراد الشعب بنوابهم علماً، وأن يعلموا لأي قضية قد صوّت نائبهم ولماذا؟ نحن لا تهمنا عقائدكم، بل نريد أن نعرف مستوى معرفتكم التخصصية. يا نوّاب البرلمان، من الذي خوّلكم الحق للتستّر على أصواتكم وأن تعُدّوا التصويت بشفّافية تقصّياً للمعتقدات؟ قولوا ما الذي تحاولون إخفاءه عن الشعب؟ ليعلن الشرفاء في البرلمان عن أصواتهم بشفافية ووضوح في كل عملية اقتراع طالما بقيت الأصوات غير شفافة، وإن لم يفعلوا ذلك فقد أساؤوا استغلال فرصة تكتُّم المخادعين من السياسيين. بالطبع يجب أن تكون عملية التصويت سريّة إذا كانت تتعلق بقضايا أمنية، لكن ليس جميع عمليات التصويت!

أصحاب النهج الـ"بي بي سيّ" يخلقون في المجتمع أجواء لا يجرؤ أحد فيها على الانتقاد

إن من مصاديق استخفاف قوم ما وازدرائهم هو تقسيمهم واستقطابهم إلى فئات وشِيَع. فمع هذه الضوضاء التي تثيرها الصحف ووسائل الإعلام لاستقطاب المجتمع إلى فئتين ومع هذا التصرف الدنيء الذي نواجهه يومياً في وسائل الإعلام هل يمكن برأيكم اختيار مسؤول صالح؟ هذا هو أسلوب أصحاب النهج الـ«بي بي سيّ» في مجتمعنا؛ على سبيل المثال تقيم جماعة اجتماعاً ما بغية انتقاد الاتفاق النووي والإعلان عن قلقها تجاهه، فتبحث عن اسم لطيف لتجمّعها هذا وتطلق عيه عنوان: «نحن قلقون!» ولا تقول: نحن منتقدون ولا: نحن معترضون ولا... لكن أصحاب النهج الـ«بي بي سيّ» يحوّلون كلمة «قلقين» هذه إلى شتيمة! وقد مضت الآن سنوات من مصيبة الاتفاق النووي ولم يكفّوا عن هذا الشتم، حتى لا يتجرأ أحد بعد ذلك أن ينتقد! والآن انظروا كيف كانت طريقة أمير المؤمنين(ع)؟ لقد حاربَ الخوارج. بالطبع حاول قبل ذلك جاهداً هدايتهم، لكنهم لم يهتدوا إلى سواء السبيل، فاضطر(ع) في النهاية إلى إبادتهم. سُئل أمير المؤمنين(ع): هل كانوا طالبين للدنيا؟

قـال(ع): كلا بـل كانـوا زُهّـاداً! فسـألوه مـرة أخـرى: هـل كانـوا منافقـين؟ فأجـاب(ع): كلا كانـوا مؤمنـين! فقالـوا لـه: لكنهـم خرجـوا عليـك! فقـال(ع) نعـم، لقـد أخطـؤوا! أي أن الإمـام(ع) لم يقبـل أن يضيـف عـلى هـذه العبـارة شـيئا آخـر. عَـنْ جَعْفَـر(ع) عَـنْ أَبِيـهِ(ع) قَـالَ: »إِنَّ عَلِيّـاً لَـمْ يَكُـنْ يَنْسُـبُ أَحَـداً مِـنْ أَهْـلِ حَرْبِـهِ إِلَـى الـشِّرْكِ وَلَا إِلَـى النِّفَـاقِ وَلَكِنَّـهُ كَانَ يَقُـولُ هُـمْ إِخْوَانُنَـا بَغَـوْا عَلَيْنَـا« (قـرب الإسـناد/ ص٩٤ ـ وسـائل الشـيعة/ ج١٥/ ص٨٣).

بعض الانتقادات والتصريحات الصائبة تُخنَق بيد "الدكتاتورية النفسية"

إن بعـض الانتقـادات والتصريحـات الصائبـة تُخنـق بيـد «الدكتاتوريـة النفسـية» الثقيلـة، الدكتاتوريـة النفسـية المتفرعنـة! إذ يقـوم البعـض بخلـق حالـة مـن الاختنـاق النفـسي في المجتمـع مـن خـلال ممارسـة «التقسـيمات الجائـرة»، فيغتصـب إمكانيـة الحـوار. وهـذه هـي أسـاليب محطـة الـ»بي بي سي»! فهـم يديـرون العـالم ويحكمـون المجتمعـات البشريـة عـبر هـذه الأسـاليب؛ عـبر اسـتخفاف القـوم! ورد في روايـة أن أمـير المؤمنـين(ع) أوصى مالـك الأشـتر أن إذا أراد اختيـار مسـؤول فليختـره مـن أسرة مشـهورة بالمـروءة. فالأشـخاص الذيـن يفتقـرون إلى المـروءة السياسـية يحـذون حـذو محطـة الـ»بي بي سي» نوعـاً مـا، ويسـتخفّون القـوم. وعمومـاً أمثـال هـؤلاء الأشـخاص (ليـس جميعهـم) يكونـون قـد تربّـوا في بيـوت غـير صالحـة وترعرعـوا في بيئـة فاسـدة، ولهـذا يـوصي أمـير المؤمنـين(ع) باختيـار المسـؤولين مـن البيوتـات الصالحـة! »ثُـمَّ الْصَـقْ بِـذَوِي الْمُـرُوءَاتِ وَالْأَحْسَـابِ وَأَهْـلِ الْبُيُوتَـاتِ لصَّالِحَـةِ وَالسَّـوَابِقِ الْحَسَـنَةِ ثُـمَّ أَهْـلِ النَّجْـدَةِ وَالشَّـجَاعَةِ وَالسَّـخَاءِ وَالسَّـمَاحَة... وَتَـوَخَّ مِنْهُـمْ أَهْـلَ التَّجْرِبَـةِ وَالْحَيَـاءِ مِـنْ أَهْـلِ الْبُيُوتَـاتِ الصَّالِحَـةِ« (نهـج البلاغـة/ الكتـاب ٥٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٨)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: محرم ١۴۴١

المكان: طهران، جامعة الإمام الصادق(ع)

الموضوع: الاستعداد للظهور،

إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٨)

التاريخ: ٢/ محرم / ١٤٤١ – ٢/ ٩/ ٢٠١٩

لا تسمحوا لسماسرة السياسة بأن يحوّلوا القضايا الإدارية التخصصية إلى قضايا سياسية/ إن لم يتعامل السياسيون بكرامة فسيبدأ دومينو الفساد في المجتمع/ لم يكن سلوك بعض المسؤولين سلوكاً كريماً، لا في خضم الانتخابات ولا بعدها

إن لم يكن الرجل السياسي والمسؤول في المجتمع كريماً وبات يتصرف بسلوكيات غير كريمة؛ كأن يمارس الدجل والاستهزاء، ستبدأ قطع الدومينو بالتساقط من الأعلى وستنتهي بأنواع الفساد؛ سواء الفساد الاقتصادي، وأكل الريع، وإغلاق المصانع، ...الخ، أو الفساد الثقافي، وارتفاع معدل الطلاق، وحتى ظاهرة السفور!

بحسب الرواية، مَن يظلم نفسه فلن يكون مديراً ناجحاً

لا بد أن يتولى المناصب الإدارية في المجتمع – ولا سيما المناصب المهمة – أشخاص يتمتعون بقابلية عالية؛ أي مَن يكون هو كريماً أولاً، ومَن يصون كرامة الناس ثانياً. وكما ذكرنا سابقاً، ينبغي في «إدارة الذات» أيضاً أن نجعل المبدأ الأول هو «الكرامة وعزة النفس». روي عن أمير المؤمنين(ع): «مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ كَانَ لِغَيْرِهِ أَظْلَمَ» (غرر الحكم/٨٦٠٦)، أي من يظلم نفسه لا يستطيع أن لا يظلم الآخرين. لا يقولنَّ أحد: «نحن نبحث عن مدير ناجح، فما دخلنا بالمواضيع الأخلاقية؟!» فقولنا: «إن على المدير أن لا يظلم نفسه» ليس بموضوع أخلاقي، بل هو موضوع إداري. بعبارة أخرى، مَن يظلم نفسه فلن يكون مديراً ناجحاً، لأن المدير الناجح هو من لا يظلم الآخرين. إن هذه القضية تتصل بالتعاريف التخصصية للإدارة وليس بالأمور الأخلاقية والمبدئية. وحتى موضوع «الالتزام والاختصاص» قد انقضى وبات قديماً. نحن الآن نطالب المدير بـ»الاختصاص» فقط؛ أي يجب أن يكون المدير متخصصاً - بالمعنى الحقيقي للكلمة -وملتزماً بجميع مبادئ الإدارة.

قولنا: "يجب أن يتعامل المدير بكرامة" ليس موضوعاً أخلاقياً، بل إداري

مَن لا يكون كريماً ولا يصون كرامة المجتمع فليس هو بمدير ناجح ولا يستطيع أن يرتقي بالمجتمع إلى المستوى المطلوب، ولا علاقة لهذا الموضوع بالثوري وغير الثوري أو المتدين وغير المتدين. قال حاكم مدينة ما: «أنا أتناول التشلوكباب (الكباب والأرز) وأنجز مهامّي أيضاً بشكل جيد!» وبالمناسبة كان هذا الرجل حاكماً لقضاء يعجز معظم أهاليه عن شراء «اللحم» إلا بشق الأنفس فما بالك بالكباب!

حين يعيش إلى جانبك أناس مُعدَمون وتتناول أنت – الذي تتولى إدارتهم – مثل هذه الأطعمة، فلن يبقى عندك القدر الكافي من العقل والدهاء للتخطيط؛ والعمل من دون عقل وتدبير لا يجدي نفعاً في الإدارة! حين نقول للمسؤول: «لا تأكل بشراهة ولا ببذاءة، وتعامل مع الناس بكرامة» فهذه ليست نصيحة أخلاقية، أو نزاعاً سياسياً، بل هي مواضيع تخصصية في الإدارة! ولا يُعد هذا الكلام حتى موقف الثوريين! فماذا يريد الثوريون يا ترى؟ يريدون إدارة صالحة. بل لقد ثاروا أساساً لتحقق الإدارة الصالحة. وما هي الإدارة الصالحة؟ المبدأ الأول فيها هو صيانة عزة الإنسان وكرامته! ولقد باتت العلوم الإنسانية أيضاً تقترب شيئاً فشيئاً إلى موضوع الكرامة هذا.

لنمنع سماسرة السياسة من تحويل الأمور الإدارية والتخصصية إلى قضايا سياسية

ينبغي عدم السماح لبعض الساسة أو سماسرة السياسة أن يحوّلوا قضية إدارية وتخصصية إلى قضية سياسية دون مسوّغ! فمثلما يُعَد اتجاه إقلاع الطائرة من مدرج المطار قضية تقنية لا داعي لعرضها على الاستفتاء العام، تُعد الكثير من القضايا الإدارية التخصصية أيضاً كذلك. لكن بعض الجهلة – وأنا أعُدّهم سماسرة سياسة وليسوا سياسيين – قد سيَّسوا الكثير من القضايا، بينما هي قضايا تخصصية وإدارية وجوابها واضح. فهي ليست مما يقال فيه: «هناك مواقف عديدة تجاه هذه القضية، فاسمحوا لجميع الساسة أن يبدوا آراءهم حولها!» فأن يُبدي الساسة وجهة نظرهم حول القضايا العلمية والتقنية لا محل له من الإعراب. والأكثر حماقة من ذلك هو أن يُقال: «يجب أن نعرض هذه القضية على الاستفتاء العام!» بينما هي قضية تخصصية! فهل تريدون تضليل الشعب؟! هذا أشبه بأن يصوّت الناس في حي من الأحياء على أنه: «مَن سيجري عملية جراحية على قلب المريض؟» لكن المتخصص في جراحة القلب هو من يجب أن يجري العملية على القلب المريض وليس من يصوّت له الناس! يمارس بعض السياسيين الدجل ويحوّل قضية إدارية تخصصية إلى قضية سياسية! فيمارس سياسات قذرة بهدف استغلال المجتمع، كأن يقوم باستقطاب المجتمع إلى فئتين!

لا بد من انتشال بعض القضايا من بين المواضيع السياسية ووضعها في خانة المواضيع التقنية

إحدى المواضيع التقنية في حقل الإدارة هي أن «الشفافية تؤدي إلى انخفاض الريع»، وقد صرّحت العلوم التجريبية بذلك، كما أن العلوم الدينية أيضاً، ولأسباب عديدة، تقرّ هذه العقلانية. لا بد من انتشال بعض القضايا من بين المواضيع السياسية ووضعها في خانة المواضيع التقنية. يقول البعض: «هذه الخطوة تعني حذف السياسة من ميدان إدارة المجتمع!» لكنها لا تعني ذلك، بل تعني حذف السياسة من المَواطِن التي ينبغي للعلم أن يبدي رأيه فيها، وليس سلطة السياسة. بل لا بد لسلطات السياسة أيضاً أن تكون في خدمة العلماء.

ولـكي لا يُسـمع هـذا الـكلام العلمـي في حقـل الإدارة، يتحـرك أصحـاب النهـج الــ»بي بي سي» الخبثـاء ويخلقـون أجـواء تعسّـفية في المجتمـع مـن خـلال تفريقـه إلى فئـات وأحـزاب. فهـم يخلقـون حالـة مـن الكبـت النفـسي ولا يدعـون أحـداً أبـداً يصغـي إلى أصـوات المنتقدين وآرائهـم الصائبة. العناصر السياسـية ينبغـي أن لا تحـوّل الموضـوع التقنـي الإداري إلى موضـوع سـياسي، بـل ولا ينبغـي أن تحولـه إلى موضـوع ثقـافي وأخلاقـي ودينـي وعقائـدي؛ فـما دخـل الموضـوع التقنـي الإداري بالديـن والعقيـدة والإيمـان؟! بـل لـو لم نكـن مسـلمين أيضـاً للاحظنـا أنّ «الشـفافية في بعـض البلـدان قـد أدت إلى انخفـاض نسـبة الريـع»، وهـذا الأمـر لا صلـة لـه بدينهـم وإيمانهـم، إنـه موضـوع إداري. إن بعـض المواضيـع ليسـت سياسـية أساسـاً، فيجـب عـلى أربـاب الفكـر في المجتمـع أن يسـاعدوا في انتشـال هـذه المواضيـع مـن بـين المواضيع السياسـية، ومناقشـتها علميـاً وتقنيـاً، وأن لا يدعوهـا تقع في أيدي سـماسرة السياسـة فيخدعـوا بها الناس.

في المنزل غالباً ما تُستبدل بالكرامة المحبة

كـما أشرنـا سـابقاً، إن المبـدأ الأول في الإدارة هـو صـون الكرامـة والعـزة! سـواء كرامـة الشـخص الواحـد وعزتـه، أو كرامـة أفـراد الأسرة وعزتهـم. في المنـزل غالبـاً مـا تُسـتبدَل بالكرامـة المحبـةُ. الحـب هـو المبـدأ الثـاني الـذي سـنتطرق إليـه لاحقـاً، فـلا ينبغـي أن نسـتبدل بالكرامـة المحبـة. كيـف تُترجَـم الكرامـة؟ مـن خـلال التـزام الأدب ومراعـاة الحقـوق. وكيـف تتجـلّى المحبـة؟ بالدمـوع والشـفقة والتضحيـة والفرحـة باللقـاء وكلـمات الحـب و... الأدب هـو مـؤشّر للاحـترام الـذي نكّنـه للأشـخاص، فينبغـي أن يلتـزم الأشـخاص الأدبَ داخـل الأسرة أولاً، وكثـيراً مـا لا يلتزمـون بـه؛ عـلى سـبيل المثـال، يريـد والـد إصلاح سـلوك ولـده، لكنـه يربّيـه دون مراعـاة الأدب. وهنـاك أنـواع مختلفـة لسـوء الأدب هـذا؛ كأن تـسيء الأم الأدبَ مـع الأب مـن أجـل ولدهـا! أو قـد يـسيء الأب الأدبَ مـع الأم أمـام الأولاد بسـبب قضيـة أزعجتـه.

المدير الكريم كيف يمارس الإدارة؟

لنُعـرّج الآن عـلى موضـوع الإدارة في المجتمـع. تحدثـت في المجلـس السـابق عـن «المديـر السـيئ» وأشرت إلى نموذجـه البـارز في القـرآن الكريـم وهـو فرعـون. والآن لـنرَ كيـف يمارس المديـر الإدارة مـع الالتـزام بالــ«الكرامـة»؟ نلاحـظ في هـذا الدعاء المعروف: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْـكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ» أن «الكريمة» هي الصفـة الوحيـدة المذكـورة مـن بين جميع صفـات دولة صاحب العصر(عـج)، ولهذا الاختيـار معنى عميق.

منذ أن طُرِح موضوع البيروقراطية أو الدواوينية وأساليب إدارة المنظّمات بشكل جدي أدلى شخص يدعى ماكس فيبر بتصريحات، منها على سبيل المثال: «ينبغي إحلال الضوابط محل العلاقات». سنتحدث في المحاضرة التالية عن خطأ هذا الكلام، وأنّ «العلاقات الإنسانية ينبغي أن لا تُلغى» (وبالطبع لا نقصد بـ«العلاقات» تلك الصداقات والمحسوبيات الضيّقة أو التحزّب ضد الآخرين).

"أعضاء المنظمة فرداً فرداً" هم الأصل في الدولة الكريمة، وليس مصالح المنظمة فحسب

يرى ماكس فيبر أن: «الأصل هو مصالح المنظمة ولا بد أن يكون الأعضاء في خدمة هذه المصالح»، لكنّ رأي الدين أكثر عقلانية فهو يقول: «الأصل هم أعضاء المنظمة فرداً فرداً». بناء على ذلك، لا تهتم الدولة الكريمة بالبيروقراطية الشائعة. الدولة الكريمة تكنّ الاحترام حتى للمنافقين، وإن تعرضت أهداف الأمة الإسلامية إلى التشويه. إذا تصورتم المجتمع كمنظمة كبيرة وأردتم أن يتطوّر ويتقدّم، فإن الدولة الكريمة تقول: «احذروا من ارتفاع نسبة البطالة والتشرّد في عملية التطور الشامل للمجتمع». لكن البعض كان يصرّح علناً: «علينا أن نطوّر المجتمع ولو على حساب ظهور عدد من الفقراء، فلا أهمية لذلك. إذ نستطيع أن نتكفّل أمرهم بعد حين من خلال ضمان البطالة وأمثال ذلك». هذه هي الأفكار الليبرالية بعينها والتي لا نقبل بها، فنحن نقول: «عليك أن تبلغ بالمجتمع إلى ذلك المستوى من القدرة الاقتصادية بحيث ينهض كل فرد من أفراد المجتمع بدور ويمتهن مهنة، من خلال ريادة الأعمال ونظائرها، لتُصان بذلك عزة نفسه وكرامته». نعم قد تصان عزة نفس أفراد المجتمع وكرامتهم من خلال تأسيس التعاونيات أو الشركات المعرفية أو الشركات المساهمة والبورصة وأمثال ذلك. نحن لا نريد الحصول على الرفاهية بذلّة كما هو الحال في بعض الدول! اليوم يقوم البعض بالترويج لهذا الأمر؛ أي أن يكون المجتمع ذليلاً، يكثر فيه الأذلاء، لكن الاستثمار متوفر فيه واقتصاده يبدو مزدهراً بحسب الظاهر! تعساً لهذا الازدهار!

ينبغي للحكومة أن تتوّج اقتصاد الناس ونشاطاتهم المعيشية أيضاً بالكرامة والعزة

حين نتحدث عن «الدولة الكريمة» فهذا يعني أنها يجب أن تتوّج اقتصاد الناس ونشاطاتهم المعيشية أيضاً بالكرامة وعزة النفس، وينبغي أن تُصان العزة حتى في القرى والأرياف. لا بد أن نتوجه إلى الاقتصاد المحلي، ويجب أن تصان عزة جميع المناطق ولا تصبح بعض المناطق ضحية غيرها. لكن اليوم هناك مناطق مُعدَمة وهناك مناطق منعَّمة في بلادنا.

روي أن الإمام الصادق(ع) التقى بصاحبه ضُحىً (لنقل: حوالي الساعة العاشرة صباحاً) فقال له: احفظ عزّك! فقال الرجل: ما هو العز يا سيدي؟ فماذا حدث حتى تأمرني بأن أحفظ عزّتي؟ فأجابه الإمام(ع): لماذا لم تذهب إلى العمل؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ(ع) لِمَوْلًى لَهُ: «يَا عَبْدَ اللهِ احْفَظْ عِزَّكَ. قَالَ: وَمَا عِزِّي جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ: غُدُوُّكَ إِلَى سُوقِكَ وَإِكْرَامُكَ نَفْسَكَ» (تهذيب الأحكام/ ج٧/ ص٤). أي إنك، في الحقيقة، تُكْرم نفسك بمجرد ممارستك مهنتك. وفي رواية أخرى قال الإمام الصادق(ع) لأحد أصحابه: لماذا لم تصن عزتك؟ لِمَ لم تذهب اليوم صوب عزتك؟ «...مَا لِي أَرَاكَ تَرَكْتَ غُدُوَّكَ إِلَى عِزِّكَ! قَالَ: جَنَازَةٌ أَرَدْتُ أَنْ أَحْضَرَهَا. قَالَ: فَلَا تَدَعِ الرَّوَاحَ إِلَى عِزِّك» (تهذيب الأحكام/ ج٧/ ص٤). يتبين من كلام الإمام(ع) هذا أنّ قصْدَ محل العمل يساوي العزة والكرامة.

الحكومة التي توفر الأرضية للعمل تعزّ الناس/ الدولة الكريمة تقِيم لـ"ريادة الأعمال" وزناً

الحكومة التي توفر للناس فرص العمل والأرضية المناسبة لذلك فهي في الحقيقة تخلق العزة لهم. والآن هل يعد هذا الأسلوب مُجدياً اقتصاديا أم لا؟ يقول بعض الخبراء الاقتصاديين علناً: «لا تضيّع وقتك على الشعب! يجب أن تُثري المجتمع ولو عبر الاستثمارات الأجنبية والمصانع الكبرى وأمثال ذلك، وبعد ذلك سيحصل باقي الناس على مبلغ زهيد من صدقات هؤلاء، من قبيل أنواع ضمان البطالة، ...الخ». قد يوسوس هذا النمط من الأفكار للناسَ أحياناً، فيقول البعض: «حسناً، هذا الأمر ليس سيئاً! فإنهم سيعطوننا بعض المال، ولا يهم الباقي!» حينما تحدثنا عن إنتاج الثروة قصَدنا أن يكون هذا الإنتاج ملازماً لكرامة الناس وعزتهم، لا أن نكتسب ثروة مفاجئة ونكون عاطلين عن العمل! إن الدولة الكريمة هي الدولة التي تقِيم لـ»ريادة الأعمال» وزناً وتكون في خدمة روّاد الأعمال.

لماذا يجب أن يصنَّف بلدنا من أصعب البلدان في صعوبة إطلاق المشاريع التجارية؟

لماذا يجب أن يصنَّف بلدنا من أصعب البلدان في صعوبة إطلاق المشاريع التجارية؟ هذا يعني انعدام الكرامة. ماذا فعل البرلمان لهذا الغرض؟ الهاجس الأساسي عند الكثيرين هو أن يكون مديرو المجتمع نزيهين، لكن هاجسي أنا هو أن لا يكونوا عاجزين غير أكْفاء. فكل من المسؤولين اللصوص والمسؤولين الذين لا يعملون للشعب جيداً يجب أن يُحاكَموا. إن إحدى معاني الكرامة في إدارة المجتمع هي «توفير فرص العمل»، وكما قال سماحة السيد القائد حفظه الله: «إن الاقتصاد المقاوم مشروط بمشاركة الشعب الفعالة». ربما ينبغي - لتحقق هذا الأمر - أن يحصل في المصارف تحوُّل جذري فتصبح مجرد مؤسسات لحفظ الأموال، كما هي في الكثير من البلدان الأخرى.

ما هي الموانع أمام توفير فرص العمل والاستثمار والتعاونيات؟

اليوم يودع البعض أمواله في المصارف ويستلم إزاءها مبلغاً من الفوائد سنوياً. لكن إن أراد هذا الشخص أن يؤسس مصنعاً (مع أصحابه مثلاً) فما هي العراقيل الموجودة في طريقه؟ إحدى العراقيل هي أنه لا يثق بأصحابه في أن يجمعوا رساميلهم لتأسيس المصنع، بل إن الكثير من المتدينين لا يثقون ببعضهم البعض في هذه المجالات. أما العرقلة الثانية فهي أن الحكومة لا تدعم هذه الرساميل. نحن نفتقر مثلاً إلى آليات قانونية لدعم التعاونيات الحقيقية. فلا يستطيع الفرد أن يقول: «إن استثمرتُ أموالي في شركة تعاونية وخسرت بعد ذلك فستعوّض الحكومة خسارتي». لكن ماذا تفعل الحكومة الآن؟ على سبيل المثال يستلم شخص ما قرضاً من المصرف ويستورد به سيارات من الخارج، ثم يعلن الآن: «لا أملك ما أسدد به قرضي إلى المصرف!» فتقول الحكومة: «حسناً، بما أنه لا يملك مالاً، فلنمهله». نقول للحكومة: «كان من المفروض أن تتعاملوا بنفس هذا الصبر والإمهال مع بعض الشركات التعاونية التي عجزت عن تسديد قروضها، لا أن تصبروا فقط على استرجاع الأموال التي صُرفت على استيراد السيارات!»

"التنمية الاقتصادية المستقرة" لا تتحقق إلا بصيانة العزة الاقتصادية للجميع فرداً فرداً

التنمية الاقتصادية المستقرة لا تتحقق إلا بصيانة العزة الاقتصادية للجميع فرداً فرداً. فما هي النفسية التي يجب أن يتحلّى بها مديرو المجتمع لتحقيق ذلك؟ وما هي النفسية التي يجب أن يتصف بها نوّاب البرلمان؟ من المقرر اليوم أن تُعرض بعض المصانع الحكومية التي تواجه خسائر للبيع. لكن أحياناً يقال مثلاً: «أحد نواب البرلمان لا يسمح بذلك»، فنتساءل بدورنا: «لماذا لا يسمح؟ هذا إنجاز جيد، وستصبح مدينته عامرة، لأن القطاع الخاص سيدير المصنع بشكل أفضل بالتأكيد». فيقال: إن النائب الفلاني لا يسمح بذلك لأنه يدسّ رفاقه في هذا المصنع إن كان حكومياً، ...الخ، أما إذا تحول المصنع إلى القطاع الخاص فكيف يستطيع النائب المذكور أكل الريع؟ إنه يمارس نفوذه الاجتماعي من خلال هذا المصنع، ولذلك لن يسمح بتحويله إلى القطاع الخاص. أشخاص كهؤلاء ليسوا كرماء الشخصية ولا ينفعون للإدارة. فكيف ينبغي أن تكون نفسية المدير الصالح وقوام شخصيته؟ أولاً يجب أن يكون كالحَكم في مباراة كرة القدم. ثانياً يجب أن يكون كالمدرّب لفريق كرة القدم. ثالثاً يجب أن يكون كالمدير الداعم للفريق. فما من أحد من هؤلاء الأشخاص يسدد هدفاً بنفسه، بل يربي ويدرب اللاعبين ويدعمهم كي يتمكنوا من تسديد الأهداف. وينبغي أن يكون الحاكم، والمحافظ، ونائب البرلمان، والوزير أيضا كذلك. إنها نفسية ونهج!

جميع المشاكل الراهنة ناجمة عن ضعف الشخصية عند بعض مسؤولي البلاد

يقول بعض أصحاب المصانع: «تقول الحكومة: نحن لا نخصّص العملة الصعبة لأي عمل، بل نخصّصها فقط لاستيراد السلع الضرورية لتمشية عمل المصانع»، لكن حين نقف في طابور العملة الصعبة لاستيراد هذه السلع الضرورية ذاتها تواجهنا عراقيل عديدة ونشاهد أنفسنا أمام السماسرة، ونضطر إلى شراء العملة الصعبة منهم بأسعار أبهظ و... يجب أن يكون المسؤول الحكومي كالأب الشفيق، فيعيّن مندوباً لتقصي مشاكل أصحاب المصانع. الحكومة نفسها يجب أن تبعث وراء أصحاب المصانع وتسألهم عن احتياجاتهم الضرورية. وينبغي أن تعالج مشاكلهم وتهتم بها. لكن أي نوع من الشخصيات في وسعه أن يقوم بذلك؟ جميع المشاكل التي تشاهدونها ناجمة عن ضعف الشخصية عند بعض المسؤولين في البلاد. إن المشاكل الراهنة في بلادنا قابلة للحل في الواقع، ومصانعنا أيضاً مستعدة للتنمية. نحن بأنفسنا قادرون على خلق الازدهار الاقتصادي ولا علاقة لهذا الموضوع بالحظر المفروض علينا. لكن ماذا نحتاج لذلك؟ نحتاج إلى شخصية كريمة في مقام الإدارة التنفيذية للبلاد.

مفتاح اختيار "المسؤولين الكرماء" بيد الشعب، سواء لهيأة الوزراء أو للبرلمان

حسناً والآن كيف نحصل على المسؤولين الكرماء؟ أحد مفاتيح هذا الأمر بيد الشعب. انتخبوا نوّاباً من ذوي الشخصية الموقَّرة للبرلمان، ممن يكون هو من أهل الكرامة ويصون كرامة الناس أيضاً. المفتاح الآخر هو بيد الشعب أيضاً؛ فانتخبوا رئيساً كريماً وممن يضمن الكرامة للناس. كل سياسي يمارس الدجل في كلامه فهو ليس بكريم. عندما يتصرف أحد السياسيين بسلوك غير كريم ومتفرعن، فستبدأ قطع الدومينو بالتساقط من الأعلى وتنتهي بالفساد والرشوة والريع، بل وحتى الفساد الثقافي والسفور! أنا أتأسّف حقاً لبعض المتدينين وللحوزة العلمية لعدم انتقادهم مسؤولي المجتمع لسلوكهم المفتقر إلى الكرامة (والذي يعد سبب الكثير من المشاكل والمفاسد)، والاكتفاء بالاحتجاج على خفة الحجاب في الشوارع.

لماذا خالف بعض العلماء الثورة الدستورية (المشروطة)؟ لأنها تمهّد لاندساس الدجالين الإنجليز في إدارة البلاد

يقول آية الله بهجت(ره): «يا لذكاء بعض الأفراد، ورؤيته المستقبلية! فما إن طُرحت «الحركة الدستورية» حتى قال: يريد هؤلاء إشاعة السفور في البلاد! فمع أنه لم يكن للحركة الدستورية صلة بالحجاب لا من قريب ولا من بعيد، لكنّ بعض علماء تلك الحقبة قال ذلك. وقد رأيتم كيف أن رضا خان جاء بعد سنوات قليلة من الثورة الدستورية وأشاع السفور في البلاد».

ولقد كرر الشيخ بهجت(ره) هذا الموضوع بضع مرات بتعابير مختلفة قائلاً: كيف استطاع أولئك العلماء فهم هذه القضية؟ وبالطبع إن «الثورة الدستورية» جيدة من بعض الجوانب؛ إذ يُنتخب عددٌ من النواب للبرلمان ويتم تدوين الدستور وتصبح الملكية مشروطة. إذاً الدستورية جيدة في الظاهر، فلِمَ انتقدتها تلك الكوكبة من العلماء؟ انتقدوها لأنها تفسح المجال لحضور دجّالي السياسة ومُندَسّي بريطانيا في إدارة البلاد، وهذا يعني الفساد في نهاية المطاف! يقدم آية الله بهجت(ره) مثالاً آخر حول هذا الموضوع ويقول: ما إن قرروا البدء بالحركة الدستورية حتى قال الشيخ فضل الله النوري: هؤلاء سيقضون على رجال الدين! فقالوا له: إن رجال الدين هم الذين وقّعوا على الحركة الدستورية، كالآخوند الخراساني! يقول سماحة الشيخ بهجت(ره): كان الشيخ فضل الله النوري ذكياً ولذلك أصاب في فهمه للموضوع. فبعد سنوات قليلة باتوا يعدمون علماء الدين واحداً تلو الآخر، وكان أولهم الشيخ فضل الله النوري نفسه!

إن لم يتصرف السياسيون بكرامة فسيبدأ دومينو الفساد في المجتمع

ينبغي أن يكون الساسة ومديرو المجتمع «كرماء». وسنتكلم عن مؤشر هذه الكرامة في المبدأ الآخر للإدارة. فإن لم يكن السياسي كريماً ولم يتعامل بكرامة؛ كأن ينطق بالتفاهات ويتكلم باستخفاف واستهزاء، ...الخ، فسيبدأ تساقط قطع الدومينو ويُعَد الفساد الاقتصادي وإغلاق المصانع إحدى هذه القطع! والقطعة الأخرى هي ارتفاع معدلات الطلاق! لكن إدراك العلاقة بين هذه القضايا يحتاج إلى فهم عميق. روي عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال في عهده إلى مالك الأشتر: «وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا« (نهج البلاغة/ الكتاب ٥٣). يقول الإمام(ع): إن سواد الشعب هم عماد الدين وقوة الأمة الإسلامية والإسلام، فليكن قلبك معهم، ومن سيكون أبعد الناس عنك؟ ومَن الذي يجب أن تمقته أكثر من الآخرين باعتبارك مديراً؟ الذي يشي بعيوب الناس عندك! فعلى الرغم من أن هؤلاء الناس هم عمود خيمة الدين وسندها، فإن لهم معايب أيضاً. مَن الذي يجب أن يستر عيوبهم؟ إنه والي المجتمع، فلا ينبغي أن تفضح هذه العيوب! ثم يقول(ع): «فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ«، أي عليك أن تستر كل عيب يظهر لك! (وهنا يُطرح هذا السؤال: حسناً، إن أُخفِيَت هذه العيوب عني فسيتآمرون عليّ!) أي: إن كان تعاملك مع الآخرين بشكل يحول دون أن يذكر أحد عيوب الآخرين عندك، وقطعتَ لسان الهمّازين واللمّازين المعسول لشدة معاملتك الكريمة، فستبقى أمورٌ مخفية عنك بطبيعة الحال! لكن الإمام(ع) يقول: »وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ«، ففوّض أمرهم إلى الله عز وجلّ، وهو سيجازيهم.

روي عن النبي(ص): كان بوسعي أن أعرفكم بالمنافقين لكني عاملتهم بكرامة!

نادى رسول الله(ص) في خطبة الغدير: «سَأَلْتُ جَبْرَئِيلَ أَنْ يَسْتَعْفِيَ لِي عَنْ تَبْلِيغِ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لِعِلْمِي بِقِلَّةِ الْمُتَّقِينَ وَكَثْرَةِ الْمُنَافِقِينَ وَإِدْغَالِ الْآثِمِينَ وَخَتْلِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالْإِسْلَامِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ» (الاحتجاج/ ج١/ ص٥٩)، أي إني سألت جبرئيل أن يعفيني عن إبلاغ ولاية علي بن أبي طالب(ع) لكم، لكثرة المنافقين وقلّة المتّقين. ثم قال(ص): ثمة أشخاص لن يسمحوا لعلي(ع) بالجلوس على مسند الحكم. ثم قال(ص):» وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ بِأَسْمَائِهِمْ لَسَمَّيْتُ - وَأَنْ أُومِيَ إِلَيْهِمْ بِأَعْيَانِهِمْ لَأَوْمَأْتُ وَأَنْ أَدُلَّ عَلَيْهِمْ لَدَلَلْتُ وَلَكِنِّي وَاللهِ فِي أُمُورِهِمْ قَدْ تَكَرَّمْتُ». أي إني كنت أستطيع أن أدلّكم على المنافقين بين الناس في نفس الوقت، وكنت أستطيع أن أبيّن سبب ذلك أيضاً وأوضّح للجميع من هو المنافق، لكني والله تعاملت [معهم] بكرامة!

لم يتعامل بعض المسؤولين بكرامة، لا أثناء الانتخابات ولا بعدها!

لم يتعامل بعض المسؤولين بكرامة، لا أثناء الانتخابات ولا بعدها! فلم يكتفِ باستقطاب المجتمع إلى فئتين كما هو دأب أشباه الفراعنة، ولم يكتفِ بمحاولاته لإظهار العيوب، بل قام بأمر أعظم وهو توجيه التُهَم! إذ قال: «إن هؤلاء يريدون تشييد جدار[فاصل بين الجنسين]»، بينما لم يكن أحد يريد تشييد جدار. كما أنه راح يستهزئ، هذا والكريم لا يستهزئ أبداً! لا يتحسن اقتصاد البلاد بهذه التصرفات غير الكريمة، ولا تصلح الثقافة أيضاً، وسيزداد أكل الريع كذلك! كما أننا نفتقر إلى مجلس صيانة دستور يعمد، كما يفعل الحَكَم أثناء مباراة كرة القدم، إلى شهر البطاقة الحمراء! لا أدري هل نفتقر إلى مثل هذا القانون أو إنه موجود لكننا لا ننفذه؟ والبعض أيضاً تحت لواء الثورة والثورية لا يتعامل بكرامة. فليس من المقرر أن نلقي القبض على اللصوص من خلال أساليب غير كريمة! لو كان الأمر كذلك لما كان إصلاح الأمور على هذا القدر من الصعوبة ولما استغرق كل هذه المدة! حتى أمير المؤمنين(ع) لو كان يريد أن يتعامل بأسلوب غير كريم لكان قد تمكن من إصلاح الأمور بسهولة! فقد روي عنه(ع): »وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي يُصْلِحُكُمْ هُوَ السَّيْفُ» (الإرشاد للمفيد/ ج١/ ص٢٨١)؛ (وبالطبع لم يكن يقصد أن يضرب أعناق جميع الناس، بل كان يكفي أن يضرب أعناق قليل منهم). ثم قال(ع): »وَمَا كُنْتُ مُتَحَرِّياً صَلَاحَكُمْ بِفَسَادِ نَفْسِي»؛ فلا أقوم بإفساد نفسي لإصلاحكم، «وَلَكِنْ سَيُسَلَّطُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي سُلْطَانٌ صَعْبٌ لَا يُوَقِّرُ كَبِيرَكُمْ وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ وَلَا يُكْرِمُ عَالِمَكُمْ»؛ أي سيتسلط عليكم بعد أمد قصير أناس لا يصونون حرمتكم وكرامتكم وسترون كيف سيحكمونكم بحد السيف...

اليوم يمارس بعض أشباه الفراعنة التعسّف من خلال "العمليات النفسية"

في عصرنا الحاضر لا يوجد من أشباه الفراعنة مَن يتغطرس بالسيف، بيد أن هناك منهم مَن يمارس الغطرسة من خلال الحرب النفسية. فإن شاهدتم سياسياً يمارس العمليات النفسية فاعلموا أنه إنسان شرير! لكن لماذا نهتم بموضوع «اللسان» إلى هذه الدرجة؟ يقول تعالى في آية كريمة: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَديداً» (الأحزاب/٧٠). يُقال إن رسول الله(ص) كان يتلو هذه الآية القرآنية الكريمة في خطبة صلاة الجمعة أسبوعياً، وهذا يعني أنها آية مفتاحية ومهمة. إذا صُنّا الكرامة وعزة النفس في إدارة المجتمع فسيغدو المشهد السياسي جميلاً وستستقيم أدبيات السياسيين وتصرفاتهم، وستصبح أساليب ريادة الأعمال للشباب رائعة أيضاً. منذ عدة سنوات والسيد القائد حفظه الله، في لقائه مع أعضاء مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية في أسبوع الدولة، يؤكد بلهجة أبوية مشفقة على أنه: «شجِّعوا روّاد الأعمال». إن شخصية المدير في المجتمع الإسلامي هي شخصية مميزة، فهذا المدير يحترم شخصيات أفراد المجتمع جميعاً. فقد كان رسول الله(ص) يجالس الوضيع من الناس دون أن يستهزئ بأحد منهم، والحال كان بينهم من المنافقين والمعارضين له(ص) أيضاً. فقد كان يعاملهم باحترام بالغ بحيث لا يخطر ببال الآخرين أبداً أن في أحدهم مثلبة. كان أسلوب الرسول(ص) [في الإدارة] هو أن يميّز الناس بأنفسهم الشخصَ ذا العيب (أي الذي في قلبه مرض) ويعرفونه.

الذي لا يصون عزة منافسه في الانتخابات ليس مؤهلاً للإدارة ويجب أن يتنحى عنها

كان هذا أسلوب رسول الله(ص). أما في مجتمعنا اليوم، للأسف، فماذا يصنعون إذا وقعوا على مَثلبَة في أحد؟ لو تركتَهم لحزّوا رؤوس بعضهم البعض، بل إن وسائل الإعلام ذات النهج الـ»بي بي سي» الخبيثة أساساً ترى هذا العمل [التشهير بعيوب الآخرين] من وظائفها الإعلامية والمهنية! مُدّعين أن هذا هو أسلوب العمل المحترف في الإعلام! أي إنهم يعُدّون هذا التصرف احترافاً في المهنة، ولا يوجد من ينهى عن المنكر! بل هناك مَن يمارس هذه الأساليب أيضاً تحت لواء التدين والثورية. هذه هي مبادئ الإدارة؛ فينبغي أن تتلازم الإدارة مع الكرامة وصيانة عزة الأشخاص. فإن رأيتم أحداً لم يحافظ على كرامة منافسه في الانتخابات فهو غير صالح وينبغي أن يغادر الساحة ويُحذف من أجواء المنافسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٩)

عليرضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: محرم ۱۴۴۱

المكان: طهران، جامعة الإمام الصادق(ع)

الموضوع: الاستعداد للظهور،

إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ٩)

التاريخ: ٨/ محرم / ١٤٤١ – ٨/ ٩/ ٢٠١٩

المبدأ الثاني في الإدارة هو "المحبة وخَلق الوفاق"/ يجب على السياسي أن يخلق الوفاق في المجتمع لا أن يبث الشقاق!/ من يريد التحكّم بنفسه عليه أن يحبها أولاً/ الويل للوالدين اللذين لا يثبتان لطفلهما في السنين السبع الأولى من عمره أنهما "يحبانه"!

أيها الآباء المحترمون والأمهات المحترمات! إن الأطفال يدركون "الإمامة" من نمط سلوككم، يفهمون أن الإمام رحيم من نمط رحمة الأم، ويستوعبون أن الله رحيم من نمط رحمة الأم، فيحسنون الظن بالله.

الالتزام بمبدأ العزة والكرامة في الإدارة مُكلِف، وينبغي أن ندفع ثمنه

المبدأ الأول في الإدارة هو صيانة العزة والكرامة. وتكمن أهمية هذا المبدأ في أنّه مُكلِف، وعلينا أن ندفع ثمنه. فما معنى قولنا بأنه «مُكلِف»؟ معناه أنك إذا أردتَ أن تسوسَ أيَّ شخص، أي تديره – كأفراد أسرتك مثلاً – مع الالتزام بصيانة عزته وكرامته فسيجعلك هذا الالتزام، أولاً، تتأخّر في بلوغ أهدافك. ثانياً ستتضرر بأضرار لربّما لا يمكن إصلاحها بحسب الظاهر. وثالثاً قد يؤدي ذلك إلى التأخير في تغيير سلوك من هم تحت إدارتك. نحن نقول: «لا بأس، سندفع ثمن هذه الأمور الثلاثة». لكن هذا الكلام ليس مقبولاً في علم الإدارة كثيراً، بل إن بعض أساتذة هذا العلم لا يراها تستحق الاهتمام أصلاً! نحن أيضاً لا نريد استعراض علم الإدارة في بحثنا هذا، بل نريد طرح بعض الملاحظات التي إما أن تُعَد من نقائص علم الإدارة، أو أنها قد تعرضت للإهمال الشديد في المجتمع حتى وإن عُدت من هذا العلم. بعبارة أخرى: نحن لا نطرح القضايا التي يعرفها الجميع ويطبقها. ما معنى قولنا: إنّ الالتزام بمبدأ الكرامة مُكلِف؟ معناه أنك إن عامَلتَ - على سبيل المثال - موظفك أو أفراد أسرتك باحترام فقد يسيؤون استغلال معاملتك. أو قد تتأخر في الوصول إلى النتيجة المرجوة؛ كأن يتأخر الطالب في الاقتناع بضرورة الدراسة، والخ. لكن لا ضير في ذلك، دعه يتأخر في الدراسة، لكنه إن قرر أن يدرس يوماً ما فسيكون هو من يدرس بإرادته وبحفظ كرامته.

الإدارة الامتحانية إدارة فاشلة

إن دائرة الشواهد لهذا الموضوع واسعة ومنوعة جداً. فعلى سبيل المثال أنا أرى الامتحانات المعتمَدة في نظام التربية والتعليم؛ أي الامتحانات الفصلية المعتمِدة على المحفوظات والعلامات - أراها إهانة لشخصية الطالب. وليس هذا بموضوع مبدئي أو أخلاقي، بل هو موضوع واقعي وديني. يقال في علم النفس: «إذا حدّدتُم مكافأة وعقاباً للامتحان فسيعجز التلميذ عن التفكير السليم وحل المسألة». لكن حين تقول له: «باشر بحل المسألة بنفسك، فأنا لن أعطيك أي علامة، ولن أشجعك، ولن أعاقبك أيضاً»، فسيفكر في حلها بشكل أفضل. إذاً الإدارة الامتحانية إدارة فاشلة، وهذا الكلام يعد كلاماً دينياً.

كان البعض سابقاً يتكلم بكلام فارغ إذ يقول: «هذا رأي ديني ومبدئي...وذاك رأي عقلاني!» بينما العقل أيضاً يتكلم بكلام الدين نفسه، والدين والعقل أساساً حقيقة واحدة ولا فرق بينهما. اليوم أيضاً بعض التيارات التي أسمّيها أنا «الدجل السياسي» تقوم بخلق الاستقطاب الثنائي، كأن تقول: «هؤلاء مبدئيون، أما نحن فواقعيون!» هذا كذب وافتراء! فإن كان «المبدئي» يعني «الديني»، فالدين أيضاً يقول: «كن واقعياً!» إذا كان قوام الشخصية الفكرية لبعض السياسيين مبنياً على الكذب والافتراء على الآخرين فلماذا يُسمح لهم بالوجود في الساحة السياسية؟

لو كنا دعونا إلى الدين وفقاً للنهج القرآني لكان الإلحاد بين الناس اليوم جهلاً

لا بد أن ندعو إلى الدين بأسلوب يجعل الناس يقولون للاديني: «أأنت جاهل لتكون لادينياً؟» لكن أينظر الناس اليوم إلى الإلحاد على أنه جهل؟ أبداً! هذا يعني أننا لم نبلّغ الدين وفقاً للقرآن، بل بلّغناه بأدبيات خاطئة. ويعني ضعف الحوزة العلمية في تعليم الدين. هذا وقد قال تعالى: مَن الذي يجحد بالدين إلا الإنسان الجاهل؟! «وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» (البقرة/١٣٠). لكن الناس اليوم لا يعُدّون الإلحاد معادلاً للسَفَه، ولا يرون التديّن مساوياً للدهاء والتعقل. وشهر محرم هذا هو، في الحقيقة، موعد لضمان مصالح الأمة وتطبيق العقلانية في إدارة المجتمع. فالإمام الحسين(ع) إنما جاد بنفسه الزكية لكي يُساس المجتمع بعقلانية، فلم تكن المشكلة عدم إقامة الصلاة! فلا صلاته كانت تزعج أحداً، ولا أنه نهض ضد ترك الصلاة! فأنتم تعلمون أن الشمر أيضاً كان يصلّي! إن المسجد الجيد هو الذي يوفّر للشباب فرص العمل وأسباب ريادة الأعمال، وهو الذي يغني الشباب من الجانب المِهَني بحيث تتكون لديهم قابلية جني الأموال. فإن البطالة وعدم الاشتغال بمهنة، تساوي الذلة، والإسلام لا يرضى بذلك، وإن الاستقلال الاقتصادي يعادل عزة النفس، وهذه العزة هي بداية نمو الفرد والأمة وازدهارهما، والدين أيضاً يرمي إلى ذلك.

الحجاب قضية عقلانية وليس مجرد قضية مبدئية!/ خلق الاستقطاب الثنائي "المبدئي والعقلاني" ضرب من الدجل

الحجاب أيضاً قضية عقلانية. على سبيل المثال لو ضغط أحد على منبّه سيارته أمام المستشفى لدقائق، سيعترض عليه الناس بقولهم: «لماذا تزعج المرضى وتحطّم أعصابهم؟» وهذا يعني أن الناس سيمنعونه من ممارسة هذا العمل باعتباره سلوكاً اجتماعياً خاطئاً.

السفور أيضا لا يعني سوى تضييع حقوق الآخرين وإيذاء النفوس. لكن الأدبيات الدينية الشائعة في مجتمعنا لم ترسّخ هذا المفهوم في أذهان الناس، وبالنتيجة يقوم بعض السياسيين الدجالين باستغلال هذه القضية. إن خلق الاستقطاب الثنائي «المبدئي - العقلاني» ليس إلا دجلاً، لأن الدين ليس إلا العقلانية. والعقلانية أيضاً هي في توفير المصالح القصيرة والبعيدة الأمد.

الإدارة الكريمة تتكلل بنجاح أكبر في المدى البعيد

إن ما نقوله عن صيانة كرامة الأشخاص لدى ممارسة الإدارة ليس موضوعاً أخلاقياً، بل هو موضوع إداري؛ لأن هذه الإدارة الكريمة ستتكلل بالنجاح أكثر في المدى البعيد. على سبيل المثال، في الأمد القصير قد يطيعك الكادر الذي تحت إدارتك إن أنت شتمتَه وأهنتَه وتسير أمور المنظمة، أما في الأمد البعيد فستصاب المنظمة (أو المجتمع) بالشلل ويزداد فيها اللصوص! كلما زاد احترامك لأعضاء منظمتك أو أفراد مجتمعك ستجني نتائج أفضل، لكن بتأخير أكثر بالطبع! بعبارة أخرى: ستكون نتائج الإدارة الكريمة جيدة في المدى البعيد، وعادة لا تحصل هذه النتائج في المدى القريب. كما أن الاستغلاليين موجودون في كل مكان، وسيتأذى المدير الذي يريد التعامل بكرامة، فينبغي أن تزداد سعة صدره.

بعض نوّاب البرلمان أهان الشعب في توضيحه لأسباب عدم شفافية الأصوات

فيما يتعلق بموضوع الشفافية، لماذا نهيتُ عن المنكر بهذه الشدة؟ إن شفافية أصوات مجلس الشورى أمر عقلاني تماماً وسيتحقق، وإن كان النواب الحاليّون غير مؤهلين لذلك فستكون المجموعة القادمة مجبَرة عليه. بيد أن صرختي كانت بسبب الإهانات التي وجّهها للشعب بعض أعضاء هيئة البرلمان الرئاسية في توضيحهم لأسباب عدم شفافية الأصوات. ومن ضمن هذه الإهانات قولهم: «لم يبلغ الشعب النضج الكافي بعد!» هذه إهانة للشعب. وإحدى الإهانات الأخرى كانت تقسيم الشعب إلى جماعات الضغط! ألا يُعد اتهام الشعب باسم «جماعة الضغط» وتقسيمه إلى شِيَع وفِرَق إهانة له؟! ومن الإهانات الأخرى قولهم: «لو أعلنّا عن أصواتنا فلن يسمح لنا مجلس صيانة الدستور بالترشيح لنيابة البرلمان مرة أخرى!» أفلا تُعَد إهانة مجلس صيانة الدستور إهانة لكيان أعلى منكم يشرف عليكم لكي لا تصوتّوا على قانون ينافي الدين؟! وهل من غير البأس، يا ترى، أن يهين نواب البرلمان منتقديهم؟!

المفاسد المالية ناجمة عن التصريحات والأصوات المُسيَّسة للمسؤولين وإن كانوا نزهاء/ الرؤية اللاعقلانية تؤدي إلى الفشل في الإدارة

يقولون: «المطالِبون بالشفافية لهم أهداف سياسية». ألا يُعد هذا الكلام إهانة للشعب؟! ويزعمون: «أن الشفافية تتعلق بالقضايا المالية لا بقضية التصويت!» بالمناسبة، إن جميع المفاسد المالية ناجمة عن الأفكار والأصوات والتصريحات المُسيَّسة للمسؤولين، وإن كانوا نزهاء. على سبيل المثال، كان الخوارج الزاهدون أنفسُهم نزهاء، لكنهم ثاروا ضد العدالة فأضعفوا العدالة العلوية، وهيأوا الأرضية لآكلي الريع الخبثاء. فأي نوع من الخروج المشابه للنهج الخوارجي، كذاك الذي حدث في فتنة العام ٢٠٠٩م سيؤدي إلى ظهور أنواع المفاسد والريع والمآسي الكثيرة في الداخل، وكثافة المآسي والهجمات من الخارج. فهل يُعَد هذا الكلام مجرد رأي ديني وثوري، أم هو كلام عقلاني؟ إنه كلام عقلاني تماماً! حين تقوم بزعزعة أركان النظام الإسلامي ستعجز مئة سلطة قضائية عن السيطرة على أكل الريع واحتواء الأمر. إن الرؤية اللاعقلانية تؤدي إلى الفشل في الإدارة!

ثاني مبادئ الإدارة هو "الحب وخَلق الوفاق"/ على السياسي أن يخلق الوفاق في المجتمع لا أن يبث الشقاق!

ما هو المبدأ الآخر الذي يسود الإدارة؟ إنه الحب وخَلق الوفاق. فمن المفروض أن يتمكن المسؤول والسياسي من خلق الوفاق لا أن يبث الشقاق! على مسؤولي البلاد أن يخلقوا في المجتمع روح الوفاق والوئام، لا أن يمزّقوه. بل إن كان المجتمع ممزَّقاً أصلاً يتحتم عليك، كمسؤول، أن تقول: «كلا ليس الأمر هكذا.. ستتحسن الأوضاع إن شاء الله؛ فلا هذا يقصد سوءاً، ولا ذاك...». أما اليوم فحتى لو لم يكن في نية المرء سوء اتّهموه بسوء النية! فما أسوأها من آداب هذي التي تشاهد بين الحين والآخر من بثّ الاختلافات وإثارة الفتن وما إليها! على مجلس صيانة الدستور أن يدرس ملف المرشّح ولا يصادق على أهلية المتورّط بأمور من مثل تمزيق الشعب، واستعمال تعابير الاستقطاب الثنائي السخيفة، وممارسة الحرب النفسية، وأمثال ذلك، حتى لا يحتلوا المناصب العليا في البلاد! يجب على السياسي أن يتصرّف بما يحبّبُه إلى الجماهير، لا بما يجعله مقبولاً ويُكسِبه الأصوات فحسب. فالرئيس الحالي حصد ٢٤ مليون صوتاً في الانتخابات، وهذا مؤشر على مقبوليّته، لا دليل على محبوبيته؛ ذلك أن الغالبية العظمى من الشعب لم تُصغِ إليه حين طالبها بالعزوف طواعية عن التسجيل على الإعانات الحكومية!

لا ينال "الشعبية" إلا المدير المحب هو للناس

نحـن نطمـح إلى أن يكـون رئيـس الجمهوريـة محبوباً في مجتمـع يعيـش أجـواء سياسـية سـليمة. وهكذا تكـون الدولـة المهدويـة؛ وهـي أن يكون سـلوك المدير أو المسـؤول فيهـا وكلامه مما يجعل النـاس يحبونه! وسـترون بعد ظهور الإمام(عج) إن شـاء الله أن هناك فجوة مليارية بين شـعبية وُلاة الإمام(ع) والمقبوليات المعـاصرة المؤطَّرة بالديمقراطيـة! ولمـن تتحقـق هـذه الشـعبية؟ لمـن كان هو أيضـاً محباً للنـاس! كما كان رسـول اللـه(ص)؛ حيـث يقول فيـه تعالى: «حَرِيـصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنيـنَ رَؤُفٌ رَحيـمٌ» (التوبـة/١٢٨). ومن يسـتطيع أن يكـون محبـاً للنـاس؟ مـن كان كالشـهيد جمـران الـذي أسـس ميتـماً في لبنـان وقـال لزوجته: «لـن نـأكل بعـد الآن طعامـاً يختلـف عـن طعـام أيتـام الميتـم، بـل سـنأكل طعـام الفقـراء كـما يأكلـون».

لا تنجح الإدارة من دون المحبة/ مجال الإدارة هو مجال الحب

حسـناً، مـاذا سـيحصل إن افتُقـدت هـذه المحبـة؟ إذا جُـرّدت الإدارة مـن المحبـة فلـن تنجـح! يقـول البعـض فيـما يتعلـق بمواضيـع الإدارة: «دعـوا المحبـة جانبـاً! نحـن نسـعى لإحـلال الضوابـط محـل العلاقـات، ولـولا ذلـك ستسـود المحسـوبية!» وهـذا الـكلام خاطـئ! فـإن كانـت المحسـوبية بمعنـى «أن يمُـد المديـر أواصر الصداقـة مـع النـاس قاطبـة ولا يغـدُر بأصدقائـه هـؤلاء»، فهـذا أمـر جيـد! فليـس مـن المـروءة في شِـيَم الصداقـة أن تنـامَ شـبعان وصديقـك جائـع. فـإن رأى النـاس المسؤولَ عـلى جانـب مـن الـوداد والصداقـة معهـم مـا يجعلـه يمتنـع عـن الطعـام إن رأى جائعـاً فسـيتعاونون معـه لتسـيير أمـور المنظمـة أو المجتمـع! إذاً الصداقـة في الإدارة بهـذا المعنـى ليسـت أمـراً سـيئاً، بـل هـي رائعـة أيضـاً، فلـماذا نضعهـا في الإدارة جانبـاً ونُحِـلّ القواعـد محلهـا؟! جـاء في روايـة شريفـة: «سَـيِّدُ الْقَـوْمِ خَادِمُهُـمْ» (مـن لا يحـضره الفقيـه/ ج٤/ ص٣٧٨). فـإن رأى النـاس شـخصاً يخدمهـم بـكل صـدق وإخـلاص وهـو صبـور فسـيحبونه! إن مجـال الإدارة هـو مجـال الحـب؛ تمامـاً كالأسرة التـي تُعـد موطـن الحـب ويعـبّر القـرآن عـن ذلـك بهـذه الآيـة الشريفـة: «وَجَعَـلَ بَيْنَكُـمْ مَـوَدَّةً وَرَحْمَـةً» (الـروم/٢١). الأسرة ليسـت مكانـاً لأن يأخـذ كل واحـد حقـه مـن الآخـر بالقـوة! فليـس مـن الممكـن العيـش بهـذه الطريقـة.

لإصلاح نفسك و"إدارة ذاتك" لا بد أن تحب نفسك!

لإصـلاح النفـس و»إدارة الـذات» أيضـاً لا بـد أن يحـب المـرء نفسـه. فينبغـي أن تحب نفسـك إلى درجة لا تضيعهـا هبـاءً ولا تسـمح للعـدو بالهجـوم عليـك وتوجيه الضربـة إليك. انظـروا كيف يربّينا اللـه عزّ وجل حيث يقول: «إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً» (فاطر/٦)، أي كن صديق نفسك وقف بوجه عدوك! فمـن وقـف بـدون درع ورادع أمـام عـدوه ولم يضربـه ولم يرصـد حركاتـه فهـذا يعني أنه لا يحب نفسـه!

أحبب نفسك. فقد روي عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال لأهل الكوفة: أنا لم أفعل شيئاً لأجلكم، فما فعلته كان لأجل نفسي! لأني أريد إنقاذ نفسي يوم القيامة؛ «قالَ عَلِيٌّ(ع) يَوماً: ما أحسَنتُ إلى أحَدٍ قَطُّ! فَرَفَعَ النّاسُ رُؤوسَهُم تَعَجُّباً، فَقَرَأَ: إنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها» (نثر الدرّ/ ج١/ ص٢٩٣).

المؤمن محب لنفسه والله يحب ذلك

إن المؤمن في الحقيقة محب لنفسه والله تعالى يحب أن يكون الإنسان محباً للمواهب التي وهبها الله له. روي عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال: «رَحِمَ اللهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَه» (غررالحكم/٥٢٠٤). إن من البلايا الإلهية هي أن ينسى الإنسان نفسه! قال تعالى: «نَسُوا اللهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ» (الحشر/١٩). فإن نسيَ الإنسان نفسه، لم يَعُد يفعل شيئاً لمصلحته، بل سيُلحق الضرر بنفسه ولا يهمّه ذلك! فحين يرتكب المعصية، مثلاً، لا يتوب، وحين يسيء إلى نفسه لا يقول: «ظلمتُ نفسي». بل إن إحدى مواعظ أولياء الله لنا هي هذه العبارة: «يا لشدة قسوتك على نفسك! ما الذي جعلك قاسياً على نفسك؟»... في الآونة الأخيرة أيضاً زاد الاهتمام في علم النفس بمفهوم «الشفقة» وأن عليك أن تحب نفسك. فلا ينبغي أن تلوم نفسك كثيراً وتقابلها بالكلام السلبي! وانظر إلى الجوانب الإيجابية في ذاتك! فلا ينبغي لأي أحد أن يحط من شأن نفسه. فإن الله سبحانه الذي يؤكد على التوبة إلى هذه الدرجة يريد في الحقيقة أن يقول لك: «هلُمَّ إليّ وتُب في رحابي وسأهبك شعوراً إيجابياً»، لا أن تنطوي على نفسك في وحدتك لتصاب بالماليخوليا!

من يعلم أنه عزيز عند الله فسيُكثِر من التوبة

لا بد أن يكون الإنسان إيجابياً تجاه نفسه وأن يحب ذاته. فمن القبيح جداً أن يقول المرء: «أنا إنسان تعيس، أنا قمامة، ولا فائدة ترجى مني أبداً، بل من غير المعلوم أبداً لماذا أنا على قيد الحياة؟ و...». ما هذه التُرّهات التي تتفوّه بها؟ لماذا تهين نفسك؟! أنت عزيز عند الله. مَن ذا الذي يُكثِر من التوبة؟ الذي يعلم أنه عزيز عند الله. لاحظوا الرسائل التي يبعثها الله إلى المذنبين! كأن يقول: لا تحزن.. صحيح أن فيك معايب وأنك قد اقترفت ذنوباً، لكن لا يحق لأحد أن يغتابك ويريق ماء وجهك! ولذلك جاء في الرواية الشريفة: «الْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا» (الخصال/ ج١/ ص٦٣).

لماذا عليك أن تحب نفسك في عملية إدارة الذات؟/ هل الأنانية سيئة؟!

لماذا عليك أن تحب نفسك في عملية إدارة الذات وتهذيب النفس؟ لأنك إن لم تحب نفسك فلن تسعى لضمان منافعك. يقال إن لفظة «خودخواهى» في اللغة الفارسية [التي تعني الأنانية، وأصلها حب الذات] لفظة سيئة، لكن لا وجود لهذا المعنى في اللغة العربية ولا في أدبياتنا الدينية. فما المراد يا ترى من قولنا: «حب الذات سيئ»؟ هل يعني أن أنبُذ نفسي وذاتي وأقول: «لأذهب إلى الجحيم»؟! روي عن الإمام الصادق(ع) أنه قال لشيعته: «فَتَنَافَسُوا فِي الدَّرَجَاتِ» (أمالي الطوسي/ ص٢٩٦)، أي تسابقوا فيما بينكم لنيل أعلى الدرجات! أفلا يتطلب السباق والمنافسة حب الذات؟ وقال تعالى في الذكر الحكيم: «الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً»(الملك/٢)؛ أي: سأمتحنكم لأرى أيكم أفضل؟ وفي دعاء كميل أيضاً نخاطب الله تعالى بالقول: «...وَاجْعَلْنِي مِنْ أَحْسَنِ عَبِيدِكَ نَصِيباً عِنْدَكَ وَأَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً مِنْكَ وَأَخَصِّهِمْ زُلْفَةً لَدَيْك» (البلد الأمين/ ص١٩١). وفي كربلاء أيضاً كان ثمة فرق بين الشهداء، فقد كانت لأبي الفضل العباس(س) منزلة يغبطه عليها باقي الشهداء.

من أراد أن يسوس نفسه فعليه أن يحبّها أولاً

من أراد أن يسوس نفسه فلا بد أن يحبها ويراها ثمينة قيّمة. لا تُصغِ إلى وسوسة إبليس الذي يهمس في أذنك: «أنت لن تصبح آدمياً!» وما إن تبدأ بالعبادة والتوبة حتى يوسوس لك إبليس الخبيث قائلاً: «دعك من هذا الأمر، فهل تتصور أنك بصلاة الليل هذه وغيرها تستطيع أن تصبح مثل الشيخ بهجت في غضون ليلة واحدة؟» اصفع إبليس صفعة قوية! إن مبدأ «المحبة» يحظى بأهمية بالغة في الإدارة؛ فالمحبة هي الحب النابع من القلب. أفلا يغمر قلبَك الحبُّ من أن الله قد خلقك؟ قال تعالى: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» (الإنسان/١). فابتهجوا من نعمة وجودكم، وأحببوا أنفسكم كي تشكروا الله عزّ وجل أنْ منّ عليكم بنعمة الحياة عند سماعكم هذه الآية القرآنية الكريمة. حين يخاطبك الله تعالى بهذه العبارة: «أيها الإنسان أنا الذي خلقتك!» أجبه بلهفة قائلاً: «روحي فداك يا رب! لك الشكر والمنة أن خلقتني...». والذي يقول في مثل هذا الموقف: «حسنا، ثم ماذا؟! لو شئتَ لما خلقتني!» يدل كلامه هذا على نفسية وخُلق متدنٍّ وخطير جداً. لا تنطق بمثل هذا الكلام أبداً!

لا بد أن تكون محبا لخلقتك لتقول: "ربِّ لك الشكر والمنّة أن خلقتني"

قال تعالى: «يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذى خَلَقَكُمْ» (البقرة/٢١)، فلا بد أن تحب هذه الخلقة لتقول: «ربِّ لك الشكر والمنّة أن خلقتني». مَن الذي يستطيع أن يقول ذلك؟ إنه من كان محبا لخلقته! قل: «رب أشكرك أن خلقتني، وأحبك لأنك تحبني إلى درجة لا تريد هلاكي إلى الأبد!» هذا الجلال والاحتفال والجمال ماثل في قلبك. يتساءل البعض: «أين الابتهاج في الدين؟!» إن هؤلاء لم يدركوا معنى هذا الابتهاج وهذه العظمة الناجمة عن حب الخلقة. جاء في رواية شريفة: «الدِّينُ حُبورٌ» (غرر الحكم/٦٧)؛ أي: الدين سرور قلب الإنسان. أتعلمون لماذا لا يقيم المتدينون الكثير من حفلات الفجور والرقص؟ لشدة شعورهم بالسرور والبهجة الباطنية، فلا يحتاجون أساساً إلى هذه السفاهات. الذين يشعرون بالحاجة إلى حقن أنفسهم بالسرور والفرح من الخارج يتجهون صوب اللهو واللعب. لكن الذي يشعر بالابتهاج من أعماق قلبه لا يشعر بالحاجة إلى هذه الأمور.

ثمة فرق بين حب الذات وحب "المطالَبات السيئة للنفس"

كن محباً لنفسك! الحب ضروري في إدارة الذات ولولا ذلك ستصبح «منفعلاً» وستكرر باستمرار قولك: «أي جانب من هذه النفس عسايَ أن أُصْلِح؟ إنها غير قابلة للإصلاح أبداً!» وبالطبع هناك فرق بين حب الذات وحب «المطالَبات السيئة للنفس». فالبعض يحب المحبوبات السيئة والحقيرة ويفديها بنفسه. إن حبَّ الهوى هو السيئ والمرفوض، وإلا فإن نفسك عظيمة الشأن إلى درجة أن الله قد أقسم بها: «وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها» (الشمس/٧). قسماً بمن خلق هذه النفس وهذه الروح الإنسانية رائعة! يجب أن تحب نفسك وتقوم برعايتها، ولا تبيعها رخيصاً ولا تسمح بأن يسحقها الشيطان، فلا ينبغي أن تضيع ذرة منها هدراً. فما لم يحب الإنسان نفسه - بالمعنى الحقيقي للكلمة - لن يستطيع أن يهذّبها، ولذلك سيتركها لحالها.

يجب على الوالدين أن يُثبتا للطفل حبهما في السنين السبع الأولى من عمره

تُعَد المحبة مبدأً مهماً في الإدارة على مستوى الأسرة أيضاً. ففي السنين السبع الأولى من العمر، والتي يحاول الطفل اكتشاف ذاته فيها، يوصى الوالدان بأن يكونا كالعبيد أمامه ليشعر بأنه السيد. ورد في حديث نبوي شريف: «الْوَلَدُ سَيِّدٌ سَبْعَ سِنِينَ، وَعَبْدٌ سَبْعَ سِنِينَ» (وسائل الشيعة/ج٢١/ص٤٧٦). فالويل للآباء والأمهات الذين يعجزون عن إثبات حبهم للطفل في السبعة الأولى من عمره! يجب أن يشعر هذا الطفل بمنتهى المتعة والبهجة!

بعض الأمهات تقول لولدها باستمرار: «لم أعد أحبك!» لماذا تهددين الطفل؟! هذا الكلام سيَعلَق في ذاكرة الطفل وسيحدّث نفسه: «هل أنا مخلوق بإمكان أمه أن تكرهه بهذه البساطة؟» لا تقولي هذا لطفلك أبداً. تودّدي إليه. قولي له عوضاً عن ذلك: «إنني لَأحبك، فلا تفعل هذا...». كرّري على مسامعه باستمرار عبارة: «أنا أحبك»، بحيث يمتلئ كيانه حناناً وعاطفة. ثمة كلمات لسماحة الإمام الخميني(ره) في أن الأم إذا لم تُشبع الطفل بحنانها فسيصاب هذا الطفل بعقدة نفسية لن يمكن معالجتها في المستقبل. «الطفل الذي لم يتربَّ في حضن أمه ولم يذق طعم حبها وحنانها سيتعقد، وستصبح هذه العُقَد النفسية أم المفاسد كلها. وإن السرقات وجرائم القتل والخيانات كلها ناجمة عن هذه العقد» (صحيفة الإمام/ ج٧/ ص٤٤٥). يقال عن صدام إنه كان طفلاً يتيم الأب، نبذَته أمه بعد ولادته قائلة: «لا أريد هذا الطفل!» فعاش ثلاث سنوات تقريباً بعيداً عن أمه، حتّى وافقت على قبوله. حسناً، هذا الطفل الذي لم يذق طعم حنان أمه سيصبح قاتلاً بعد أن يشتد عوده، ويسفك الدماء ويرتكب الجرائم كشربة ماء.

لا بد أن تكون حصة الزوجة والبنات من الحب في المنزل أكثر من الآخرين

للحب تأثير هائل في الأسرة! لا بد أن تكون حصة الزوجة والبنات من الحب في المنزل أكثر من الآخرين. روي عن الرضا(ع) أنه قال: «اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْإِنَاثِ أَرْأَفُ مِنْهُ عَلَى الذُّكُورِ وَمَا مِنْ رَجُلٍ يُدْخِلُ فَرْحَةً عَلَى امْرَأَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا حُرْمَةٌ إِلَّا فَرَّحَهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (الكافي/ ج٦/ ص٦). ثمة أقوال عجيبة جداً عن المحبة في الأسرة. فعن رسول الله(ص) قوله: «يُؤتَى بِالرَّجُلِ مِن أمَّتي يَومَ القِيامَةِ وما لَهُ مِن حَسَنَةٍ تُرجى لَهُ الجَنَّةُ، فَيَقولُ الرَّبُّ تَعالى: أدخِلوهُ الجَنَّةَ، فَإِنَّهُ كانَ يَرحَمُ عِيالَه» (كنز العمال/ ج ١٦/ ص٣٧٩). وروي عن الإمام الصادق(ع): «مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ - حُبُّ النِّسَاءِ» (الكافي/ ج٥/ ص٣٢٠). فإنّ حُبّ الرجل زوجته من أخلاق الأنبياء(ع)! وقد رُوي عن رسول الله(ص) أيضاً أنه قال: «قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ إِنِّي أُحِبُّكِ لَا يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِهَا أَبَداً» (الكافي/ ج٥/ ص٥٦٩).

على الأم أن توزّع "الحب" في بيتها كما يوزّع لاعبُ الوسط الكرةَ في الفريق

لا يكفي أن تتلقى الزوجة المحبة في الأسرة، بل يجب أن تكون الزوجة والأم كلاعب الوسط في فريق كرة القدم، فتوزع الحب في أرجاء البيت. ولا يجوز لها أن تتخذ موقفاً حقوقياً في تعاملها مع الأولاد، فتتصرف معهم كالقائد، بل يجب أن تخطف القلوب! كأن تقول للأولاد: «يا أولاد، إن فعلتم هذا الفعل فسيعتصر قلبي ألماً». وعلى الأب أيضاً أن يعلّم أولاده أن «لا تكسروا قلب أمكم». هذه الأمور هي أساسيات الأسرة.

علـى سـبيل المثـال حـين يعـود الرجـل إلى المنـزل يكـون منهـكاً في غالـب الأوقـات، بسـبب المشـاغل والنزاعـات التـي تعـرض لهـا في خـارج المنـزل، لكن المـرأة تتمتع بقـدرة روحية عاليـة، وقد جـاء في الرواية أنّ عـلى الزوجـة أن تظهـر حبهـا لزوجهـا: «وَأَنْ تَسْـتَقْبِلَهُ عِنْـدَ بَـابِ بَيْتِهَا فَتُرَحِّـبَ بِـهِ» (مكـارم الأخـلاق/ ص٢١٤). وجـاء في روايـة أخـرى: «إِظْهَـارُ الْعِشْـقِ لَـهُ بِالْخِلَابَـةِ وَالْهَيْئَـةِ الْحَسَـنَةِ لَهَـا فِـي عَيْنِـهِ» (تحـف العقـول/ ص٣٢٣). فكـم في وسـع هـذا السـلوك بالـذات أن يصلح حالـه! المحبة لها منزلـة عظيمة في إدارة الأسرة. قـال تعـالى: «وَجَعَـلَ بَيْنَكُـمْ مَـوَدَّةً وَرَحْمَـةً» (الـروم/٢١). والمـودّة هـي تلـك المحبـة التـي يظهـر تأثيرهـا، والمقصـود مـن الرحمـة هـو أن يرحـم بعضهـم البعـض. أيهـا الآبـاء المحترمـون وأيتهـا الأمهـات المحترمـات! الأطفـال يتعلمـون مفهـوم «الإمامـة» مـن نمـط سـلوككم! إنهـم من نمـط رحمـة الأم وحنانها يفهمـون أن الإمـام رحيـم! ومـن نمـط رحمتهـا وحنانهـا يدركـون أن اللـه رحيـم ويحسـنون الظـن باللـه.

حاكم المدينة الذي يأكل الشيشليك (الأضلاع المشوية) لا يتعاطف مع المحرومين

المحبـة ضروريـة لإدارة المجتمـع أيضـاً. فعلامَ يؤشّر موضوع الأرسـتقراطية؟ يقول مسـؤول أو حاكم منطقة محرومـة نسـبياً: «أنـا آكل الشيشـليك وأعمـل أيضـاً!» حسـناً، إن كنـت مسـؤولاً عـن مدينـة يعيـش فيهـا أنـاس جيـاع فعملـك هـذا خطـأ فـادح. يجـب أن تتعاطـف مع هـؤلاء النـاس. حين تنظـر في روايـات أهل البيـت(ع) تـدرك أن تـولّي المسـؤولية في المجتمـع صعب للغاية. فمـن يريد رغد العيش، أو حتى المسـتوى المتوسـط منـه، لا ينبغـي أن يصبـح مسـؤولا. أنـا في الحقيقـة لا أخالـف أن يتولى شـخص ثـري منصباً، لكن ليـس مـن المـروءة والإنصـاف أبـداً أن يسـتلم هـذا الشـخص راتبـا أيضـاً في مسـؤوليته عـلى الرغـم مـن ثرائـه! ثمـة فـرق بـين المسـؤول وغـير المسـؤول، فقـد اسـتنكروا يومـاً على الإمـام الصـادق(ع) عدم عَيشِـه – كـما يبـدو - حيـاة في قمـة الزهـد والشـظف، فـكان مضمـون ردّه(ع) أنـه ليـس مسـؤولاً في المجتمـع!

لا يجوز أبداً لمن لا يطيق العيش كأضعف الناس أن يتولى مسؤولية!

مـن لا يطيـق العيـش كأضعـف فـرد في المجتمـع فـلا ينبغـي أبـداً أن يتـولى مسـؤولية! فمـن يصبـح مسـؤولاً لا يسـتطيع عـلى الإطـلاق - بسـبب حبـه للنـاس - أن يعيـش حيـاة رغـدة ناعمـة، حـين يشـاهد أن قسـماً مـن الشـعب يعيـش حيـاة نكـدة. روي عـن الإمـام الصـادق(ع) قولـه: «أَمَا عَلِمْـتَ أَنَّ إِمَـارَةَ بَنِـي أُمَيَّـةَ كَانَـتْ بِالسَّـيْفِ وَالْعَسْـفِ وَالْجَـوْرِ وَأَنَّ إِمَارَتَنَـا بِالرِّفْـقِ وَالتَّأَلُّـفِ وَالْوَقَـارِ وَالتَّقِيَّـةِ وَحُسْـنِ الْخُلْطَـةِ وَالْـوَرَعِ وَالِاجْتِهَـادِ فَرَغِّبُـوا النَّـاسَ فِي دِينِكُـمْ وَفِيـمَا أَنْتُـمْ فِيـهِ» (الخصـال/ ج٢/ ص٣٥٥).

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر(ع) أنه قال: «كَانَ عَلِيٌّ -عليه السلام- يُطْعِمُ النَّاسَ بِالْكُوفَةِ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ وَكَانَ [له] طَعَام عَلَى حِدَةٍ. فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ النَّاسِ: لَوْ نَظَرْنَا إِلَى طَعَامِ أَمِيرِ الْمؤْمِنِينَ مَا هُوَ؟ فَأَشْرَفُوا عَلَيْهِ وَإِذَا طَعَامُهُ ثَرِيدَةٌ بِزَيْتٍ مُكَلَّلَةٌ بِالْعَجْوَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ طَعَامَهُ وَكَانَتِ الْعَجْوَةُ تُحْمَلُ إِلَيْهِ مِنَ الْمدِينَةِ» (الغارات/ ج١/ ص٨٥)؛ أي كان الإمام علي(ع) يُطعم أهل الكوفة الخبز واللحم، وهو يتناول الخبز مع قليل من الزيت فقط.

حين يشاهد الناس زهد المسؤول في حياته، تسهُل أمور الحكم

«عن الأحنف بن قيس قال: دَخَلتُ على عَلِيّ (كَرّم اللهُ وجهه) وَقتَ إفطارِهِ إذْ دَعا بِجِرابٍ [كيس] مَختومٍ فيهِ سُوَيقُ الشَعير. قلتُ لَه: يَا أميرَ المُؤمنين، خفتَ أن يُؤخَذَ مِنهُ فَختَمتَ فيه؟ قالَ(ع): لا، وَلكِنّي خِفتُ أنْ يُلَيِّنهُ الحَسَنُ أَو الحُسَينُ بِسَمنٍ أو زَيت. قلتُ: هُما حَرامٌ عَليك؟ قالَ: لا، وَلكِنْ يَجبُ على الأئِمّة أَنْ يَغتَذوا بِغِذاءِ ضُعَفاءِ الناسِ وَأَفقَرِهِم، كَيلا يَشكُو الفَقيرُ مِن فَقرِهِ، وَلا يَطغَى الغَنِيُّ لِغِناه» (ينابيع المودة لذوي القربى/ ج١/ ص٤٤٧-٤٤٨). إن الإمام(ع) في الحقيقة يسلط الضوء، من خلال هذا السلوك، على مبدأ إداري، إذ حين ترى الرعية حاكم المجتمع والمسؤول يتصرف بمثل هذا السلوك ستسهل أمور الحكم. روي عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال لأهل الكوفة: «يا أَهْلَ الْكُوفَةِ اِذا أَنَا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكُمْ بِغَيْرِ رَحْلي وَراحِلَتي وَغُلامي فَأَنَا خائِنٌ» (الغارات/ ج١/ ص٦٨). وبتعبيرنا: لو وضعتُ من بيت المال طوبة فوق طوبة فأنا خائن. وإذا نعتَ علي(ع) مثل هذا الشخص بالخائن فماذا عسانا نفعل بهؤلاء الذين نراهم اليوم؟ وما عسانا نصنع بأحاديث أهل البيت(ع) هذه؟ الرجل ثري أساساً، فيتولى منصباً، ويستلم راتباً أيضاً! يخاطب أمير المؤمنين(ع) مالك الأشتر في كتاب له: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُم» (نهج البلاغة/ الكتاب٥٣). الإمام(ع) يوصي بالرحمة بالرعية وحبهم واللطف بهم! ويوصي بحسن معاملتهم، (ويقول بتعبيرنا لا تهاجمهم كالذئب تأكل أموالهم وتنهبها). ثم يقول(ع): « فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِى الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِى الْخَلْقِ». في أيام خلافة أمير المؤمنين(ع) جاءه رجل يهودي وأخذ يسأله أسئلة. فأمسك الإمام(ع) بيده وأخذ يجيبه وهو يكرر قوله: »يا أخ اليهود... يا أخ اليهود...»! فلماذا كان يتعامل معه هكذا يا ترى؟ لأنه كان مسؤولاً في المجتمع ويجب عليه أن يُحسن معاملة الجميع. هذه المواضيع مواضيع تقنية في حقل الإدارة. إنها ليست مواضيع أخلاقية أو مبدئية أو دينية أو ثورية. فما الثورة والدين أساساً إلا العقلانية، وما الأخلاق أيضاً – إن كانت حقاً أخلاقاً – إلا العقلانية. فلا نقولَنّ: هذه مسائل أخلاقية في الإدارة، ثم نضع الأشخاص في أُطُر الإدارة غير العقلانية، ونسحق شخصيتهم!

الإمام الباقر(ع): ينبغي أن يتصف المدير بهذه الصفات الثلاث...

روي عن الإمام الباقر(ع): «إِنَّ الْإِمَامَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِرَجُلٍ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنِ الْمَحَارِمِ» (الخصال/ ج١/ ص١١٦)، فلا بد أن يتمتع المدير بقدرة ضبط النفس، وأن يكون قد تمكّن من أن يسوس نفسه قبل توليه الإدارة! ثم يقول(ع): «وَحِلْمٌ يَمْلِكُ بِهِ غَضَبَهُ»، أي على المدير أن يتمتع بالحلم حتى لا يغضب، ولولا ذلك سيَعمَى ويَصَمّ، وسيعجز عن التخطيط والبرمجة، والمعاملة الصحيحة، والفهم الصائب. ثم يتابع(ع): «وَحُسْنُ الْخِلَافَةِ عَلَى مَنْ وُلِّيَ حَتَّى يَكُونَ لَهُ كَالْوَالِدِ الرَّحِيمِ»، فلا بد أن يكون الوالي في منتهى الرحمة كالوالد الرحيم! إن لم يكن المسؤول والمدير في المجتمع رؤوفاً رحيماً كالوالد فلن يتوفق في أمر إدارته. فيا أيها الناس، هل ترون اليوم المحافظين والحُكام ونواب البرلمان والوزراء ورؤساء البلدية وجميع المسؤولين في المجتمع كالأب الرؤوف؟ وهل تعُدّون «أئمة الجمعة» أيضاً كذلك؟ (فإمامة الجمعة في النهاية منصب أيضاً).

الإمام علي(ع): على المسؤولين أن يتشبّهوا في المأكل والملبس بأضعف أفراد المجتمع

قال أمير المؤمنين(ع): «ولكِن عَلى أَئِمَّةِ الحَقِّ أن يَتَأَسَّوا بِأَضعَفِ رَعِيَّتِهِم حالاً فِي الأَكلِ وَاللِّباسِ» (تذكرة الخواص/ ص١١٠). يجب على المدير الصالح ومن كان في طريق الحق من المديرين أن يتأسى بأضعف رعيته في المأكل والملبس. (ولكن انظروا اليوم إلى الأموال الطائلة التي ينفقها البعض على ثيابه وبدلته!) ثم يقول(ع): «ولا يَتَمَيَّزونَ عَلَيهِم بِشَيءٍ لا يَقدِرونَ عَلَيهِ؛ لِيَراهُمُ الفَقيرُ فَيَرضى عَنِ اللهِ تَعالى بِما هُوَ فيهِ، ويَراهُمُ الغَنِيُّ فَيَزدادُ شُكراً وتَواضُعاً». فلا ينبغي على المسؤول أن يرتدي ثياباً يعجز أضعف الناس عن توفيرها لنفسه! والمفروض أن يقول الفقير حين يراهم: ربِّ إني راض بما قسمت لي وجعلت مثل هذا الشخص مسؤولاً علي. وكذلك أن يشكر الأثرياء ربهم عند رؤيتهم لهذا المسؤول ويقولون: لك الحمد يا رب على النعم والإمكانات التي أنعمت بها علينا ونستطيع أن ننتفع منها. (بينما لا يستطيع هذا المسؤول أن يستفيد من هذه الإمكانات).

إن كنت لا تحتمل شظف العيش فلا تسمح لوالدك أن يرشح نفسه للبرلمان أو الوزارة!

لتعلم عوائل المسؤولين وليعلم أولادهم أنه إن كنتَ لا تحتمل شظف العيش فلا تسمح لوالدك أن يرشح نفسه للبرلمان! أو لا تسمح له بأن يصبح وزيراً. أيتها السيدات! إن كنتن لا تطقن الحياة الصعبة وتردن حياة عادية ومتوسطة على مستوى حياة طلاب العلوم الدينية، فلا تسمحن لأزواجكن لأن يصبحوا حتى أئمة جمعة.

يقول الفاضل نجل المرحوم «أبوترابي»، الأسير المحرَّر: حين كان المرحوم والدي نائباً في البرلمان جاءه رجل من الأسرى المحرَّرين أو من المضحّين وقال له: «أريد قرضاً لأبني به بيتي». فأجابه الوالد: «سأكتب لك كتاباً للمصرف حتى يعطوك قرضاً». لكن الرجل قال: «المصرف يقرض المبلغ حتى من دون كتابك، لكنني لا أستطيع توفير المال الكافي لتشييد بناء البيت حتى السقف الأول حتى أستحق هذا القرض!» ثم أضاف نجل السيد أبوترابي: صرنا نلاحظ، لمدة من الزمن، أن الوالد بات يعود إلى البيت ليلاً أو في وقت السحر وهو منهك مُغبَرّ الثياب. وبعد التحري عن الأمر عرفنا أنه كان يذهب إلى ذلك الرجل المُضَحّي ويعمل له بَنّاءً ليساعده في بناء بيته... هذا يعني أنه يقول في ذات نفسه: ينبغي عليّ أن أتحمل هذه المصاعب لأجل الناس بعد أن أصبحت نائباً عنهم. يا هذا، أنت الذي أصبحت مسؤولاً ورئيساً على منطقة ما، إذا لم تواسِ فقراء المنطقة بعيشك فقد أخطأت بتولّيك الرئاسة! مَن الذي روّج لهذه الحياة الأرستقراطية أساساً؟ وما هذه بقضية أخلاقية، بل هي للحد من أكل الريع. دخل طلحة والزبير على أمير المؤمنين(ع) يوماً، متأمّلَين بقاء ما كان لهما معه من علاقة صداقة قبل خلافته(ع). لكن حينما شاهدا الإمام(ع) قد أطفأ الشمعة، التي كانت من بيت المال (لأنهما جاءاه لأمر خاص)، انزعجا وأضمرا له الحقد، وحارباه وحاولا قتله. سماحة الإمام الخميني(ره) كان قد ازداد زهداً منذ أن تولّى إمامة الثورة الإسلامية. بل وقبل انتصار الثورة، حينما كان يعيش في النجف الأشرف، وفي جو العراق الحار ذاك، كانوا قد أحضروا له مروحة. لكن سماحته قال لهم: أطفئوها، أوَيملك جميع أفراد شعبنا في إيران مروحة يا ترى؟!

المدير المحب يخلق الوفاق بين الناس/ والمعلم المحب أيضاً يزرع الوفاق بين تلاميذه

ثمة قصص من حياة سماحة السيد القائد (حفظه الله) إن سَرَدتُها لكم فسيتصور الكثير أن فيها مبالغة. فسماحته يمتنع عن تناول الكثير من الأطعمة، حتى بعض الأطعمة العادية التي يستطيع غالبية أفراد الشعب توفيرها وتناولها. وحين يكون حاكم الأمة على هذا المستوى من الالتزام فلا بد أن يكون مُحباً للرعية ويستطيع خلق الوفاق والوئام بينهم. الأم المُحِبّة تخلق الوفاق والألفة بين أولادها، والمعلم المُحِب يزرع الوفاق بين تلاميذه. هذا الوفاق هو المبدأ الأول، أو المهم جداً لبلوغ النجاح المستتب. حين تقترن الإدارة بالمحبة ستخلق الألفة والمودة بين القلوب. اليوم تجلّى جانب من الإدارة الولائية في زيارة الأربعين.. انظروا العظمة! يتفانى الناس لأجل بعضهم البعض. إنكم لتشاهدون الجنة في مسيرة الأربعين الراجلة هذه.. تشاهدون فيها ما يُقال عن زمان ظهور صاحب العصر(عج)؛ حيث يضحي الناس من أجل بعضهم البعض.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ١٠)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: محرم ١۴۴١
المكان: طهران، جامعة الإمام الصادق(ع)
الموضوع: الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ١٠)
التاريخ: ٢/ محرم / ١٤٤١ – ٢/ ٩/ ٢٠١٩

المبدأ الثالث في الإدارة هو "العقلانية والشمولية"/ الإدارة الثورية تعني السعي لتحقيق مصالح البلاد من خلال العقلانية/ هل تحققت مصالحنا من خلال الإتفاق النووي؟/ المسؤول الذي يقيم الدنيا ولا يقعدها من أجل إلغاء حفل موسيقي أكثر من حزنه على إغلاق المصانع هل يُعد عاقلاً؟

الاتصاف بالثورية يعني التعقّل، لا يقولنّ أحد فينا نحن الثوريين: "هؤلاء كوادر مبدئية!" كلا! نحن بالمناسبة نريد أن يكون التعامل مع جميع القضايا بعقلانية. قال سماحة السيد القائد(حفظه الله): "إن التطبيع مكلِف والمقاومة أيضاً مكلِفة، لكن ثمن التطبيع أعلى من ثمن المقاومة". هذا الرأي عقلاني تماماً ولا يعد مبدئياً!

معظم التوتّرات والجدالات السياسية في بلادنا تافهة وينبغي أن تُلغى

معظم التوترات والجدالات السياسية في بلادنا تافهة أساساً ومن دون جدوى وعلينا أن نلغيها، لكن كيف؟ سأقدم لكم هنا حلاً لهذه القضية، ويمكن ملاحظة هذا الحل أيضا في كلمة السيد القائد في لقائه مع طلبة الجامعات في شهر رمضان المبارك لهذا العام. (خطاب القائد في اللقاء مع طلّاب الجامعات، ٢٠١٩/٥/٢٢) استخدم سماحة السيد القائد يوماً ما مصطلح «حُرّ الإطلاق» في ما يتعلق بنشاطات الشباب التطوّعية في الساحة الثقافية. وفي «بيان الخطوة الثانية للثورة الإسلامية» أكّد سماحته مرة أخرى على الشباب، ثم طرح موضوع «الحكومة الثورية الفتيّة». وبغضّ النظر عما جاء أعلاه فقد خلق سماحته مناخاً جديداً؛ أي إنه قدّم، في شرحه لبيان الخطوة الثانية، حوالي سبع استراتيجيات لإعمار البلاد، جميعها تتجاوز الدهاليز السياسية والهيكل الإداري للبلاد، وهذا يعني أنّ على الشباب أن ينزلوا إلى الساحة ويحُلّوا المشاكل والمعضلات من خلال الإمكانيات الاجتماعية والقانونية المتاحة. إذا تم تنفيذ مقترحات سماحة السيد القائد ستنتهي الكثير من هذه الجدالات السياسية التافهة وعديمة الجدوى، وسيتم تلقائياً تصفية الكثير من الأشخاص الذين تسنّموا المناصب والمسؤوليات عن طريق التعيين أو الانتخاب، ولا حاجة بعد ذلك لإسداء النصائح الأخلاقية لهم!

ينبغي أن تتخذ الإدارة موقعها التقني التخصصي

وبعد أن أشار السيد القائد(حفظه الله) إلى سبع استراتيجيات لإعمار البلاد وتشييد الحضارة الإسلامية الكبرى، استطرد سماحته قائلاً: «يمكن تقديم خمسين استراتيجية أخرى على هذا المنوال» (الخطابات، ٢٠١٩/٥/٢٢). والنتيجة المهمة التي ستتحقق عند تنفيذ هذه الاستراتيجيات هي أن الإدارة ستحتل موقعها التقني المخصّص لها، لأن الكثير من المناصب الإدارية هي تقنية وتخصصية تماماً، وليست سياسية! بعبارة أخرى: يجب أن تتقن أداء هذا العمل الذي عُيّنتَ له.

وإذا قمنا بتنفيذ هذه الاستراتيجيات فلن يهمّنا بعد ذلك أبداً من سيكون الحاكم؟ ومن سيكون المحافظ؟ ومن سيكون نائب البرلمان وما هو خطّه السياسي؟ ولن يهمنا بعد ذلك حتى من سيكون إمام الجمعة. لأن هؤلاء جميعاً سيكونون في إطار خدمة الشعب ولا مفرّ لهم من ذلك. كما يجب علينا أيضاً أن نوّجه القوانين واللوائح بالأساس باتجاه تقليل احتمال سوء الاستغلال؛ أي أن تعمل هذه اللوائح والتعليمات تلقائياً على رفع مستوى التشديد على المسؤولين. ومن الاقتراحات التي اقترحها سماحة السيد القائد(حفظه الله) مثلاً هي أن يؤسّس الشباب فِرَق عمل، ناشطة في المجالات الجهادية والثقافية والسياسية. وبالطبع ليس القصد من النشاطات السياسية تلك التي تكون في إطار الحزب والتيّار، بل النشاطات السياسية المستقلة التي تقود إلى تحسين الوضع الإداي. كما ينبغي أن يؤسس الشباب فريق مطالبة [للمسؤولين] ومتابعة لمطالبات الشعب... ليدرسَ الشباب - ولا سيما الشباب المثقف والخِرّيج - هذه الاستراتيجيات التي قدّمها سماحة السيد القائد، وليقترحوا لحل مشاكل البلاد مشاريع وخطط، وليعرضوها على شبكات التواصل قائلين: «هذه الخطة تحل المشكلة الفلانية في البلد...». حينذاك سيضطر المسؤولون إلى الاستجابة.

بوسع الشباب أن ينشط في إدارة البلاد بناء على بيان "الخطوة الثانية للثورة الإسلامية"

بناء على ما جاء في بيان الخطوة الثانية للثورة الإسلامية - والشرح الذي قدّمه سماحة السيد القائد على هذا البيان - بوسع الشباب أن ينشط في إدارة البلاد؛ تماماً كالحملة التي انطلقت للمطالبة بالشفافية، فإن استمر الشباب بدعم هذه الحملة، سيُجبَر البرلمان على التصويت على هذا القانون، وستتّضح شيئاً فشيئاً أسباب الإصرار على سِرّية أصوات النوّاب، وسيفهم الناس ماذا كانت القضية؟ فما الذي يضمره نوّاب البرلمان يا ترى حتى تبقى أصواتهم متكتَّم عليها حالياً؟ إذا تحققت المطالبات والمتابعات سيكون بوسعكم أنتم الشباب، وبالاعتماد على بيان الخطوة الثانية للثورة، أن تمارسوا نشاطات عديدة؛ وآنذاك سيضطر كل مَن يتولّى المسؤولية أن يهتم بهذا الرأي العام المنظَّم، وهذه الأفكار التي يتبنّاها الشباب الواعي والمثقف. فهل من الممكن أن يجتمع الشباب في مدينة ما ويستفيدوا من آراء المُخَضرَمين فيها، ويتوصلوا إلى وضع خطة، ثم لا يرضخ حاكم المدينة ونائب البرلمان وإمام الجمعة لهذه الخطة؟ إن هؤلاء المسؤولين، بغضّ النظر عن اتجاههم الحزبي والتيار السياسي الذي ينتمون إليه، مُجبَرون على قبول هذه الخطط والمشاريع الجيدة. ولقد تجاوز المجتمع اليوم هذه الألاعيب التيّارية والحزبيّة، كما أن قائد الثورة (حفظه الله) صرّح في بياناته أنه لا يعتمد على التيارات السياسية. بطبيعة الحال سماحته ينبّه المسؤولين، ويوصيهم، ويطالبهم بأداء مسؤولياتهم المخوّلة إليهم، لكن الاعتماد الحقيقي يكون على الشباب!

ينبغي على الشباب أن يجتمعوا بطريقة منظّمة وأن يبذلوا جهودهم لإدارة المجتمع

ينبغي عليكم أنتم الشباب، مع هذه الإمكانيات والمجال المتاح لكم، من إنترنت ومواقع تواصل اجتماعي، وهذا التواصل المتين المتوفّر لكم اليوم أن لا تقضوا أوقاتكم بالاستهزاء بالمسؤولين وطعنهم، والاكتفاء بالمطالبات في الأجواء الافتراضية؛ بل تعالوا والتفوا حول بعضكم البعض بتنظيم، ولتحسّوا أن إدارة المدينة هي من مسؤوليتكم. قدِّموا العديد من الخطط التي تتميز بالأولويّة والأسبقيّة، وسَيهتم المسؤولون آنذاك بهذه الخطط وسينفّذونها قبل غيرها. فإن العديد من هؤلاء المسؤولين القُدامى كانت أعمارهم أقل منكم حينما تولّوا مسؤولية إدارة البلاد. واليوم أيضاً ثمّة في المدن المختلفة شباب أكفاء بوسعهم أن يقوموا بهذه الأعمال، وهذا هو الطريق الذي مهَّد له قائد الثورة حفظه الله؛ فسماحته لا يرى أن إعمار البلاد منحصر بالمناصب الحكومية والبرلمانية أبداً، وقد صرّح بهذا الموضوع في كلمته، ومن ثم قدّم استراتيجية جزئية لذلك، وسلّط الضوء عليها أيضاً في بيان الخطوة الثانية للثورة. وحتى قبل صدور بيان الخطوة الثانية، كان سماحة السيد القائد قد قال في خطاباته أن سيادة الشعب الدينية لا تتحقق بمجرد ذهاب الجماهير إلى صناديق الاقتراع والمشاركة في الانتخابات، بل ينبغي أن ينشط الناس في جميع المجالات. كما أن سماحته قدّم مثالاً عن هذا النشاط وهو أن يشارك الشعب في النشاطات الاقتصادية، فتصبح هذه المشاركة: «سيادة الشعب الدينية في مجال الاقتصاد». (كلمة السيد القائد في لقائه مع قوات التعبئة (البسيج)، ٢٠١٦/١١/٢٣)

كيف يستطيع الشباب المشاركة في اقتصاد البلد وإدارته؟

والآن ما هو السبيل لمشاركة الشباب في اقتصاد البلد وإدارته؟ الجواب هو أنه ينبغي عليهم أن يجتمعوا معاً. فإن اجتمع الشباب معاً وأسّسوا في البلاد شبكة تواصل بينهم، وباتوا على اطلاع على أخبار بعضهم البعض، كان بوسعهم القيام بأعمال كثيرة. على سبيل المثال، اجتمعت ثلة من الشباب في جزيرة هرمز، واستطاعت القضاء على الفقر في تلك المنطقة، دون أن تمتلك رأسمال في بداية الأمر! كل ما في الأمر أنهم عقدوا العزم معاً، واستخدموا البرمجيّات، واعتمدوا على إبداعاتهم. بوسع الشباب، إن اجتمعوا مع بعضهم البعض، القضاء على الكثير من المشاكل السياسية الموجودة في بلادنا. فالكثير من نوّاب البرلمان والمسؤولين هم من ذوي الألباب والصُلحاء، وهم مستعدون أن يصغوا بتواضع إلى المشاريع التي يقدّمها الشباب المثقف والأشخاص المشفقين، وأن يدرسوها وينفّذوها. على سبيل المثال عند ما طُرِح موضوع شفافية أصوات نوّاب البرلمان، قال بعض الأخيرِين: نحن مستعدون لوضع أصواتنا بشفافية على المواقع الإلكترونية ليطّلع عليها الجميع.

خطة مقترَحة: إن انقطعت رواتب العمّال فليقتطعوا من رواتب المسؤولين لصالح العمّال

وكنموذج، أنا أقترح خطّة قد تساعد في حل مشكلة بعض العمّال:

للحيلولة دون ظهور مشاكل للعمّال في بعض المناطق (التي قد تكون الحكومة مقصِّرة فيها نوعاً ما، أو غير مقصِّرة لكن عليها متابعة القضية وحل المشكلة) أقترحُ تصميم منظومة تسجَّل فيها رواتب جميع المحافظين والحكّام ونوّاب البرلمان والوزراء والمعاونين والمناصب الإدارية الأدنى – إلى أدنى مستوى ممكن - فإن لم يستلم عمّالُ منجمٍ ما - مثلاً - رواتبهم لشهر واحد، يُصار في الشهر التالي آلياً إلى سحب رواتب المسؤولين من الخزانة وإيداعها في حسابات العمّال حتى تُحَل مشاكلهم. فحين يرى المسؤولون وكبار المديرين أن رواتبهم قد انقطعت سيدركون أن ثمة مشكلة ما قد حصلت، وبطبيعة الحال سيبذلون قصارى جهدهم لإزالتها. وبعد أن يحلّوا مشكلة العمّال ستنحل مشكلة رواتبهم أيضاً. فأي إشكال سيطرأ يا ترى لو انقطع راتب المحافظ أو نائب البرلمان؟ لنفرض مثلاً أنه لم يستلم راتبه الشهري في الموعد المقرّر، وكان ابنه راقداً في المستشفى، فإن هذا المسؤول لديه – على أية حال - شيء من الوجاهة ويستطيع أن يحل مشكلته، لكن لو كان ابن عامل المنجم في المستشفى ولم يستلم هذا العامل راتبه الشهري فسيواجه مشكلة كبيرة. هناك العديد من هذه الآليات للسيطرة على الأمور وخلق الدوافع وفرض النظام، والتي إن تم تنفيذها لن تبلغ الأمور مرحلة صراخ العامل ومحاولته شكوى ظلامته إلى السلطة القضائية! ولن يحتاج هذا العامل أصلاً إلى أن يرفع صوته صارخاً لإحقاق حقّه! فإن تأخّر راتبه لشهر واحد سيكون مرتاح البال، لأنه سيحدّث نفسه أن: «في الشهر القادم سيقطعون من رواتب المسؤولين ويدفعون رواتبنا». فإن فُعّلتْ أمثال هذه الآليات في بلادنا فلن يرشِّح أي شخص غير مؤهَّل – لا يحب شعبه – لنيابة البرلمان أو لتسنّم مسؤولية! وحتى إن أراد هو ذلك فلن تسمح له أسرتُه! لا بد أن يكون المسؤول محباً للناس، بحيث لو قطعوا راتبه وسددوا به مستحقات العمّال المتأخرة، يقول من صميم قلبه: «هنيئاً لهم!»

لا يجوز أن يدفع الشعبُ ثمنَ الإدارة السيئة وعدم كفاءة المسؤولين!

لو تمّ تنفيذ أمثال هذه الآليات والخطط، سيخفّ العبء على كاهل مجلس صيانة الدستور أيضاً، وستقل مهامه بوضوح في أيام الانتخابات؛ فلن يُقْدم كل مَن هَبّ ودَب على ترشيح نفسه، لأنه سيرى أنَّ قبول المسؤولية في واقع الأمر صعب جداً.

يُمكـن اقـتراح العديـد مـن هـذه المشـاريع أو الخُطـط؛ عـلى سـبيل المثـال، أن يكـون المسـؤولون أنفسـهم هـم الضـمان لبعـض الاسـتراتيجيات والحلـول التـي يقدمونهـا للبلـد، فـإن فشـلوا في تنفيذهـا وتكبّـد البلـد خسـائر ماليـة، فـإن عليهـم تعويـض هـذه الخسـارة؛ كأن يبيعـوا مـا يملكـون وأقاربهـم مـن منـازل وعقـارات لتعويـض خسـارة الشـعب. فـلا ينبغـي أن يدفـع الشـعب دائمـاً ثمـن الإدارة السـيئة وعـدم كفـاءة المسـؤولين وتجاربهـم الفاشـلة! ألم تخطّطـوا للـدولار مثـلاً، فلـماذا باتـت أسـعاره فجـأة ترتفـع وتنخفـض إلى هـذه الدرجـة؟! حسـناً، فلتعوّضـوا أنتـم الشـعبَ عـن الخسـارة التـي تكبدهـا! ومـن خـلال تنفيـذ عـدد مـن هـذه المشـاريع والآليـات، سـيُختم ملـف أبنـاء «السـادة!» المسـؤولين أيضـاً، فلـن يسـمح هـؤلاء الأبنـاء الكسـالى والأرسـتقراطيين لآبائهـم أن يتولّـوا المناصـب، فهـم يعلمـون أنهـم بذلـك سـيُحرَمون مـن الكثـير مـن الامتيـازات!

يمكن تنفيذ الخطط الجيدة في البلاد من خلال ضغط الرأي العام المنظَّم

يمكـن تنفيـذ هـذه الخطـط وتنشـيطها في البـلاد مـن خـلال دراسـة تخصصيـة وممارسـة الضغـوط مـن جانـب الـرأي العـام المنظَّـم. وبالطبـع لا يعنـي ذلـك أن تقـوم الأحـزاب والجرائـد الحزبيـة والتابعـة للتيّـارات السياسـية بريـادة هـذا الأمـر؛ فـلا ينبغـي تفويـض السياسـة لعـدد مـن أسـاتذة الحـرب النفسـية! ولا ينبغـي أن تكـون الأوضـاع بشـكل يُمهِّـد لـكل فـرد يتقـن الحـرب النفسـية خـوض ميـدان السياسـة! فمشـاكل البلـد – بالمناسـبة - قـد زادت منـذ أن دخـل بعـض أسـاتذة الحـرب النفسـية السـاحة السياسـية. أنـا متفائـل حقـاً بمسـتقبل بلادنـا. فقـد بـيّن السـيد القائـد حفظـه اللـه الحلـول لتذليـل الصعـاب، واقـترحَ سـماحته بأمـل راسـخ حـوالي سـبع اسـتراتيجيات لذلـك. والكثـير مـن هـذه الاسـتراتيجيات قابلـة للتنفيـذ بيـد الشـباب مـن دون تدخّـل الحكومـة والبرلمـان! الطريـق مفتـوح أمامنـا ولا ينبغـي أن نتعـب مـن العمـل الـدؤوب. كـما يجـب أن نضـع أعضـاء الحكومـة والمسـؤولين ضمـن إطـار آليـات تجعلهـم حقـاً في خدمـة الشـعب، ويعملـون عـلى حـل مشـاكله.

الإمام الصادق(ع) لأصحابه: لو كان الحكم بأيدينا لكان عليكم العمل ليل نهار، والزهد في المأكل

«عَـنِ الْمُفَضَّـلِ بْـنِ عُمَـرَ قَـالَ: كُنْـتُ عِنْـدَ أَبِي عَبْـدِ اللهِ(ع) بِالطَّـوَافِ، فَنَظَـرَ إِلَيَّ وَقَـالَ لِي: يَا مُفَضَّـلُ مَا لِي أَرَاكَ مَهْمُوماً مُتَغَيِّـرَ اللَّـوْنِ؟ قَـالَ: فَقُلْـتُ لَـهُ: جُعِلْـتُ فِـدَاكَ نَظَـرِي إِلَى بَنِـي الْعَبَّـاسِ وَمَـا فِي أَيْدِيهِـمْ مِنْ هَـذَا الْمُلْـكِ وَالسُّـلْطَانِ وَالْجَـبَرُوتِ؛ فَلَـوْ كَانَ ذَلِـكَ لَكُـمْ لَكُنَّـا فِيـهِ مَعَكُـمْ» (الغيبـة للنعـماني/ ص٢٨٧).

«فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا سِيَاسَةُ اللَّيْلِ وَسَبَاحَةُ النَّهَارِ وَأَكْلُ الْجَشِبِ وَلُبْسُ الْخَشِنِ شِبْهَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ(ع)، وَإِلَّا فَالنَّارُ...». أي لو كان الحكم بيدي لكان عليك أن تسهر الليل حتى الصباح لنخطّط معاً، وأن تعمل طيلة النهار حتى الليل، وتأكل الخبز اليابس (الطعام البسيط) وتلبس الخشن من الثياب، كما كان يفعل أمير المؤمنين(ع)، وإلا فمثواك النار... يقول الإمام(ع): لو كان الحكم بيدي لتوجّب عليك أن تعيش هذا النمط من الحياة، وإلا ستكون عاقبتك إلى نار جهنم. فانظروا اليوم كم من مسؤولينا ستكون النار مثواهم؟ يرى البعض هذه القضايا مجرد دعابة! ثم قال الإمام(ع): «فَزْوِيَ ذَلِكَ عَنَّا فَصِرْنَا نَأْكُلُ وَنَشْرَبُ». إننا نمضي في طريق سينتهي بالظهور، فليُسارع المسؤولون إلى تغيير أنفسهم وإلا فسيتغيرون تلقائياً!

على المسؤولين أن يحبّوا الجماهير، وأن يتجلّى هذا الحب في تعاملهم

لحد الآن شرحنا مبدأين من مبادئ الإدارة. المبدأ الأول هو الكرامة والعزّة، والثاني هو الحب والوفاق. وينبغي أن يكون هذا الحب متبادلاً؛ أي حب الناس للمسؤول، وحب المسؤول للناس. وأشرنا إلى «زيارة الأربعين» كنموذج لهذا الحب والوفاق؛ أي الموقف الذي يُؤْثر الناس فيه بعضهم على بعض من شدّة المحبة. على المسؤولين والمديرين عندنا أن يخلقوا الحب والوفاق. ينبغي أن يكون المسؤول محبّاً للناس، وأن يتجلّى هذا الحب في تعامله وسلوكه. كان لدينا مسؤولون في غاية الصلاح اقتُرح عليهم حين مرضوا السفرَ إلى خارج البلاد للعلاج فرفضوا ذلك. على أن قصصاً أجمل من هذه بكثير نُقلتْ عن بعض مسؤولينا أيضاً، وعلى مؤسسة الإذاعة والتلفزيون أن تنشرها. لكنه حينما يروّج التلفزيون للسلوك السليم لبعض المسؤولين في مسلسلٍ ما يحتج البعض على ذلك قائلاً: «لماذا تعرضون هذه الأمور؟» لأن عرضها يفضح المسؤول السيئ أمام الشعب. إن حبَّ الناس للمسؤولين، وحب المسؤولين للناس هو مبدأ فريد في نوعه. المفكّرون الغربيون يرون أن هذا الأمر مستحيل، لكننا نقول إنه ممكن، وسنطبق ذلك على أرض الواقع؛ وقد شاهدنا نموذجاً لذلك في حرب دفاعنا المقدس؛ حيث كان المجاهدون يحبون قادتهم حباً حقيقاً!

المبدأ الثالث في الإدارة هو "العقلانية والشمولية"/ يجب أن يكون المسؤول عقلانياً وشمولياً

المبدأ الثالث في الإدارة هو «العقلانية والشمولية». يجب أن يتمتع المسؤول بالعقل الراجح والرؤية الشاملة! وتكمن الروح الثورية كلها في هذا المبدأ بالذات! إلى أي مدى يهم العقل؟ على سبيل المثال لاحظوا مدى أهمية العقل في الحياة الفردية. جاء في الرواية الشريفة: «إِنَّمَا يُدْرَكُ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِالْعَقْلِ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ» (تحف العقول/ ص٥٤). وعن أمير المؤمنين(ع): «عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ يَكُونُ الدِّينُ» (غرر الحكم/ ٦١٨٣).

الثورية تعني العقلانية والعمل لمصالح البلد

لا يقولـنّ أحـد فينـا يومـاً: «هـؤلاء كـوادر مبدئيـة!» كلا، نحـن الثوريـين - بالمناسـبة – نطالـب بـأن يتـم التعامـل مـع جميـع القضايـا بعقلانيـة. فلطالمـا نبّـه سـماحة السـيد القائـد إلى أن: التطبيـع مكْلِـف، والمقاومـة أيضـاً مكْلِفـة، لكـن ثمـن التطبيـع أعـلى مـن ثمـن المقاومـة. هـذا الـرأي عقـلاني تمامـاً ولا يُعَـد مبدئيـاً! عـلى سـبيل المثـال نحـن تمكّنـا مـن تعزيـز قدراتنـا في المنطقـة نتيجـة مقاومتنـا بتكلفـة أقـل بكثـير مـما دفعتـه السـعودية. لا تتصـوروا أنـه ثمـة في البلـد فئـة ثوريـة تحـب المقاومـة والصمـود، وهنـاك فئـة أخـرى تقـول: «يجـب أن نـرى أيّ الأمـور توفّـر لنـا مصالحنـا؟» إن الثوريـة - بالمناسـبة - تعنـي أن نلاحـظ بدقـة أي الأمـور تحقّـق مصالحنـا، فنتحـرك بهـذا الاتجـاه بالـذات.

الإيمان ثمرة العقلانية والعلم

لنقـرأ روايـة أخـرى عـن العقلانيـة في الحيـاة الشـخصية: روي عـن أمـير المؤمنـين(ع): «أَعْقَـلُ النَّـاسِ أَنْظَرُهُـمْ فِي الْعَوَاقِـب» (غـرر الحكـم/٣٣٦٧). فالذيـن يتفكّـرون في المعـاد أعقـل مـن غيرهـم. وعـادة مـا يقـال عـن الـذي يفكّـر في المعـاد والآخـرة: إنـه «متديـن ومؤمـن ومعتقـد جـداً!» بينـما يجـب أن نقـول بحسـب هـذه الروايـة إنـه أعقـل، (فـإن كان عقلـه هـو السـبب في تفكـيره في عاقبتـه فهـو إذاً عاقـل جـداً). لقـد تُرجـم «الإيمـان» لبعـض الأشـخاص ترجمـة خاطئـة للأسـف، فالإيمـان هـو في الحقيقـة ثمـرة العقلانيـة والعلـم. كانـوا يقولـون سـابقاً: «إن الإيمـان والعلـم جناحـان...»، أو: «الإيمـان والعقـل جناحـان..»، لكـن لا ينبغـي أن نجعلهـما في مـوازاة بعضهـما البعـض، بـل يجـب أن نقـول: إن الإيمـان ثمـرة العلـم والعقـل. إنّ تصـوّر البعـض عـن الإيمـان هـو ذلـك الإيمـان المعـروف في القـرون المسـيحية الوسـطى، وبهـذا التصـور يمكـن أن يصنَّـف الموضـوع الخـرافي إيمانـاً أيضـاً! لكننـا نـرى الإيمـان نتيجـة العقـل.

رواية عن العقلانية في إدارة الأسرة

تحدثنـا قليـلاً عـن العقلانيـة في الحيـاة الفرديـة، والآن لنتحـدث عـن العقلانيـة في الأسرة، ولدينـا روايـات عديـدة حـول الالتـزام بالعقـل في الحيـاة الأسريـة. عـلى سـبيل المثـال، روي عـن أمـير المؤمنـين(ع) أنـه قـال للإمـام الحسـن(ع) في كتـاب لـه: «إِيَّـاكَ وَالتَّغَايُـرَ فِي غَيْـرِ مَوْضِـعِ الْغَيْـرَةِ، فَـإِنَّ ذَلِـكَ يَدْعُـو الصَّحِيحَـةَ إِلَى السَّـقَمِ وَالْبَرِيئَـةَ إِلَى الرِّيَـبِ» (الـكافي/ج٥/ص٥٣٧). فالغـيرة في غـير محلهـا لهـا آثـار سـيئة. ثـم يتابـع(ع): «وَلَكِـنْ أَحْكِـمْ أَمْرَهُـنَّ فَـإِنْ رَأَيْـتَ عَيْبـاً فَعَجِّـلِ اَلنَّكِـيرَ عَـلَى اَلْكَبِـيرِ وَاَلصَّغِيرِ وَإِيَّـاكَ أَنْ تُعَاتِـبَ فَيَعْظُـمُ اَلذَّنْـبُ وَيَهُـونُ اَلْعَتْـبُ اَلْخَـبَرَ»؛ أي: إن رأيـت منكـراً فاسـتنكره وتصـدى لـه، لكـن لا تتشـدّد إن كان هـذا المنكـر غـير مؤكّـد.

بعض الأمهات يلوم الأولاد كثيراً، هذا وقد أوصي بعدم ملامة الطفل في الأسرة لأن هذا يجعله عنيداً.

بحسب الرواية، يجب أن يتّصف الرجل بثلاث سِمات لإدارة المنزل:

وفيما يتعلق بمبادئ الإدارة على مستوى الأسرة والسِمات الضرورية لها، فقد جاء في الرواية الشريفة: «إِنَّ الْمَرْءَ يَحْتَاجُ فِي مَنْزِلِهِ وَعِيَالِهِ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالٍ يَتَكَلَّفُهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي طَبْعِهِ ذَلِكَ: مُعَاشَرَةٌ جَمِيلَةٌ، وَسَعَةٌ بِتَقْدِيرٍ، وَغَيْرَةٌ بِتَحَصُّنٍ» (تحف العقول/ ص٣٢٢). فينبغي للرجل أن يتحلّى بهذه الخصال الثلاث، ويمارس إدارة منزله من خلالها، حتى إن لم تكن هذه الخصال من طبعه؛ عليه أن يتخلّق بهذه الأخلاق رغماً عنه، وإلا سيفسد بيئة أسرته. (فلا بد لك، في النهاية، حين تصبح مسؤولاً عن أسرة من الالتزام بهذه الخصائص حتى إن لم تكن جزءاً من طباعك). أما الخصلة الأولى فهي: «مُعاشَرَةٌ جَميلة»، أي عليك بحُسن المعاملة؛ فهذه الخصلة مهمة جداً في الأسرة. والخصلة الثانية هي: «وَسَعَةٌ بِتَقْدِيرٍ»، أي لا يقتّر الرجل على عياله، لكن ينفق الأموال وفق منهجة معيّنة. فالتقدير يعني أن يُنفق بقدر؛ فلا يبذّر أمواله عبثاً، ولا يضيّق على عياله أيضاً. أما الخصلة الثالثة فهي: «وَغَيْرَةٌ بِتَحَصُّنٍ»؛ فينبغي أن يشعر الرجل بالغَيرة والمسؤولية تجاه عياله وأسرته، وأن يُظهِر هذا الشعور بالمسؤولية في تعامله. ينبغي أن يتّصف الرجل بهذه الصفات الثلاث ولا يَركَن إلى التكاسل والتقاعس والخصال السيئة الأخرى.

بحسب الرواية، إن عاتبتَ ولدك الشاب فلا تقسُ عليه، ودعه يُقدّم عذره إن أراد

وفيما يتعلق بإدارة الأسرة وتربية الأولاد، ورد في رواية أخرى عن أمير المؤمنين(ع): «إذا عاتَبتَ الحَدَثَ فَاترُك لَهُ مَوضِعاً مِن ذَنبِهِ»، أي إذا عاتبتَ الفتى فلا تقسُ عليه، واسمح له أن يقدّم لك الأعذار إن أراد ذلك (كأن يقول مثلاً: كلا، هكذا جرت الأمور على أية حال و...، فتقول أنت: حسناً، قبلت عذرك). لا تتعامل معه بحيث يشعر أنك تتنمّر عليه، فيُنفّس فجأة عن هذا الضغط في موضع آخر: «لِئَلّا يَحمِلَهُ الإخراجُ عَنِ المُكابَرَةِ». يمارس البعض الضغوط على الطفل إلى درجة خنقه! فيأمره بالإكراه: «لا بد أن تُصلح نفسك...». وفي مثل هذه الحالة سيضطرب الطفل نفسياً، أو يتحول إلى كذّاب، أو يُصاب بالعُقَد النفسية، أو يكتئب، أو يُبتلى بعُقدة الحقارة، ...الخ. كل هذا يدل على ضرورة العقلانية والشمولية في إدارة الأسرة. والسؤال المطروح هنا هو: «ماذا عساي أن أفعل الآن؟ هل أتشدّد أو أتساهل [مع أعضاء أسرتي]؟» في الحقيقة لا يستطيع أي فقيه تقريباً أن يجيبك على هذا السؤال! فأنت مَن يجب أن يكتسب عقلية الإدارة، ويتمتّع بقدرة التخطيط والمنهجَة؛ هذه هي الملاحظة المهمة.

ينبغي أن يكون المدير عاقلاً. لكن ما معنى العقل؟ العقل هو أن تستطيع تمييز الأحسَن من بين أمرَين حَسنَين. وأن تُميّز الأسوأ من بين أمرين سيّئين. فقد جاء في رواية شريفة: «لَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ مَنْ يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرَّيْن» (ميزان الحكمة/ ح١٣٦٠٢). هذا هو الفرق بين العقل والعلم.

عن الكاظم(ع): «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً قَطُّ إِلاَّ عَاقِلاً»

نحن نتكلم عن ضرورة العقلانية في الإدارة، والإسلام أيضاً لا يتوقع سوى العقلانية في الإدارة. ولو عرضتم هذا الكلام على المنصف من معارضي الثورة أيضاً سيقبل به. روي عن الإمام موسى بن جعفر(ع): «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً قَطُّ إِلَّا عَاقِلاً» (المحاسن/ ج١/ ص١٩٣). ثم يتابع الإمام(ع) قائلاً: «وبَعْضُ النَّبِيِّينَ أَرْجَحُ مِنْ بَعْض»، أي بعض النبيين كان أعقل من البعض الآخر. ثم يقول(ع): «وَمَا اسْتَخْلَفَ دَاوُدُ سُلَيْمَانَ حَتَّى اخْتَبَرَ عَقْلَهُ وَاسْتَخْلَفَ دَاوُدُ سُلَيْمَانَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَة». فالنبي داود(ع) استخلف سليمانَ(ع) بسبب غزارة عقله، إذ كان يبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة فقط! لماذا؟ لأنه كان غزير العقل.

بناء على المعايير العقلية، هل يُعد "الاتفاق النووي" أمراً حسناً أو سيئاً؟

يُسمّوننا: «الكوادر المبدئية!» هذا ونحن لا نرمي إلى شيءٍ سوى العقل! فلاحظوا مثلاً، هل يُعد الاتفاق النووي أمراً جيداً أو سيئاً حسب المعايير العقلية؟ إن كنا قد حقّقنا مصالحَنا بالاتفاق النووي فهو أمر حسن وجيد، وعلينا أن نستمر بمثل هذه الإجراءات، أما إذا لم نصل إلى نتيجة من هذا الاتفاق فالعقل يقول لنا أن لا نكرّر هذه الخطوة. فالقضية هنا ليست قضية مبادئ وقِيَم وروح ثورية وما إلى ذلك، بل هي العقلانية، وأن نرى هل حقّقنا مصالحنا أم لا؟ وبالطبع يجب أن نأخذ «جميع مصالحنا» بعين الاعتبار، لا أن نهتم بجزء بسيط منها، إلى درجة قول أحد السياسيين الغربيين: «أيُّ تنازلات تعهّد بها القوم من أجل بضع طائرات!»

علي(ع): أربع أمور تُهدِّم الدول/ المسؤول الذي يقيم الدنيا ولا يقعدها من أجل إلغاء حفل موسيقي أكثر من حزنه على إغلاق المصانع هل يعد عاقلاً؟

هناك في رواياتنا الكثير عن الإدارة والتخطيط. على سبيل المثال روي عن أمير المؤمنين(ع): «يُسْتَدَلُّ عَلَى إِدْبَارِ الدُّوَلِ بِأَرْبَعٍ: تَضْيِيعُ الْأُصُولِ، وَالتَّمَسُّكُ بِالْغُرُورِ...» (غرر الحكم/ ١٠٩٦٥). يرى الإمام علي(ع) أن أربع أمور تقضي على الدول: أولها ترك الأهمِّ من القضايا والاهتمام بالقضايا الفرعية.

للأسـف لم يتـألم بعـض المسـؤولين لأجـل بعـض القضايـا المهمـة ك»إغـلاق المصانـع» كتألمهـم عـلى «إلغـاء الحفـلات الموسـيقية»! حسـناً، ألا يعـد هـذا التـصرف حمقـاً؟ بـل لـو عُـدّ الحفـل الموسـيقي مـن المسـتحبّات وكان ثوابـه أكـثر مـن ثـواب مأتـم أبي عبـد اللـه الحسـين(ع) أيضـاً، فالمسـؤول الـذي يتـألم مـن أجـل إلغـاء الحفـل الموسـيقي بينـما لا يأبـه بإغـلاق المصانـع - والـذي يتسـبب في بطالـة آلاف العُـمّال - فهـو مخطـئ! الملاحظـة الأخـرى التـي يشـير إليهـا أمـير المؤمنـين(ع) هـي: «وَتَقْدِيـمُ الْأَرَاذِلِ، وَتَأْخِيـرُ الْأَفَاضِـلِ»، أي تقدّمـون الـدنيء والحقـير مـن الأشـخاص، وتؤخّـرون ذوي الكفـاءة

علي(ع): إذا جمعتم الضرائب أكثر من إعماركم البلاد فقد أضررتم بالبلد

قـال أمـير المؤمنـين(ع) في مـا روي عنـه في كتـاب لـه لمالـك الأشـتر: «وَلْيَكُـنْ نَظَـرُكَ فِي عِـمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَـغَ مِـنْ نَظَـرِكَ فِي اسْـتِجْلَابِ الْخَـرَاجِ ِ لِأَنَّ ذَلِـكَ لَا يُـدْرَكُ إِلَّا بِالْعِـمَارَةِ» (نهـج البلاغـة/ الكتـاب٥٣). أي عليـك أن تجعـل همّـك في إعـمار البلـد أكـثر مـن اهتمامـك بأخـذ الضرائـب، فـإن البـلاد إذا لم تَعمُـر لا يتمكـن أحـد مـن دفـع الضريبـة، وإنـك إن جَمعـتَ الضرائـب مـن النـاس فسـتدمّر البـلاد أكـثر مـن إعـمارك إيّاهـا! عليـك بالإعـمار أولاً، ثـم خُـذْ الضرائـب. يجـب أن تركّـز همّتـك عـلى الإعـمار أكـثر مـن تركيـزك عـلى جمـع الضرائـب. فإنـك إن جمعـتَ الضرائـب أكـثر مـن إعـمارك البلـد تكـون قـد أضرَرتَ بـه. وهـل هـذا الـكلام سـوى العقلانيـة؟! ثـم يقـول(ع): «وَمَـنْ طَلَـبَ الْخَـرَاجَ بِغَيْـرِ عِـمَارَةٍ أَخْـرَبَ الْبِـلَادَ وَأَهْلَـكَ الْعِبَـادَ وَلَـمْ يَسْـتَقِمْ أَمْـرُهُ إِلَّا قَلِيـلاً»، أي مَـن يأخـذ الضرائـب مـن دون أن يعمّـر منطقـةً أو يبعـث ازدهـاراً اقتصاديـاً فهـو يُهلـك الشـعب ولا يسـتطيع الاسـتمرار بالحكـم طويـلاً.

يمنع البعض الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال الكبت النفسي والإعلامي

وهــذه هــي العقلانيــة بعينهــا! المهــم هــو أن لا يــدوس المســؤول عــلى «العقــل والتجربــة»، فــلا يهمّنــا إلى أي تيــار ســياسي ينتمــي هــذا المســؤول. لكــن بعــض السياســيين ووســائل الإعــلام التــي تحــذو حــذو الــ»بي بي سي»، ولأجـل خلـق حالـة مـن الكبـت النفـسي، يُلصقـون التُهَـم بـأن «فلانـاً ينتمــي إلى التيّــار الفــلاني!» أي إنهــم، ومــن خــلال إلصــاق وصمــة التياريّــة السياســية بالمنتقديــن، يعمـدون إلى تكميـم الأفـواه نفسـياً، وهـو مـا يـؤدي إلى السـكوت عـن الحـق، وطمـس فريضـة الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر. أنـا أقـول لبعـض الأصدقـاء: «لمـاذا لا تجهـر بالـكلام الحـق الفـلاني؟» فيجيــب: «لأني إن جهــرتُ بــه أصبحــت تياريّــاً! أي اتُّهمــتُ بانتــمائي إلى التيّــار الســياسي الفــلاني!» هكــذا هــو الوضــع الراهــن مــع الأســف! أنــا لا ألعــن تــاركي فريضــة الأمــر بالمعــروف والنهــي عــن المنكـر، بـل ألعـن الذيـن يحولـون، مـن خـلال الكبـت النفـسي والإعلامـي، دون أداء هـذه الفريضـة!

صاحب الزمان(عج) سيخاطب أصحابه بكلام يشابه كلام الإمام الحسين(ع)!..

لقد خرج أبو عبد الله الحسين(ع) لإقامة الحكم، لكن هذا الأمر لم يتحقق، فقال لأصحابه في ليلة العاشر من المحرم: «إنّي غداً أُقتل وتُقْتَلون كُلّكم معي، لا يبقى منكم واحد» (إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات/ ج٤/ ص٥٣). فلم يبق منهم إلا أهل الكرم والمروءة والتضحية. وسيقول الإمام الحجة بن الحسن العسكري(عج) كلاماً مشابهاً لهذا الكلام لأصحابه، مع فرق بسيط. فالإمام(ع) لن يسمح لمَن كان أدنى شأناً من أصحاب الإمام الحسين(ع) أن يبقى معه، إذ إنّ الصعاب التي ينبغي أن يتحملها أصحاب ولي العصر(عج) لا تقل عن الشهادة؛ فهنا يجب أن تبذل سمعتك، وتنفق أموالك، وتتحمّل المشاق... إن ليلة عاشوراء هي ليلة أمانينا أيضاً. تصوّروا أنّ صاحب الزمان(عج) قد جمع أصحابه حوله وهو يخاطبهم: «من يريد الذهاب فليذهب، ومن يريد البقاء فليبقَ!» ولن يبقى مع الإمام(ع) سوى مَن كان مستعداً للموت بين يديه، هؤلاء فقط هم مَن سيبقى معه، وينصره! حين قصد الإمام الحسين(ع) الكوفة قام البعض بخلق أجواء جعلت الناس يقول بعضها لبعض: «الويل لنا! هذا الحسين قادم إلينا يريد إقامة حكم علي(ع) من جديد، فلنذهب لقتله!» وبالطبع كان هناك الخوف من جيش يزيد أيضاً، لكن انظروا كيف أرعبوا الناس من الحكم العلوي للإمام الحسين(ع)، بحيث دبّ فيهم الهلع، وسحبوا أنفسهم، في حين كان معظمهم – من الناحية الأخلاقية - لا يرغبون في قتل الحسين(ع). هل تعلمون لماذا لا يظهر صاحب الزمان(عج)؟ لأنه يشبه أبا عبد الله الحسين(ع) خُلُقاً. كان أبو عبد الله(ع) يقول لأصحابه: «اذهبوا! فإن بقيتم معي ستُقتَلون!» وكأنّ صاحب الزمان(عج) يقول لنا اليوم أيضاً: «مارسوا أعمالكم فأنا لا أزعجكم، لنؤجّله [الظهور] إلى إشعار آخر، فقد اعتدتُ على هذه الغربة...» وإذا قال أحد: «سيدي! اسمح لي أن آتي لمساعدتك!» فسيجيب الإمام(ع): «هذا الأمر شاقٌ عليك، اذهب يا عزيزي فلا أريد أن تتأذى!» هذه هي أخلاقه وشيَمه! فليرحل عنه كل مَن له شغل شاغل، ليرحل عنه كل من يفكر في نفسه... في هذه الليلة ستُوقَّع صكوك الشهادة للعشّاق! فكل من يرغب في البقاء هذه الليلة في خيمة الإمام(ع) فلينتحب انتحاباً يجعله مقبولاً عند صاحب الزمان(عج). لأن إمام زمانك هو الذي يجب أن يقبلك اليوم! ثم قل: يا أبا عبد الله! لن أخرج الليلة من خيمتك حتى يكتب مهدي فاطمة(عج) اسمي في أسماء أصحابه...

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستعداد للظهور،
إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ١١)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: محرم ١۴۴١

المكان: طهران، جامعة الإمام الصادق(ع)

الموضوع: الاستعداد للظهور،

إصلاح الإدارة على مستوى الأسرة والمجتمع (المحاضرة ١١)

التاريخ: ١٠/ محرم / ١٤٤١ – ١٩/ ٩/ ٢٠١٩

المبدأ الرابع في الإدارة هو "الكفاح والصلابة"/ من يطمع بالرئاسة لا يستطيع تنفيذ المبادئ الأربعة للإدارة/ ما هو دور "التقوى" في الإدارة؟

لا بد أن يكون المدير مثابراً وأن يمتلك طاقة مضاعفة لممارسة العمل، فالمدير الكسول ليس بمدير! مَن يعجز عن العمل بمقدار ضِعف الإنسان العادي على الأقل لا ينبغي تعيينه مديراً! إذا شاهدتم مديراً يعمل بمقدار عمل الموظف البسيط فاعلموا أنه محتال ويسيء استغلال منصبه.

الاطلاع على شؤون الإدارة ضروري لجميع أفراد المجتمع وليس للمديرين فحسب!

المعرفة بموضوع الإدارة لا تختص بالمديرين في المجتمع، بل إن الاهتمام بالإدارة وكفاءات المدير وحتى «التدريب لتولّي الإدارة» ضروري لجميع أفراد المجتمع. مثلما أنه من الخطأ أن نقول: «لا يحتاج إلى فهم الأفلام إلّا الفنانين ومنتجي الأفلام»؛ لأن جميع المستفيدين من هذا المُنتَج الثقافي بحاجة إلى أن يفهموا الفلم. بعبارة أخرى لا بد أن يطَّلِع الجميع، إلى حدٍ ما، على طريقة صناعة الفلم وكتابة السيناريو، ولولا ذلك سيواجه الناس مشكلة في استخدامهم لهذا المُنتَج الثقافي. لو كان الناس في المجتمع جاهلين بموضوع «الإدارة»، وكانوا يفتقرون إلى المهارات الإدارية الضرورية للحياة الشخصية والعائلية والجماعية، فإنهم، بطبيعة الحال، سيُخدَعون ويتم التحكم بهم من الأشخاص الذين يرغبون في إشغال المناصب الإدارية في المجتمع، وعددهم ليس بقليل. وفي حقل الاقتصاد أيضاً، ينبغي أن يفهم الناس القضايا الاقتصادية الكبرى. بالطبع ليس المقصود من ذلك فَهْم البحوث النظرية الجافة في الاقتصاد، بل أن يكونوا على إلمام بما هو موجود على أرض الواقع؛ كأن يطّلِعوا على المنتجات المحلّية أو الأجنبية المستخدمة يومياً؛ فيعلمون مثلاً ما هو معدل دَوَران رأس المال لهذه المنتجات؟ وما هي عوائدها على مستورديها؟ وعند ضرب هذا المبلغ في عدد الزبائن فأي عائد هائل سيحصل؟ وقضايا من هذا القبيل. على الرغم من توفّر الإمكانات العديدة في حياتنا الاجتماعية، كالجوّالات ومواقع التواصل الاجتماعي وأمثالها، فإن نمط حياتنا اليوم، للأسف، جعل عموم الناس تقريباً غارقين في الجهل بالقضايا المفتاحية والكبرى الاقتصادية، والثقافية، والفنيّة، والإدارية، والسياسيّة، فينبغي أن تزداد معلومات الناس الدقيقة في هذه المجالات. وينبغي أن يتلقّى التلميذ في المدرسة أيضاً تعليماً أفضل في هذا الخصوص، ليس من النوع الذي لا ينفعه في شيء، بل تعليم تطبيقي حول التفاصيل المفيدة لحياته اليومية، والذي يستطيع أن يستخدمه في حواراته الاجتماعية بحيث يشعر والده أنه قد تأخّر عن ابنه في هذه المعلومات - والتي تعد ضرورية لحياته اليومية - فيحاول هذا الأب اللحاق بابنه، كأن يقول له مثلاً: «ولدي، أعطني كتابك هذا لأطالعه»...

القدرة ضرورة أكيدة للإدارة على مستوى حياتنا الشخصية

ينبغي أن تكون معرفتنا كبيرة ومعلوماتنا دقيقة في حقل الإدارة، ولا سيما بالنسبة للقضايا الحاسمة في الساحة السياسية. كما أننا نحتاج إلى الإدارة والتخطيط والتوجيه والتحكّم في حياتنا الشخصية أيضاً. إن القدرة ضرورة أكيدة للإدارة على مستوى حياتنا الشخصية. إن استعمالنا مفردة «الإدارة» في مجال الأمور الشخصية؛ كتهذيب النفس ومقارعة الهوى هو استعمال في غاية الدقة. وفي الآونة الأخيرة بات هذا المصطلح يستخدم أكثر في العلوم الإنسانية على وجه التحديد. حين يريد المرء محاربة هواه يجب أن نقول له: «إنك تتحكَّم في رغباتك فحسب، فليس من المقرر أن تقمع أيّاً منها، بل إنك تحدّد لها زمناً معيّناً، وتعيِّن لها الأولويات، وتضع لها ترتيباً، وتسيطر عليها». هذا النمط من الرؤية يقلّل من حرص الناس على ارتكاب المعصية. إن تعابير إدارة النفس، وإدارة الأهواء، وإدارة الذات هي من أدق وأبرز التعابير التي تشجِّع المرء لكي يمارس هذا النهج، ويبدأ بالتحكّم بنفسه وإدارة رغباته. وهناك روايات عديدة في هذا المجال.

في ما يتعلق بالأسرة، لماذا نستخدم تعبير "إدارة الأسرة"؟

إضافة إلى «إدارة المجتمع» و»إدارة الذات»، نحن بحاجة إلى الإدارة في الأسرة أيضاً، وهذا الموضوع هو جزء آخر من أهداف بحثنا هذا. ينبغي أولاً أن يُحسَم موضوع الإدارة في الأسرة، ويُعيَّن التسلسل الإداري، وتُلحَظ الأدوار الإدارية المختلفة، ثم يتم بعد ذلك البتّ في الأمور الأخلاقية. من المناسب جداً أن نستعمل مفردة الإدارة في ما يتعلق بالأسرة. فحين تختص الإدارة العاطفية بالمرأة فلن تقول بعد ذلك: «أنا مرؤوسة»، لأنها المديرة العاطفية في الأسرة، بل هي أساساً المديرة العاطفية في المجتمع أيضاً. وقد كُلِّفَت المرأة بالإدارة في بعض القضايا، على سبيل المثال حين يُقال للمرأة: «إن مسؤولية الحجاب تقع على عاتقك» فذلك يعني أنّ عليك إدارة العلاقة بين الرجل والمرأة. وقد مكر الغربيون مكراً عظيماً وخدعوا الناس خدعةً كبرى في هذا المجال، حيث جَرَّدوا المرأة من مسؤولية إدارة علاقتها مع الرجل، ليُفوِّضوا هذه المسؤولية إلى الرجال؛ لأنّه في مثل هذه الحالة سيُفضِّل الكثير من الرجال أن تخرج المرأة إلى المجتمع بأزياء غير محتَشمة. أما إذا أرادت النساء حقاً إدارة العلاقة بين الرجل والمرأة فستكون القضية مختلفة تماماً. بوسعكم، من خلال الرجوع إلى الرأي العام في كل مجتمع، دراسة الطريقة التي تنتهجها المرأة في النهوض بدورها في إدارة العلاقة بين الرجل والمرأة، والتوصل – بما يتناسب مع كل ثقافة - إلى النتائج المرجّوة. فإن علمت المرأة أنها المديرة العاطفية في المنزل فستقف على دورها المفتاحي والحسّاس في إدارة زوجها وأطفالها، وكذلك في طريقة هذه الإدارة.

المبادئ المشتركة بين إدارة الذات، وإدارة الأسرة وإدارة المجتمع

كما ذكرنا سابقاً، ثمة مبادئ مشتركة بين إدارة الذات، وإدارة الأسرة، وإدارة المجتمع. فعلينا أن نتحكّم في أهوائنا في حياتنا الفردية؛ أي لا نسمح لميولنا الدنيا والحقيرة أن ترى الضوء، ولا نقيم لها وزناً إلّا بقدر الضرورة. وبالطبع علينا أن نقضي على بعض الميول الدنيئة والسيئة، كالميل إلى «الحسد» و«الكِبر». وعلى المقياس الاجتماعي أيضاً يجب علينا أن نقارع الهوى. والمقصود من الهوى في البعد الاجتماعي، في الحقيقة، هو الفراعنة والطواغيت. فكما ينبغي علينا أن نخالف أهواء أنفسنا في حياتنا الفردية، يجب أن نقارع أهواء الذين يريدون التسلط علينا، وبنفس الشدّة والحِدّة. منطِقُنا في مقارعة الطاغوت هو أن نقول له: «أنا لم أفسح المجال لهواي كي يمتطيني، فهل تريد أن أسمح لهواك أن يمتطيني؟!» بعبارة أخرى إنَّ منطق النضال ضد الطاغوت هو منطق مقارعة الهوى ذاته الموجود في كيانك. وإن منطق حُكم الرعية هو منطق رعاية الأسرة نفسه، وهو منطق الشفقة والرحمة بنفسك أيضاً؛ أي لا تسمح أن تضيع قدراتك هباءً. إنّ اشتراك «المبادئ الأساسية للإدارة الناجحة» على مستوى إدارة الذات والأسرة والمجتمع له بركات كثيرة، ويُبرز حقائق كل من هذه المستويات الإدارية للإنسان بشكل أجمل.

لا بد من الالتزام بترتيب مبادئ الإدارة/ لماذا لا ينبغي تقديم "المحبة" على الأدب (حفظ الكرامة) في الأسرة؟

لقد طرحنا لحد الآن ثلاثة مبادئ للإدارة، وسنطرح اليوم في هذه المحاضرة مبدأً آخر (باعتباره المبدأ الرابع والأخير في هذه السلسلة من المحاضرات). المبدأ الأول في الإدارة كان مبدأ الكرامة، سواء في إدارة الذات؛ حيث ينبغي أن تحافظ على كرامتك، أو في إدارة الأسرة؛ حيث يجب أن يرتفع مستوى الاحترام والأدب؛ لأن الاحترام والأدب وسيلتان للكرامة والعزّة. فمَن قدّم في الأسرة المحبةَ على الأدب فسيدمِّر كل شيء. وعلى الرغم من أنّ الحب مبدأ إداري لكن إن قدَّمناه على الأدب فسيقول الطفل مثلاً: «بما أنني لا أحبك فلا داعي لأن ألتزم بالأدب كذلك!» لا بدَّ أن تجعلوا الأدبَ قبل المحبة، ليحتفظ الأدب بمنزلته حتى مع تقلّبات القلب. بطبيعة الحال يشعر أعضاء الأسرة بالراحة مع بعضهم البعض، لكن لهذه الراحة حدوداً ترسمها الكرامة والعزّة. فينبغي ألّا يتجاوزوا هذه الحدود في معاملتهم الحميمة، ويحترموا كرامة بعضهم البعض وعزّتهم. إذاً من المهم مراعاة الترتيب في هذه المبادئ؛ فالمبدأ الأول هو الكرامة والعزّة، والمبدأ الثاني هو المحبّة.

إن احترام كرامة الناس على مستوى المجتمع أيضاً لها الأسبقية على المبادئ الأخرى

إن الكرامة هي المبدأ الأول في إدارة المجتمع أيضاً. بتعبير آخر، لا بدَّ أن تكون إدارة المجتمع بشكل تجعل كرامة أبناء الشعب وعزّتهم فرداً فرداً في الأولويّة. بل إن كرامة أفراد المجتمع أهم حتى من ثراء المجتمع عامةً ورفاهيته. كان البعض يقول في نظرياته: «علينا أن ننعش المجتمع كله، ونعمل على تنميته؛ نعم، في خِضَم هذه العملية قد تقاسي بعضُ شرائح المجتمع البؤسَ والشقاءَ، فنتصدّق عليها أيضاً!» هذا الرأي هو في الحقيقة نظرية المجتمعات العلمانية الغربية، وهي نظرية متزعزعة. ولسنا نرفض هذه النظرية من حيث المبدأ فحسب، بل من منظار العقلانية أيضاً إذا أراد النظام الرأسمالي أن يُطوِّر المجتمع بكليته دون الاهتمام بكرامة الشعب فرداً فرداً فسينهار ذلك المجتمع بعد مدة؛ تماماً كالمجتمعات الغربية التي تواجه المشاكل الآن، وسنشهد انهيارها أكثر في المستقبل.

لمحة عن المبدأ الثاني في الإدارة: "المحبة"

إن المبدأ الثاني في الإدارة - كما أشرنا إليه سابقاً - هو مبدأ المحبة. فالحب موضوع مهم جداً في الإدارة؛ سواء على المستوى الفردي، أو الأُسري، أو الاجتماعي. تُعد مناوأة الأرستقراطية، ورعاية حقوق أبناء الشعب بمحبة، وخلق العلاقة العاطفية فيما بينهم من مبادئ الإدارة التي يكاد المجتمع البشري في عصرنا الراهن أن يصل إليها. طبعاً لا يُذكَر مبدأ المحبة في غالبية الكتب الدراسية الخاصة بعلم الإدارة، كما لا يعيرون اهتماماً كبيراً بمبدأ الكرامة أيضاً، مع أن هذين المبدأين سيخلقان تحولاً في الإدارة. مَن يتقن العمل فقط من دون أن يحب الشعب فسيكون قلبه عامراً بحب أمورٍ أخرى بالتأكيد؛ فمثل هذا الشخص إمّا سيرتكب الأخطاء، وإمّا سيخون الشعب.

لمحة عن المبدأ الثالث: "العقلانية والشمولية"

إن المبدأ الثالث في الإدارة هو العقلانية والشمولية؛ أي لا يكفي أن يكون المدير كريماً ومحباً للشعب، بل يجب أن يُتقن اتخاذ القرارات والتخطيط والبرمجة! ولذلك ينبغي أن يكون المدير عاقلاً وشمولي الرؤية، ولا حاجة لإضافة أي مبدأ ديني أو ثوري آخر لذلك. نحن قمنا بالثورة أساساً لكي يحكم العقل؛ وصاحب الزمان(عج) أيضاً حينما يظهر سيمسح بيده المباركة على رؤوس الناس فتتكامل عقولهم، وبالنتيجة سيعيش الجميع حياة طيبة. «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَضَعَ اللهُ يَدَهُ عَلَى رُءُوسِ الْعِبَادِ فَجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُمْ وَكَمَلَتْ بِهِ أَحْلَامُهُم» (الكافي/ ج١/ ص٢٥). وصاحب الزمان(عج) نفسه هو العقل الكلي!

الثوريّة أيضاً تعني العقلانية، فنحن إنما ثُرنا لكي لا يحكم الجهل، بل ليحكم العقل. فما هو دور الدين في هذا المضمار يا ترى؟ إنّ الدين هو مُحرِّك العقل ودليله. والسبب في أن الدين لم يشرح لنا الكثير من التفاصيل يعود إلى أنه يريد أن نُشغِّل عقولنا، ونستخرج التفاصيل من العموميات التي بيَّنَها لنا. وبالطبع تعاني أدبياتنا الدينية، وحتى الثورية، من نقائص كبيرة! فبعض المفردات الواردة في هذه الأدبيات باتت تؤدي تلقائياً إلى إساءة الفهم؛ مثل مفردة «القِيَم»، أو «الأخلاق»! بينما لو استخدمتم مفردة «العقلانيّة» وتبنيتم الأدبيات العقلانيّة بدلاً عن جميع هذه الكلمات لزال الكثير من سوء التفاهم.

التعبّديات هي أيضاً عقلانية/ الدين دليل العقل

لا يلتفت الكثير من الناس إلى أن التعبّديات [في شريعتنا] هي أيضاً عقلانية، وقد يفكّرون في أن العبادة سلوك غير عقلاني! في حين أنه يُقال في علم النفس: «لا يهم إن كنت تؤمن بالله أو لا، فالابتهال إلى ربٍّ ما نافع جداً لروح الإنسان على أي حال». كما أنه إن قال لك عقلك «إن الله موجود»، فهذا العقل أيضاً سيقول لك بطبيعة الحال: «إن الاتصال مع هذا المصدر من النور والطاقة أمر ضروري». وإن العقلانية موجودة ليس في أصل العبادة فحسب، بل في تفاصيلها أيضاً. على سبيل المثال كان آية الله البهجت(ره) يقول: «عقل الإنسان قادر على أن يفهم أيضاً لماذا نصلّي الصبح ركعتين، أو الظهر أربع ركعات، ...الخ»، لكن عقولنا عاطلة عن العمل فلا ندرك هذه الأمور، وبالنتيجة نقول: علينا أن نصلي بهذا الأسلوب لأن الله تعالى قد أمرنا بذلك! والآن السؤال المطروح هو: إن كانت عقولنا قادرة على فهم جميع هذه الأمور فما هو إذاً دور الدين في هذا الخضم؟ والجواب: إن الدين هو «هادي العقل». كان آية الله البهجت(ره) يقول: «الدين» و«العقل» يكفيان لإدارة الكرة الأرضية (در محضر بهجت (في رحاب البهجت)/ ج٢/ ص٤٣).

بحسب الرواية، المدير الذي لا يبالي بالتجربة "شقي"

إن «العقلانية» من المبادئ المهمة والضرورية في الإدارة. روي عن أمير المؤمنين(ع) أنه كتب كتاباً لأبي موسى الأشعري - الذي كان يُمثِّله في التفاوض مع معاوية - قال فيه: «إنَّ الشَّقِيَّ مَن حُرِمَ نَفعَ ما أُوتِيَ مِنَ العَقلِ والتَّجرِبَةِ» (نهج البلاغة/ الكتاب٧٨). مَن لا يهتم بتجربته فهو شقي. بناءً على ذلك، إنَّ المدير الذي لا يهتم بالتجربة أيضاً سيكون «شقيّاً» بطبيعة الحال. واليوم هذا هو كلام مُوالي الثورة في المجتمع أيضاً، فتراهم يقولون: «لماذا تتجاهلون التجربة؟» لأن أمير المؤمنين(ع)، وهو أمير الثوّار، يقول: إن الشقي هو من لا يبالي بالتجربة!

السيّد القائد: العقلانيّة الحقيقية كامنة في الثورية/ تكلفة التطبيع أكثر من تكلفة المقاومة

لَـئن درسـتم أدبيـات السـيد القائـد، ولا سـيما في السـنوات الخمـس الأخـيرة، للاحظتـم أن سـماحته قـد شرح هـذا الموضـوع مـراراً، فقـال مثـلاً: «لا يخلـق البعـض فجـوة بـين العقلانيـة والـروح الثوريـة، فالعقلانيـة والثوريـة حقيقـة واحـدة! (يطـرح البعـض عنـوان العقلانيـة ومفهومهـا في مقابـل شـعارات الثـورة، وكأن العقلانيـة هـي النقيـض للثوريـة. كلا! هـذا خطـأ. فالعقلانيـة الحقيقيـة كامنـة في الـروح الثوريـة) (خطـاب سـماحته في مرقـد الإمـام الخمينـي(ره)، ٢٠١٧/٠٦/٠٤). إن سـماحة السـيد القائـد يطـرح مقاومـة الاسـتكبار طرحـاً عقلانيـاً وليـس عَـبر أدبيـات دينيـة أو ثوريـة، فيقـول: «المقاومـة مُكلِفـة، لكـن كلفـة التطبيـع والاستسـلام تفـوق كلفـة المقاومـة بأضعـاف». إذاً فمـن صالحنـا أن نقـاوم. بـل لـو حسـبتم التكاليـف بالأرقـام لوجدتـم أنّ ثمـن التطبيـع أعـلى. أنـا أطلـب إلى طـلّاب الجامعـة الأعـزاء أن يحسـبوا نفقـات السـعوديين، ثـم يحسـبوا نفقاتنـا نحـن (مـع الأخـذ بنظـر الاعتبـار النجـاحَ الـذي حققنـاه في المنطقـة)؛ انظـروا كـم أنفـق آل سـعود في اليمـن؟ وكـم صرَفـوا عـلى الإرهابيـين في المنطقـة؟ وكـم دفعـوا لأمريـكا مبـاشرةً إتـاوة؟ وكـم أنفقـوا ليضعـوا بترولهـم تحـت تـصرف الأمريـكان؟ لـو حسـبتم كل هـذا سـتعلمون أننـا لم ننفـق حتـى واحـد بالمئـة منـه، لكننـا اليـوم متفوّقـون عليهـم! فـأي عاقـل إذاً يتخـلى عـن المقاومـة ويختـار التطبيـع؟! مـن الواضـح أن المقاومـة قضيـة عقلانيـة. وقـد أكّـد قائـد الثـورة عـلى «الاقتصـاد المقـاوم»، ومـن الواضـح أيضـاً أن الاقتصـاد المقـاوم هـو أمـر عقـلاني! حتـى إن لم يكـن لنـا عـدو فسـيكون ثمـة منافـس لنـا في مجـال الاقتصـاد، ولذلـك سـنحتاج إلى الاقتصـاد المقـاوم. إنّ الاقتصـاد المقـاوم هـو اقتصـاد شـعبي، وهـو مُحكـم العُـرَى، وهـذا أمـر عقـلاني.

ماذا عن دور "التقوى" في الإدارة؟

والسـؤال الـذي قـد يُطـرح في هـذه المرحلـة مـن النقـاش هـو: مـاذا عـن دور «التقـوى» في الإدارة؟ لقـد أطلقنـا عنـوان «الكرامـة والعـزّة» عـلى المبـدأ الأول في الإدارة، و«المحبـة والوفـاق» عـلى المبـدأ الثـاني، و«العقلانيـة والشـمولية» عـلى المبـدأ الثالـث، لكننـا لم نطـرح لحـد الآن مفهـوم التقـوى في أي مـن هـذه المبـادئ الثلاثـة. إذاً مـاذا عـن دور التقـوى في الإدارة؟ عـن الإمـام الباقـر(ع): «إِنَّ اللـهَ عَـزَّ وَجَـلَّ يَقِـي بِالتَّقْـوَى عَـنِ الْعَبْـدِ مَـا عَـزَبَ عَنْـهُ عَقْلُـهُ وَيُجْلِي بِالتَّقْـوَى عَنْـهُ عَـمَاهُ وَجَهْلَـه» (الـكافي/ ج٨/ ص٥٢). فالعبـد إن لم يسـعفه عقلـه في موقـف مـا فسـتجبُره التقـوى، وإن كان جاهـلاً بأمر ما فسـتعوّضه التقوى.

المدير الذي يفتقر إلى التقوى يعجز عن التخطيط/ التقوى ترفع من قدرة الإنسان على الفهم والتخطيط

قولنا: «إن التقوى ضرورية للمديرين» ليس لأننا متديِّنون، ولا حتى لأننا ثوريّون، بل من أجل النجاح في مرحلة التخطيط! نحن بحاجة إلى العقلانية والشمولية لكي نتمكن من التخطيط الصحيح والدقيق، وإن التقوى تُنمّي العقل، وتزيل الجهل، وتستر العيوب والأخطاء. قال تعالى في الذكر الحكيم: «إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً» (الأنفال/٢٩)، فإن تتّقِ الله فسيهبك «البصيرة» و«القدرة على تمييز الحسَن من السيئ». التقوى ترفع من قدرة الإنسان على التخطيط وتُعمِّق فهمه. فإن المدير العديم التقوى لا يقدر على التخطيط! لقد قتلوا أبا عبد الله الحسين(ع) لأنه كان تقيّاً، ولو كان قد تسلّم مقاليد حُكم الأمة لما كان ترك مجالاً للتافه والسفيه ليتسلموا زمام الأمور. جاء في رواية شريفة: «التَّقْوَى رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ» (تحف العقول/٥١٢)، أي إن التقوى تخلق الحكمة!

العلم والخبرة والتقوى تنمّي العقل/ بعض السياسيين يضرب بالعلوم التجريبية أيضاً عرض الحائط!

ليست التقوى وحدها هي التي تُنمّي العقلَ، بل إنّ العلم والتجربة أيضاً يُنمّيانه. روي عن أمير المؤمنين(ع): «الْعَقْلُ غَرِيزَةٌ تَزِيدُ بِالْعِلْمِ وَالتَّجَارِبِ» (عيون الحكم/٥٢). للأسف هناك من الساسة من يضرب بالعلوم التجريبية أيضاً عرض الحائط، فيحاول – بذريعة الحريّة وأمثال ذلك - أن يفرض نفسه من خلال التهريج و«الحرب النفسية» في المناخ السياسي. كلام هؤلاء لا يستند إلى أي أساس من العلم أو الفلسفة أو علم النفس أو الاجتماع، بل إنهم يطلقون أي كلام قبيح في أجواء المجتمع لا لشيء إلا لأنهم يشغلون منصباً سياسياً، ويختبئون وراء شعار الحرية، أو خلف عصابة سياسية.

المبدأ الرابع في الإدارة هو الكفاح والصلابة/ المدير الكسول ليس بمديرٍ!

المبدأ الأخير في الإدارة الذي نودّ التحدُّث عنه هو أنّ المدير ينبغي أن يكون «مكافحاً وصلباً»، فالمدير الكسول ليس بمدير! ومن نتائج الكَدّ والكفاح أنه «يجعل الإنسان صادقاً نقياً»، كما أنه يحرّك عقل المرء، ويجعل صاحبه شجاعاً، والشجاعة بدورها تُقوِّم فهم الإنسان، مثلما يؤدي الخوف إلى انحراف الفهم عنده.

إنّ المديـر الـذي ينـام حتـى السـاعة التاسـعة صباحـاً، ثـم يسـتيقظ بتـأنٍ ليُحـضروا لـه الفطـور، ومـا إن يحـلّ المسـاء حتـى يذهـب إلى المسـبح للترفيـه عـن نفسـه...الخ ليـس هـو بمديـر! كيـف للمديـر أن يخـدم الشـعب إذا كان يذهـب كل يـوم إلى المسـبح، ويتنـاول مـا لَـذّ وطـاب مـن الطعـام؟! يقـول بعـض هـؤلاء المديريـن: «لا بـد ان أعتنـي بنفسـي لـكي أتمكـن مـن الإدارة!» وهـذا الـكلام ليـس صحيحـاً، بـل ينبغـي أن تعتنـي بنفسـك مـن خـلال الكَـدّ والتعـب الجسـدي في سـبيل خدمـة الشـعب، لا عـن طريـق الاسـتجمام والركـون إلى الراحـة! والآن مـا هـي النتائـج الحاصلـة مـن الكَـدح والكفـاح يـا تـرى؟ إن إبداعـات مجاهدينـا في الحـرب المفروضـة كانـت نتيجـة كفاحهـم وصلابتهـم اللذَيـن اسـتطاعوا مـن خلالهـما أن يخرجـوا مرفوعـي الـرأس مـن حـرب كونيـة دامـت ثمـاني سـنوات ضـد إيـران. واليـوم أيضـاً مـا إن يصـدِّروا روح الكفـاح وحسـب (لا أدواتـه) لأي بلـد فسـيتمكن مـن الوقـوف أمـام العـالم بـأسره! لقـد حقـق مجاهدونـا هـذا النجـاح والإبـداع مـن خـلال الجهـاد والمكابـدة، وليـس مـن خـلال الأكل والنـوم وارتيـاد المسـابح ومـا إلى ذلـك. إن كنّـا نريـد التحـرك باتجـاه دولـة صاحـب الزمان(عـج) فينبغـي أن نتشـدَّد مـع مديـري المجتمـع. فلـماذا يتشـدَّد صاحـب العصر(عـج) مـع ولاتـه وحكّامـه؟ لأن الأمـة سـتكون مؤهَّلـة لاسـتيعاب دواعـي هـذ التشـدد. ولمـاذا لم يتمكـن أمـير المؤمنـين(ع) مـن المبالغـة بالتشـدد؟ لأن النـاس في عـصره لم تكـن لديهـم القابليـة الكافيـة لاسـتيعاب ذلـك.

الكفاح والصلابة مبدأ حتمي في "إدارة الذات"

إنَّ الكفـاح والكَـدح عـلى مسـتوى الحيـاة الشـخصية و»إدارة الـذات» أمـر لا بـدّ منـه وضروي، وهـو مـا يُعـبِّرون عنـه بـ»جهـاد النفـس» في الروايـات. كـما أنَّ ضرورة الصلابـة في الحيـاة الشـخصية هـي الأخـرى واضحـة تمامـاً. ينبغـي تنشـئة الأولاد في المدرسـة عـلى الصلابـة والجَلَـد. ومنـذ السـابعة مـن العمـر يجـب أن تشـابه أجـواء المدرسـة بالنسـبة إلى الأطفـال أجـواء المعسـكر نوعـاً مـا (مـن حيـث الاهتـمام بالنظـام والالتـزام بـالآداب) فيـمارس فيهـا الأطفـال المثابـرة والجِـدّ والاجتهـاد. لا بـد أن يمـارس التلميـذ في مرحلـة الابتدائيـة الطهـي، والخَبـز، والزراعـة، ليعلـم كَـم مـن مشـاق جسـيمة تـم تكبُّدهـا للحصـول عـلى هـذه الثمـرة التـي يتناولهـا أو رغيـف الخبـز الـذي يأكلـه. مـن المستحسـن أن تتوفـر للتلميـذ في مرحلـة الابتدائيـة إمكانيـة زراعـة نبتـة أو غـرس شـجرة بنفسـه، ثـم يسـقيها بنفسـه ويعتنـي بهـا إلى أن تُثمِـر، هـذا لـكي يـدرك مـدى صعوبـة هـذه الأعـمال. يجـب أن يفهـم الطفـل مثـلاً أنّ عليـه أن يصـبر بضـع سـنين لـكي تُثمـر الشـجرة، وحـين يقـوم الطفـل بهـذا العمـل بنفسـه فإنـه سـيكبر مـع شـجرة الفاكهـة هـذه وينضـج. والآن إن أصبـح هـذا الإنسـان الفاهـم المهـذّب والجَلِـد الـكادح مديـراً في الغـد القريـب فسـيكون مديـراً صالحـاً ونزيهـاً.

إن الجهاد في «إدارة الذات» أمر حتمي ولا بدّ منه. ينبغي أن نكون صادقين مع أولادنا، فنقول لهم: «يجب أن تتحمّلوا الصعاب؛ فعليكم أن تكدَحوا وأن تكونوا صلبين أشدّاء أيضاً». أشدّاء مع مَن؟ أشداء مع العدو! فعن رسول الله(ص) قوله: «أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْك!» (مجموعة ورام/ ج١/ ص٥٩). يقول بعض المفكّرين الغربيين: لقد أخطأنا إذ أكّدنا على «تفجُّر الطاقات « إلى هذه الدرجة، بل كان علينا أن نؤكّد على «تحمّل المشاق»! وهذا هو تحديداً ما قاله أئمة الهدى(ع) في روايات عديدة.

الكفاح والصلابة مبدأ في "إدارة الأسرة" أيضاً

إن ضرورة الكفاح والصلابة في إدارة الذات والحياة الشخصية أمر واضح جداً كما ذكرنا سابقاً، وهو كذلك في إدارة الأسرة أيضاً. ففي الحديث عنه(ص): «الْكَادُّ عَلَى عِيَالِهِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ» (الكافي/ ج٥/ ص٨٨). والآن لِنراجع بعض الروايات التي يدور موضوعها حول ضرورة الصلابة في إدارة الأسرة. رُوي عن رسول الله(ص) أنه قال: «ثَلَاثَةٌ إِنْ لَمْ تَظْلِمْهُمْ ظَلَمُوكَ: السَّفِلَةُ وَزَوْجَتُكَ وَخَادِمُكَ» (المحاسن/ ج١/ ص٦)؛ أي إنّ ثلاثة أشخاص أو أصناف من الناس يظلمونك وإن لم تظلمهم: الأول هو الإنسان الجاهل الذي سيؤذيك إن عاشرته ولم تظلمه وعليك أن تتحمله. والثاني زوجتك، والثالث هو خادمك (السكرتير أو ما شابه). قد يقول الرجل: «زوجتي قد ظَلَمتني!» حسناً، هذا أمر طبيعي، فجزء من الظلم الذي تتكبده هو من جانب أسرتك، إمّا عن قصد وإمّا من دون قصد. وبالطبع ليس المقصود من هذا الكلام هو أن «نرضخ للظلم!» كلّا! نحن نوصي باجتناب ظُلم بعضنا البعض. (وأساساً، إن نتيجة الالتزام بمبادئ الكرامة والمحبة والعقلانيّة هو تجنُّب ظلم الآخرين)، لكن إن ظَلَمَتكَ زوجتُك قليلاً مثلاً فلا تُدمِّر كل شيء، ولا تشعل النار في بيتك! لماذا معدلات الطلاق المرتفعة هذه؟!

لا يمكن إدارة الأسرة من دون جَلَد وصلابة (أي الصبر والتحمّل)

أَوَيُمكن إدارة الأسرة من دون جَلَد وصلابة؟! فلو أراد كل فرد في المنزل أن يفتح فاه ويتفوه بما يحلو له كلما استاء وانزعج فلن يكون ذلك البيت بيتاً! روي عن الإمام الباقر(ع): «إِنِّي لَأَصْبِرُ مِنْ غُلَامِي هَذَا وَمِنْ أَهْلِي عَلَى مَا هُوَ أَمَرُّ مِنَ الْحَنْظَلِ. إِنَّهُ مَنْ صَبَرَ نَالَ بِصَبْرِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وَدَرَجَةَ الشَّهِيدِ الَّذِي قَدْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ قُدَّامَ مُحَمَّدٍ(ص)» (ثواب الأعمال/ ص١٩٨)؛ أي مَن صبر على أذى أسرته، نال أجر شهيد استُشهِد بين يدي رسول الله(ص).

الكفاح والصلابة ضروريان في "إدارة المجتمع" أيضاً

الكفاح والصلابة ضروريان على مستوى إدارة المجتمع أيضاً، فالذي يعجز عن العمل بمقدار ضِعف الإنسان العادي يجب ألّا يتم تعيينه مديراً! ينبغي أن يكون المدير مثابراً وتكون لديه طاقة مضاعفة للعمل. فإن كان المدير دنيوياً فستكون لديه طاقة مضاعفة للعمل نتيجة تعلُّقه بالدنيا، وإن كان أُخروياً فستكون لديه طاقة مضاعفة للعمل بسبب روحانيته. فإن رأيتم مديراً يعمل بمستوى موظف عادي فاعلموا أنه حيّال ويسيء استغلال منصبه الإداري. يقوم المدير، في الواقع، بخدمة الناس، وثمة مجموعة منهم تحت إمرَته. فإن كان من أهل الدنيا ومُحباً للجاه والرئاسة فعليه أن يثابر في العمل أضعاف الآخرين حتى يُقال عنه: «يا لك من مدير رائع!» وإن كان من أهل الآخرة فينبغي عليه أن يعمل ويكد أضعاف الآخرين في سبيل الله وصاحب الزمان(عج). وهذا هو قول الإمام الصادق(ع)، في ما روي عنه، لأحد أصحابه: لو كان الحُكم بيدي لكان عليك أن تُخطِّط من الليل حتى الصباح، وتعمل من الصباح حتى الليل... «فَقَالَ يَا مُفَضَّلُ أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا سِيَاسَةُ اللَّيْلِ وَسَبَاحَةُ النَّهَارِ... » (الغيبة للنعماني/ ص٢٨٧).

ملاحظة عن "قبول الإدارة"

لنذكر ملاحظة أيضاً حول «قبول الإدارة». القبول بالنسبة إلى «إدارة الذات» أمر لا مناصَ منه؛ فعلى الجميع أن يقبلوا «إدارة ذواتهم» وينهضوا بمهامها. فهذا ليس بأمر اختياري، بل إنك مُجبَرٌ على إدارة ذاتك. «إدارة الأسرة» هي الأخرى أمرٌ لا بد لنا من الترحيب به. هذا وإن عُثر الآن على أشخاص كسالى ومترفين يتهرّبون من إدارة الأسرة وتحمُّل مسؤوليتها! وأحياناً الآباء والأمهات هم من يقول لأبنائهم: «ما زال الوقت مُبكّراً بالنسبة إليك!» أي إنَّ هذا الفتى يبلغ من العمر ٢٥ عاماً، لكنه ما زال لا يريد تكوين الأسرة وتقبّل مسؤوليتها.

رسول الله(ص): نحن لا نولّي الرئاسة مَن يطالب بها

إذاً «إدارة الذات» أمر لا مناص منه، و«إدارة الأسرة» أيضاً أمر لا بد أن تُرحِّب به؛ بيد أنّ الأمر يختلف بالنسبة لإدارة المجتمع، فلا ينبغي أن تُرحِّب به! وسنقرأ بضع روايات في هذا الموضوع: عن أبي موسى قال: دخلت على النبي(ص) أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحدهما: يا رسول الله أمِّرنا على بعض ما ولّاك الله عزَّ وجل، وقال الآخر مثل ذلك، فقال(ص): «إنا والله لا نولِّي هذا العمل أحداً يسأله» (دانشنامه قرآن و حديث (موسوعة القرآن والحديث)/ ج٦/ ص٤٤٤)؛ فلأنك طالبت بالسلطة فلن أعطيك إياها! ثم يقول(ص): «..أو أحداً حرص عليه»، أي من كان حريصاً على السلطة أيضاً لن نعطيها له (وإن لم يطلبها بلسانه، إذا علمنا أنه حريص عليها).

وفي حديث آخر عن رسول الله(ص) أنه قال: «لا نَستَعمِلَ عَلى عَمَلِنا مَن أرادَهُ» (حكمت نامه پيامبر اعظم (حِكَم الرسول الأعظم)/ ج٤/ ص٤٨٨)؛ أي إننا لا نُسلّم شؤون الدولة وأمور الإدارة والحكم لمن يريدها ويرغب فيها. (إذاً لمَن يسلّمون هذه المهام؟ للذي يترجّاه الآخرون ويتوسّلون إليه لكي يقبل بهذه المسؤولية والإدارة). كان آية الله مهدَوي كَني في بداية الثورة مسؤولاً عن جميع اللجان في البلد، وكانت مسؤولية هذه اللجان هي بسط الأمن في تلك الأجواء الملتهبة آنذاك. وفي تلك الظروف المتأزِّمة والحرجة في بدايات الثورة كان سماحته يقوم بهذه المهمة بأحسن وجه، ولذلك طلبوا إليه في اجتماع أن يقبل مسؤولية وزارة الداخلية. وكان الشهيد بهشتي وسماحة السيد القائد وبعض الشخصيات الأخرى أيضاً من ضمن الحُضّار في ذلك الاجتماع، فأخذوا يلحّون على آية الله مهدوي لقبول هذه المسؤولية، لكنه أبى ذلك وقال والدموع في مقلتيه: «أنا لا أريد أن أشغل منصباً». هكذا يجب أن يكون المدير، لا أن يذهب للقاء عشرة أشخاص ويبذل قصارى جهده ليحصل على منصب إداري!

الطامعون في الرئاسة لا يستطيعون تطبيق هذه المبادئ الأربعة في الإدارة

روي عن الإمام الصادق(ع): «مَلْعُونٌ مَنْ تَرَأَّسَ، مَلْعُونٌ مَنْ هَمَّ بِهَا، مَلْعُونٌ مَنْ حَدَّثَ بِهَا نَفْسَهُ» (الكافي/ ج٢/ ص٢٩٨). أي: ملعون من يبذل قصارى جهده لكي يصبح رئيساً، وملعون من يهمّ بالرئاسة، وملعون من يحدّث نفسه: «ليتني أصبح رئيساً!» وهل يجرؤ من يطّلع على هذه الروايات يا ترى أن يُرشِّح نفسه للبرلمان والمناصب الأخرى؟! يجب أن يترجّاه الآخرون ويلتمسوه، لا أن يرمي بكل ثقله للوصول إلى هذه المناصب! على الرغم من أن أمير المؤمنين(ع) كان الوصيّ المباشر لرسول الله(ص) إلا أنه لم يقبل الولاية إلا بعد إصرار شديد من الناس! طبعاً كانت هناك أسباب أخرى أيضاً لعدم قبول الإمام الولايةَ (فكان الناس غير مؤهلين بعد لولايته مثلاً و...الخ)، لكن لا ينبغي، في كل حال من الأحوال، أن يتهافت المرء على الرئاسة! لكن البعض يبيع بيته أو يستقرض المال وينفق الأموال الطائلة لكي يصبح رئيساً! نحن ذكرنا أربعة مبادئ للإدارة في هذه السلسلة من المحاضرات، لكن الأشخاص الذين يطمعون في الرئاسة ويرغبون فيها لا يستطيعون تطبيق هذه المبادئ.

بحسب الرواية، إن ضرر هواة الرئاسة على الناس أكثر من ضرر الذئاب على القطيع!

نقلوا للإمام موسى بن جعفر(ع) أنّ ثمة شخصاً يحب الرئاسة، فقال الإمام(ع): «مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ فِي غَنَمٍ قَدْ تَفَرَّقَ رِعَاؤُهَا بِأَضَرَّ فِي دِينِ الْمُسْلِمِ مِنَ الرِّئَاسَةِ» (الكافي/ ج٢/ ص٢٩٧). هل تعلمون حجم الخسائر والأضرار التي تلحق بقطيع الغنم المتروك من دون راعٍ حين يهاجمه ذئبان ضاريان؟! فالذئاب لا تأكل بقدر احتياجها، بل تُقتِّل الكثير من الأغنام عبثاً. إنّ الضرر اللاحق بالقطيع الذي يهاجمه ذئبان ويمزّقان الأغنام أشلاء، أقل من ضرر حب الرئاسة للناس! بعبارة أخرى، إن طالبي الرئاسة وهواتها أشبه بالذئاب.

آليات الانتخابات الموجودة في بلادنا ناقصة

حسناً، والآن ما الذي ينبغي صنعه؟ أولاً، لا بدّ من التفكير في خطة لنظام الانتخابات تمنع صعود الذئاب. فالآليات الانتخابية المعمول بها حالياً في بلادنا ناقصة، وينبغي أن نحقق النضج في أسلوب انتخابنا. إنّ الأشخاص الذين يديرون ساحة الانتخابات هم للأسف إمّا أساتذة في الحرب النفسية، وإمّا أتباع النهج الـ«بي بي سي» وأمثالهم. يجب أن ينتهي الاستقطاب الثنائي والحرب النفسية في الحملات الانتخابية، بطريقة محطة الـ«بي بي سي» الخبيثة. ما هو واجب مجلس صيانة الدستور في وضع كهذا؟ كما يُطرَد اللاعب الذي يركل ساق منافسه في مباراة كرة القدم، على مجلس صيانة الدستور أيضاً أن يطرد المرشّح الذي يكذب في حملته الانتخابية! على سبيل المثال إن افترى هذا المرَّشح على أحدٍ وشوّه سمعته، يجب على مجلس صيانة الدستور أن يشهر في وجهه البطاقة الحمراء. فلا يجوز أن تتَّهم أحداً كذباً لكي تصبح رئيساً! ماذا ستفعل غداً ببلدك إذاً؟

ما كل الأمور هي ضمن صلاحية المسؤولين ولا ينبغي أن يكون كذلك

ثانياً، ليست جميع الأمور هي ضمن صلاحيات المسؤولين ولا ينبغي أن يكون كذلك؛ فعلى الشعب أن ينهض بالكثير من المهام. ينبغي أن يدبّ النشاط في الشعب، ولا سيما في الشباب الجهادي، لإدارة البلد؛ أي على الشعب، من خلال وضع الخطط والأنظمة، أن يحول دون إمكانية أكل الريع، وأن يغلق الأبواب أمام السرقة، والمحسوبية، والعلاقات الحزبية الموبوءة، ويحول دون صعود الأشخاص عديمي الكفاءة [إلى المناصب].

لنهتم بهذا الدور الذي ينبغي على الشعب والشباب أن ينهضوا به. فإن نهج دولة صاحب الزمان(عج) أيضاً ليس على النحو الذي يقول فيه الإمام(ع): «أيها الناس! اذهبوا ومارسوا حياتكم الروتينية براحة بال، وأنا سأتولى جميع شؤونكم بمساعدة أنصاري الـ٣١٣! فلستم بحاجة إلى اتخاذ أي قرار على الإطلاق!» إن دولة صاحب الأمر(عج) ليست كذلك أبداً! فآليات الحكم في دولته(ع) تقتضي حضور الشعب في الساحة، ونشاط الشباب في المجتمع. قال سماحة السيد القائد في لقائه مع قوات التعبئة (البسيج): «إن التعبئة هي تحقق سيادة الشعب الدينية. حين نشير إلى تعبير سيادة الشعب الدينية أو الإسلامية، يتصور البعض أن سيادة الشعب هذه لا تتحقق إلا أثناء الانتخابات وعند صناديق الاقتراع، لكن الانتخابات هي إحدى مظاهر سيادة الشعب الدينية فقط. إن سيادة الشعب تعني أنَّ الناس، وفقاً لمبادئ الدين والإسلام، هم سادة الحياة الاجتماعية. هذا هو معنى سيادة الشعب، هذا هو معنى سيادة الشعب الإسلامية. إن قوات التعبئة (البسيج) هي مظهر سيادة الشعب الدينية والإسلامية في جميع المجالات. فإن دَخَلَت حقل الاقتصاد فسيصبح الاقتصاد تحت سيادة الشعب» (لدى لقاء سماحته بقوات التعبئة (البسيج)، ٢٠١٦/١١/٢٣). وبالطبع ليس المقصود من هذا الكلام أن تقوم قوّات التعبئة بتأسيس مؤسسة اقتصادية، بل إنّ القصد هو أن يقوم الناس بحركة شعبية تطوّعية، فيتّحدوا بأسلوب كفاحي ثوري ينم عن تضحية ويمارسوا نشاطاً اقتصادياً بنهج تعبوي. وحينئذ فقط سيصبح اقتصادنا «تحت سيادة الشعب» وليس تحت سيادة رأس المال! ثم أضاف سماحته قائلاً: «لو استطاع هذا الاقتصاد المقاوم، الذي تحدثنا عنه، أن يُفيد من قدرة قوات التعبئة وطاقاتها فسيتحول إلى اقتصاد مقاوم تحت سيادة الشعب. وكذا الحال في العلم أيضاً، وفي أنماط التطوّر الاجتماعي المتنوعة أيضاً، وفي السياسة كذلك، فإن قوات التعبئة هي مظهر سيادة الشعب الدينية!» وليس القصد من هذا الكلام أيضاً أن تتدخل منظمة قوات التعبئة (البسيج) في السياسة، بل إن المقصود هو حقيقة التعبئة نفسها؛ وهو أن: لا تفوِّضوا أمر السياسة إلى الأحزاب والعصابات المخيفة في الساحة السياسية، بل يجب أن تكون السياسة بيد الشعب بالمعنى الحقيقي للكلمة.

ضرورة تكوين حلقة وسيطة بين الحكومة والشعب

إن انطباعي عن كلام السيد القائد – والذي سأبيّنه شرحاً لكلام سماحته – هو أننا بحاجة إلى حلقة وسيطة بين الحكومة والشعب. وإذا افترضنا أن هيكلية المجتمع تشبه الهرم فإن الحكومة تحتل عادةً قمة هذا الهرم ويشكّل سوادُ الشعب، بطبيعة الحال، قاعدتَه. ثم لا بد أن تكون هناك حلقة وسيطة بين الحكومة والشعب، وأن يتصف أفرادها بعدة خصائص؛ كأن يكونوا شباناً ثوريين متحمسين، ومُفعمي الحيوية، وأن يفوق نشاطهم نشاط الناس العاديين، وأن يتّصفوا بالشفقة والتضحية والإيثار، و...الخ. لا بدّ من وجود هذه الحلقة الوسيطة بين الحكومة والشعب. لهذه الحلقة الوسيطة بضع وظائف مهمة، من جملتها: إحدى مهام هؤلاء الأشخاص هي تنظيم الناس، ومعرفة مواهبهم، ووصلهم ببعض، وتقويتهم والعمل على رُقِيّهم وتطوّرهم. إنهم لا يسمحون بأن يصبح الشعب هزيلاً جائعاً، ويكون عالة على الدولة وشركات التأمين، ويقتات على صدقات الرأسماليين. هذه الحلقة الوسيطة والشابة، والنابعة من صميم الشعب، يقوم أفرادها بتنظيم مواهب الناس وطاقاتهم، وخَلق شبكة للتواصل فيما بينهم، وصناعة القرارات للمسؤولين المحليين.

نموذجان من المشاريع التي يقوم الشباب بتنفيذها:

اليوم يقوم شبان الأحياء في بعض مدن محافظة طهران بإطلاق مشروع يلتف فيه شبان الحي التعبويون (البسيج) تحت شعار: «هلمّوا نعالج مشاكل حيّنا بأنفسنا». فيدعون إلى اجتماعاتهم - سعياً لمعالجة مشاكل حيهم أو مدينتهم - أشخاصاً كالمُدّعي العام، أو الحاكم، أو المحافظ، أو مسؤولي المدينة، ويطرحون مشاكلهم الواحدة تلو الأخرى، ويطالبونهم بالإجابة والعمل الدؤوب على إزالتها. وهناك مشروع آخر انطلق يتصل فيه مجموعة من الشباب الناشطين مع بعضهم البعض، ويتحاورون فيما بينهم، ويخرجون بنتائج؛ على سبيل المثال: «بالنظر لإمكانيات المنطقة التي نقطنها فإنها بحاجة إلى المهنة الفلانية، ...». ثم يستغلون الطاقات الفتيَّة (كطلّاب الثانوية مثلاً) لإنتاج مُنتَج ما، وبيعه وجني المال من وراء ذلك. فأولاً، يكتسب هؤلاء الشباب العزة والكرامة من خلال هذا العمل ويتقنون مهنة أيضاً. وثانياً، إن اتصلت هذه المجموعات من أرجاء البلد مع بعضها البعض فستتأسس سلاسل شركات شعبية لبيع المواد الغذائية. ولو نظرتم حينها بدقة إلى هذا النمط من الحياة ستجدون أنها حياة أخرى حقاً! إن ثقافة تحمُّل المسؤولية في هذا النمط من الحياة ستكون في منتهى القوة والحضور، وسيقول الشباب: «سلِّمونا المدينة وسنقوم نحن بإدارتها...». وإذا أحببتم مشاهدة النموذج الراقي لهذا النمط من الحياة فانظروا إلى أربعينية الإمام الحسين(ع). لا تُفوِّتوا زيارة الأربعين. شاركوا فيها قدر استطاعتكم، ومارسوا دوراً فيها.